

دعوة الحق

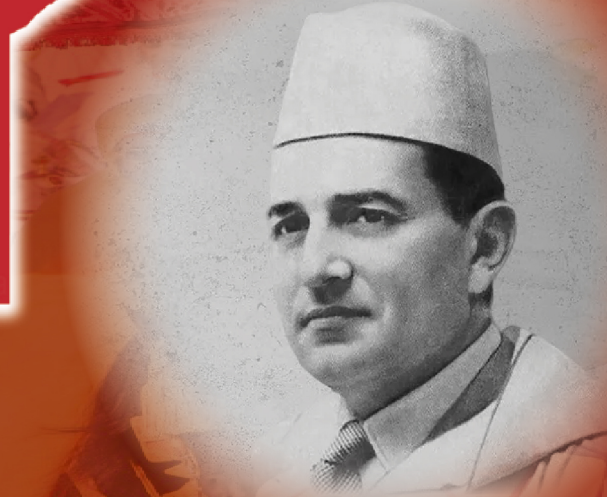


مجلة شهرية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية ومشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة الثامنة والستون - العدد 453 - صفر 1447 هـ / يوليوز 2025 م

عدد خاص

بالذكرى السادسة والعشرين لعيد العرش المجيد والذكرى الثانية والسبعين لثورة الملك والشعب



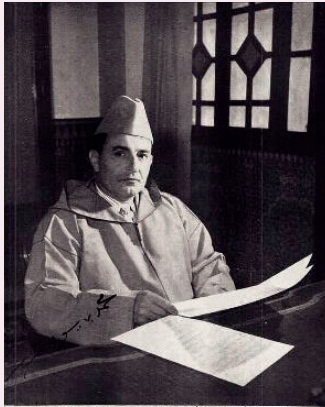
دعوة الحق

مجلة شهرية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة الثامنة والستون - العدد - 453 - صفر 1447 هـ / يوليو 2025 م



أسسها جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
سنة 1376 هـ / 1957 م



الملك محمد الخامس
الملك محمد الخامس
الملك محمد الخامس

”... ولعلنا سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار
مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بفلاحيّة الإصلاح
الدينيّ كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعيّة
والثقافيّة، ولنا وحيّد الأمل في أن يلتق حولها
دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد
وغيرها لتؤيّد مهمتها خير أداء“.
«وعسى أن تملأ مجلة ”دعوة الحق“ سبل النجاح والتوفيق»

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه
إلى مجلة دعوة الحق بمناسبة صدورها في شهر يوليو 1957

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- ما نشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.



مدير المجلة

الأستاذ ياسين ححو

رئيس التحرير

الأستاذ عبد الحميد العلمي

العنوان

مديرية الشؤون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

المشور السعيد - الرباط

الموقع الإلكتروني: www.daouatalhaq.ma

البريد الإلكتروني: daawatalhak@mhai.gov.ma

هاتف التحرير

05 59 76 37 05

هاتف مدير المجلة

05 37 66 06 74 / فاكس: 05 37 76 17 21

التوزيع

هاتف وفاكس: 05 37 76 32 10

الحساب البنكي

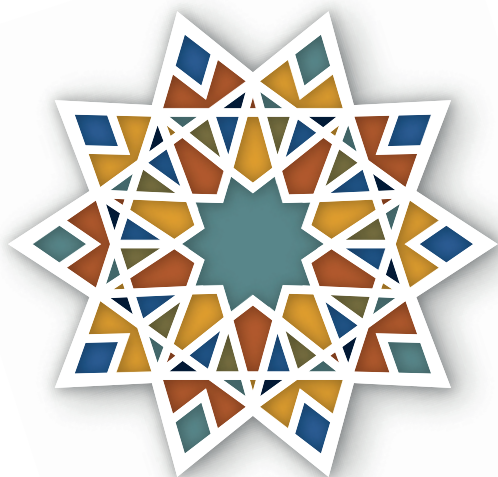
القرض الفلاحي - وكالة الحسابات الكبرى - الرباط:

RIB: 225-810-0195092946510102-88

الثلث: 20 درهما

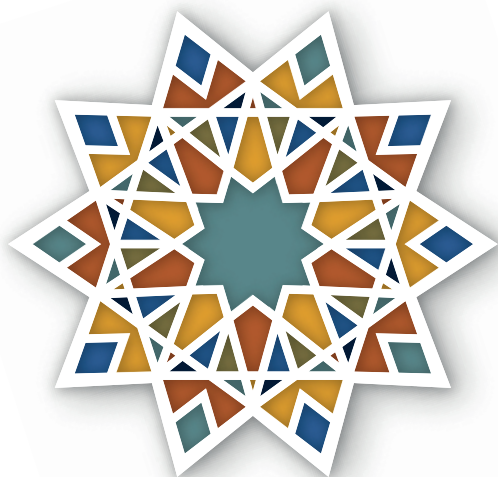
رقم الإيداع القانوني: 1981PE0003

الرقم الدولي: 3085-5322





أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده



افتتاحية



بسم الله الرحمن الرحيم، وصل اللهم وسلم على من بعثته قائما بأمر الدين،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فالحمد لله الذي من علينا بنعمة الإمامة العظمى التي أسبغها على مولانا أمير
المومنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، التي ينوب بها عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في تبليغ الدين ورعاية مصالح المسلمين، بموجب البيعة
الشرعية التي نصر عليها القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين، وهي صفة حكمة
توجب لمن قامت به حراسة الدين ورعاية مصالح المسلمين.

وجريلا على سنن المغاربة في تأكيد البيعة وتجديد الولاء لأئمة المومنين
حامى حمى الملة والدين، يخلد الشعب المغربي هذه السنة الذكرى السادسة
والعشرين لتربع صاحب الجلالة الملك محمد السادس أيده الله على عرش أسلافه
المنعمين، وهي مناسبة لتوكيد عرى المحبة والتواصل بين العرش والشعب، وفرصة
يتم فيها عرض ما قام به أمير المومنين نصره الله من منجزات، وما قدمه من حلول
لمواجهة التحديات وحماية المقدرات وتحقيق المكتسبات.

ومما يجلي ما نحن فيه التنبيه على أهم المبادرات المولوية السامية، نعرض لبعضها ضمن المقتضيات الآتية:

- ما اقتضاه نصره السديد بإطلاق مشروع تسديد تبليغ الدين وبيان منهم التدين الرصين الذي تبنى التعريف به وبمقاصده المجلس العلمي الأعلى، والمجالس العلمية الجهوية والمحلية، والأئمة المرشدون والعلماء العاملون

- ما اقتضاه حرصه الشريف بالتصديق إلى القضايا الآنية التي تهم الموالصين، ومنها التنبيه على أهمية الماء وضرورة ترشيده استعماله، حيث ذكر أن «إشكالية تدبير الموارد المائية تصرح نفسها بإلحاح خاصة أن المغرب يمر بمرحلة جفاف صعبة هي الأكثر حدة منذ أكثر من ثلاثة عقود»، كما دعا جلالتة إلى أخذ «إشكالية الماء في كل أبعادها بالجدية اللازمة لا سيما عبر القطع مع كل أشكال التبذير والاستغلال العشوائي وغير المسؤول لهذه المادة الحيوية»¹. ومن توجيهاته في الباب:

• التحيين المستمر للسيادة المائية،

• نقل المياه بين الأحواض المائية،

• تحلية ماء البحر،

• حماية الملك العام للمائي.

وبه يعلم أن خضاب العرش مناسبة لعرض المنجزات، ومواجهة التحديات، وحماية

المقدسات، المفضية إلى إذكاء الروح الوطنية والمحافظة على الوحدة الترابية.

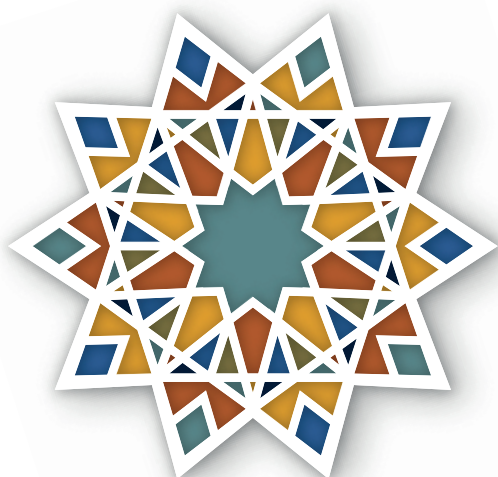
1- مقتطف من الخطاب السامي الذي وجهه صاحب الجلالة، نصره الله، بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثانية من الولاية التشريعية الحادية عشرة، يوم الجمعة 14 أكتوبر 2022م.

وكل ذلك له استمداد من ذكرى ثورة الملك والشعب التي اعتبرها
مولانا أمير المؤمنين مناسبة متجددة ومستمرة يجب استحضارها في ذاكرة
المواهبين باعتبارها اللبنة الأساس التي نال بها المغرب الاستقلال على يد بطل
التحرير مولانا محمد الخامس لصيب الله ثراه، وحمل مشعل الاحتفاء بها والعمل بمغزاه
مولانا الحسن الثاني أكرم الله مثواه.

إنهما مناسبتان عظيمتان ولمحمتان كبيرتان تحققان عمق الروابط الروحية
والتلاحم الكبير بين الراعي والرعية.

لذا ناسب أن تخصص هيئة تحرير مجلة دعوة الحق هذا العدد لهاتين المناسبتين
بمشاركة ثلة من العلماء العاملين والأستاذة الباحثين، والحمد لله رب العالمين.

رئيس التحرير
ذ. عبد الحميد العلي

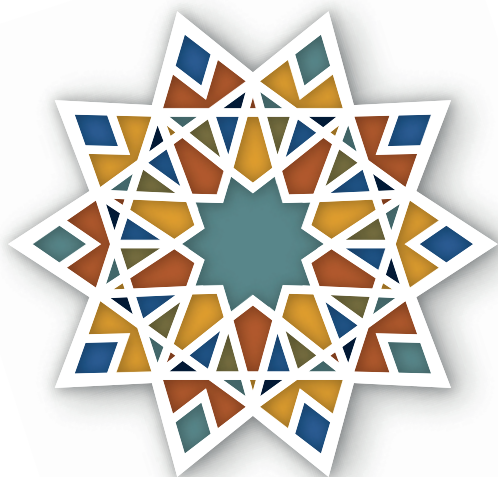




ملف العدد

مقالات

ذكرى عيد العرش المجيد



عيد العرش المجيد بين نظام البيعة ودلالات الإمامة العظمى

ذ. محمد خروبات

رئيس المجلس العلمي الجهوي لجهة مراكش آسفي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يخلد المغاربة في الثلاثين من شهر يوليوز من كل سنة الاحتفال بعيد العرش، ويأتي هذا الاحتفال عربونا على وفاء الشعب المغربي في التثبيت بمبدأ له دلالات دينية ووطنية واجتماعية وسياسية، وهو مناسبة للتعبير عن التلاحم والوحدة الوطنية وصيانة المجتمع المغربي من الاختراق الخارجي، ويروم هذا البحث معالجة المرتكزات الشرعية لهذه الذكرى والمتمثلة في البيعة ودلالات الإمامة العظمى وما نجم عن هذا من المنجزات الحية من استقرار ووحدة وأمن، وسنتناول الموضوع من موقع متطلبات التأصيل وواقعية التفعيل.

أولاً: عيد العرش ونظام البيعة

ينبني هذا العيد الوطني على أصل من أصول الدين وهو «البيعة» التي هي سنة نبوية وميراث من نبوة محمد إلى آل بيته على مختلف العصور، ذلك أن الله عز وجل أنزل الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم، وتضمن أحكاماً شرعية وتشريعية حافظت على مصالح الناس مجتمعة: من ضروريات وحاجيات وتحسينيات، لكن الله تعالى مكن في الأرض من يُحافظ على الشريعة ويحميها لتحقيق هذه المصالح، ومن دون حماية الشريعة والدين بسلطان وقضاء قائمين فإن هذه المصالح تُتعطل، لذلك وكُلت حمايتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بعثه الله لأجلها وبايعه الناس عليها، وقد بنيت البيعة على النسب الشريف، والنسب نسباً: بعدي وقبلي، فالنسب البعدي هو النسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ونسب قبلي وهو نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى إبراهيم عليه السلام عبر إسماعيل عليه السلام، والبعدي مبني على القبلي. والبيعة بنيت عليهما. وجاء التنصيب عليها في عدة مقامات من القرآن الكريم، فقد أشاد الله بها، وحث عليها، وأثنى على المبايعين للنبي صلى الله عليه وسلم

مؤكداً أن من بايعه فكأنما بايع الله تعالى، يقول في محكم التنزيل: ﴿لَ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾¹.

كان الجزء المقدم عن عطاء البيعة وهو الرضى من الله تعالى، وقد وعد الله المبايعين بالنصر والتمكين، مع تثبيت الفؤاد، وختمت الآية أن البيعة سنة من سنن الله في الأرض، لن تبدل ولن تزول، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ إلى أن قال سبحانه في سياق الآية ﴿سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾².

وبما أن البيعة سنة من سنن الله تعالى في الوجود، وهي عقد بين الحاكم والمحكومين، لأنها بمثابة البيع لما يجنيه البائع في بيعه من ربح حلال، لكن الربح المقصود هنا هو رضى الله تعالى والفوز بالجزء العظيم في الآخرة، قال تعالى: ﴿بِاسْتَبْشَرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْبُزُّ الْعَظِيمُ﴾³.

ولأهميتها الشرعية وضرورتها في الحياة العامة استمرت عبر العصور تتحقق في جهة ولا تتحقق في جهات، كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعلى عهد خلفائه الراشدين، وفي بعض العهود من بني أمية وبني العباس، وتحققت في المغرب على عهد الأدارسة الشرفاء، ولذلك كان النسب الشريف سببا في البيعة، وبقي الأمر على الحال بين التحقق والضمور إلى أن ظهرت الدولة العلوية الشريفة فعادت سنة البيعة بناءً على النسب الشريف وذلك في عهد مولاي علي الشريف، وحافظ ملوك الدولة العلوية على هذه السنة إلى وقتنا الحاضر.

ويأتي الاحتفال بعيد العرش ليجسد هذه الحقيقة الدينية التاريخية، فالبيعة الشرعية بنيت على النسب الشريف، وعيد العرش بني على البيعة وهي أمور يتعلق بعضها ببعض.

إن البيعة نظام شرعي وسياسي من صلب السياسة الشرعية، هذا النظام الذي لا يفقهه من لا يفهم دين الإسلام معنى، مع العلم أن الأنظمة السياسية في القديم كانت تُبارك بالأديان وثنية وغير وثنية: عند الفراعنة واليونان والرومان والفرس، فحكام اليونان كانوا يتبركون بالآلهة في الحكم وكذلك الفراعنة، لما جاء الإسلام طهر أنظمة الحكم من فساد الشرك، فأخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وشرع الشورى والبيعة، وسن أحكاما للمحكومين، وأخرى للحاكم، وكل هذا عالجه كتب السياسة الشرعية في تراثنا الإسلامي.

1- سورة الفتح الآية 10.

2- سورة الفتح الآيات (18-23).

3- سورة التوبة الآية 112.

دخل الإسلام إلى المغرب بفعل الفتوحات الإسلامية، واعتنقه المغاربة بقناعة عميقة راسخة، وقد حافظوا في كل الأحوال على كل المقومات الشرعية التي تضمن الوحدة والاستقرار والأمن بمختلف صوره.

والبيعة هي المبايعة والطاعة، وهي عهد يجب الوفاء به كصفقة البيع، وهي ميثاق شرعي وعقد روحي بين الأمة من جهة وأهل العقد من جهة أخرى، فبدونها لا يستقيم أمر الدنيا والدين، والحاجة إليها ضرورية في قيام الدولة وتحصيل الأمن والاستقرار، ولذلك كانت البيعة من أهم مقومات الدولة والمجتمع، لهذه الأسباب اعتبرت البيعة في المغرب ضرورة من ضرورات التماسك والارتباط بين العرش والشعب، فكانت هي عزة وقوة المغاربة في المحافظة على الوحدة الاجتماعية والتراية للمملكة المغربية، ولم يثبت قط أن نظام البيعة في المغرب تباين مع المسلسل الديمقراطي الذي سارت عليه المملكة المغربية منذ الحصول على الاستقلال إلى اليوم، ففي الوقت الذي يعيش فيه العالم الإسلامي في موجة من التقلبات السياسية والتي أضرت بأغلب بلدانه ينعم المغرب بميزة الاستقرار بديمقراطية مدنية تقوم على البيعة الشرعية، هذه الأخيرة التي ضمنت للمغرب وحدة مستقلة عن جميع الأنظمة العالمية، وتلك هي أساس السيادة والاستقلال.

ليست البيعة كلمة تقال أو وثيقة تكتب فحسب، بل لها حقوق يجب أن تراعى، وعليها واجبات يجب أن تؤدي، فمن حقوقها الوفاء بالعهد، والتضحية بالعمل، ومن واجباتها ما تخض عن هذا من بناء الدولة الحديثة التي كان من مقتضياتها الوحدة المذهبية الفقهية، والوحدة المذهبية العقدية، والوحدة الروحية، والوحدة اللغوية العربية والأمازيغية، والوحدة التراية، وهذا كله تحت رعاية إمارة المومنين.

ثانيا: عيد العرش والإمامة العظمى

نعني بـ «الإمام العظمى» نظام الحكم الذي يكون في البلاد الإسلامية لا نظام الحكم الذي يكون في الدول الغربية، فنظام الحكم الذي يكون في البلاد الإسلامية مرجعه شرعي ديني، ونظام الحكم الذي يكون في الدول الغربية يؤطره القانون الوضعي البشري، فالأول تعبدى لأن الله تعالى ما ترك هذا الجانب مهما، يتناوله الإنسان كما يشاء بل له أصول شرعية، توحد المجتمع الإسلامي تحت حكم إمام واحد، ليحافظ للناس على نظام الضرورات الخمس، وليوفر لهم الأمن الشامل، فيكون الإمام في فعله هذا عابدا لله في رعيته، جاء في الحديث المرفوع عند الإمام مسلم في الصحيح: (إن المقسطين عند الله، على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)¹. وتكون الرعية في ولائها وطاعتها تعبد لله وتوحيده، جاء في الحديث المرفوع: (ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني)².

1- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل ... 3/1458 رقم 1827.

2- المصدر السابق رقم 1835.

وتوعد من خرج عن البيعة فقال: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)¹، فنظام الإمامة العظمى أو الكبرى يضمن للناس وحدتهم، ويسر لهم توحيدهم لربهم، فهي تضمن حقوق الله وحقوق العباد، أما الثاني فلا يحقق سوى حقوق العباد، وأغلب هذه الأنظمة علمانية تفرق بين الدين والدنيا بخلاف الأول الذي جعل الدين مرجعا للسياسة وجعل السياسة من أعمال الدين، وهو ما يطلق عليه في الكتابات العلمية بـ «السياسة الشرعية» في تمييز واضح عن «السياسة الوضعية»، ومن أصول الشرع في الطاعة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾².

وقد بين الله ورسوله أن أساس الحكم العدل، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾³، وجزاؤه أن الإمام العادل عن يمين الرحمن وعلى منابر من النور كما تقدم، وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم على من ولي أمر المسلمين فقال: (اللهم من ولي من أمري شيئا فشق عليهم فشق عليه، ومن ولي من أمري شيئا فرفق بهم فافرق به)⁴.

واعتبرها الشرع من المسؤوليات الجسام، ومهامها من المهام العظام، فهي مسؤولية كبيرة، وسميت كذلك لكونها متبوعة بالسؤال غدا، جاء في حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمر الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته)⁵.

والأصل في هذا كله ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان إماما للمسلمين بأمر من ربه، يحكم في الناس بما أمره به ربه: ﴿لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرِيكَ اللَّهُ وَلَا تَكُ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾⁶، وما قام به في حكم المسلمين هو سنة توجب الاتباع مع مراعاة ما استجد من الظروف والأحوال، وقد حافظ ملوك الدولة العلوية في اعتلائهم للعرش على هذه الخصائص والمبادئ، وقد انطوى كل ذلك تحت رعاية إمارة المؤمنين، وقد أطرها الدستور في الفصل 41 من الباب الثالث جاء فيه: (الملك أمير المؤمنين، وحامي حمى الملة والدين، والضامن لحرية ممارسة الشؤون الدينية).

1- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، 3/1478 رقم الحديث 1851.

2- سورة النساء الآية 59.

3- سورة النساء الآية 58.

4- المصدر السابق رقم الحديث 1828.

5- المصدر السابق رقم الحديث 1829.

6- سورة النساء الآية 105.

يرأس الملك أمير المؤمنين المجلس العلمي الأعلى الذي يتولى دراسة القضايا التي يعرضها عليه.
ويعتبر المجلس الجهة الوحيدة المؤهلة لإصدار الفتاوى التي تعتمد رسمياً بشأن المسائل المحالة عليه استناداً إلى مبادئ وأحكام الدين الإسلامي الحنيف ومقاصده السمحة.
تحدد اختصاصات المجلس وتأليفه وكيفيات سيره بظهير.
يمارس الملك الصلاحيات الدينية المتعلقة بإمارة المؤمنين والمخولة له حصرياً بمقتضى هذا الفصل بواسطة ظهائر⁷.

من منطلق الإمامة العظمى وما تقتضيه نتناول دلالة الاستقرار والوحدة.

ثالثاً: عيد العرش ودلالة الاستقرار والوحدة

بما أن عيد العرش مبني على ثوابت دينية ووطنية لكونها أحد الهويات الأساسية للمجتمع، وهي الضمانة الوحيدة التي يتجسد منها عنصر الاستقرار في المغرب، وحقيقة الاستقرار في العرف اللغوي تعني الثبات والسكن ومدارهما على الاستقرار بكيفية مباشرة، ولمفهوم الوطن نفس الدلالة التي تعني الاستقرار والثبات⁸، ولكل استقرار دعائم، ومنها دعامة الإنسان، الإنسان الذي ورث الثوابت الدينية والوطنية المتمثلة في المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية وطريقة الجنيد السالك وإمارة المؤمنين، يتحرك بها في الساحة الوطنية والدولية في توازن تام بين الأصالة وتطلعات الحضارة، وإذا نظرنا إلى جوهر الاحتفال وجدناه يعبر عن هذه الحقيقة الراسخة على المستويين: مستوى الأصالة ومستوى الحضارة، وعلى المستوى الجغرافي لم يعرف المغاربة غير الوطن في ظل العرش بديلاً، فبدلوا من أجله الغالي والنفيس، وقد جرب الاستعمار الفرنسي هذه الحقيقة حين استعمر الوطن، وامتدت أياديهِ الغاشمة إلى نفي السلطان الشرعي للبلاد فاشتعلت المقاومة في ربوع المغرب ولم تهدأ إلا بعد رجوع السلطان محمد الخامس طيب الله ثراه إلى عرشه مظفراً، فعاش المغرب مستقلاً في ظل العرش، وهو استقلال تحقق بمقاومة مزدوجة متمثلة في ثورة الملك والشعب، ملك من أجل وطنه وشعبه، وشعب من أجل ملكه ووطنه.

ومن الدعائم الجديرة بالرصد والتصوير مجمل الإنجازات التي تحققت على عهد مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده في مختلف المجالات: السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والاجتماعية، وكلها مجالات متكاملة بعضها مبني على بعض لأن مسيرة النماء تدار تحت سقف عرش واحد.

7- الدستور الجديد للمملكة المغربية، طبعة إيماليف، الأولى 2011م. ص 27-28.

8- القاموس المحيط لمجد الدين للفيروز آبادي ص 493، مادة (قرر)، مراجعة وإشراف د. محمد الإسكندراني - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - طبعة 1432هـ/2011م، والمعجم الوجيز ص 496، مجمع اللغة العربية، القاهرة.

رابعاً: عيد العرش ومقومات الأمن الشامل

سعت إمارة المومنين في هذا البلد إلى تحقيق الأمن الشامل بفعل النهوض بالحقل الديني وترشيده، وبما أن مفهوم الأمن له صلة بمفهوم الإسلام لكون الأمن من الأمان والإسلام من السلام فقد أطلقت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والمجلس العلمي الأعلى خطة تسديد التبليغ، ومهدت لها بخطة التأطير الديني وفق خطة الميثاق، والكل يدخل في خطة شاملة متكاملة ترعاها إمارة المومنين لتحقيق الأمن الشامل نحو الحياة الطيبة، والمحافظة على الثوابت لضمان الأمن والاستقرار وترسيخ مبدأ الوسطية والاعتدال في الخطاب الديني على مستوى التصور، وفي التدين على مستوى الممارسة. جاء في محكم التنزيل على مستوى الفعل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾¹، وجاء في الحديث الشريف على مستوى التصور: (هلك المتنطعون) قالها ثلاثاً²، وجمعتما هذه الآية الكريمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾³.

خاتمة:

عالجنا الموضوع من الزوايا الأربعة: عيد العرش ونظام البيعة، وعيد العرش والإمامة العظمى، وعيد العرش ودلالة الاستقرار والوحدة، وعيد العرش ومقومات الأمن الشامل، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾⁴.

1- سورة الإسراء، الآية 29.

2- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب « هلك المتنطعون »، ص 1281، رقم الحديث 6878، مجلد واحد، طبعة شركة دار الأرقم، بيروت لبنان، طبعة 1998م.

3- سورة البقرة الآية 143.

4- سورة البقرة الآية 125.

طاعة الأمة للإمام في ظل دستور الإسلام

ذ. ابراهيم بن أحمد الوافي

رئيس المجلس العلمي المحلي لإنزكان أيت ملول

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.
أكرم الله تعالى البشرية بدين الإسلام، المتمثل في الخيفية السمحة الظاهرة، والمؤيدة بالحجج الباهرة، والموطدة بالقواعد المتناصرة، والمستبانة بالأوضاع المتآزرة، وجعلها معالجة لقضايا الناس، وخادمة لاستقرار أحوالهم، وضابطة لتصرفاتهم، فلم يكن الإسلام في يوم من الأيام طقوساً مجردة، لا علاقة لها بواقع الناس، ولا بتدبير شؤون حياتهم اليومية، ذلك لأنه دين متكامل، ومنهج حياة شامل، يتناول تنظيم كافة جوانب الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، والأخلاقية، والسياسية وغيرها، ويقوم على تحقيق أنبل الطاعات الثلاث، التي يفضي بعضها إلى بعض، وهي: طاعة الله، وطاعة رسول الله، وطاعة أولي الأمر؛ ففي ظل هذه الطاعات، تُجَيَّ الأُمة، وتُكشَفُ الغُمة، وترد الأمور إلى نصابها، وتقام الدولة المؤسسة على الإمامة العظمى، الموكل إليها تدبير أمور الناس، بما يليق من الحزم واليكاسة، وإحكام شروط التسيير والتدبير والسياسة، من حيث الإنصاف، وإقامة العدل، وحماية المستضعفين، ورفع المظالم، وحل الخلافات، وتضييق مجال النزاعات، وتنظيم شؤون الحياة.

ومن ثم كانت إقامة الإمام الأعظم، والخليفة الأحكم، من أوجب الواجبات؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب.

ولو لم يكن الأمر كذلك، لما أجمع الصحابة الكرام، بعد وفاته عليه الصلاة والسلام على إقامة الخلافة؛ لحفظ نظام الأمة، وتنفيذ الشريعة، «ولم يَنَازِعْ في ذلك أحد من الخاصة ولا من العامة؛ إلا الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى، من جفأة الأعراب، ودعاة الفتنة، فلمناظرة مع أمثالهم سُدَى»¹.

1- التحرير والتنوير (1: 399).

والحكمة في ذلك أن الاختلاف والتفرق المنهي عنه؛ إنما هو المؤدي إلى الفتنة والتعصب المقيت، وضرب الوحدة، وتشتيت الجماعة، وأما غيره من الاختلاف في الفروع وغيرها، فهو من محاسن الشريعة ومكارمها؛ ولذلك كان من أهم مقاصد القرآن الكريم: إصلاح المعتقد؛ لأن حالة الدين والمعتقد منها تأتي أسباب النهوض والسقوط؛ لقوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾¹؛ أي صدها عبادتها للشمس من دون الله عن الكمال العلمي والرشد الفكري، واستكمال الحضارة الصحيحة.²

إن التشريع العام والخاص، وتهذيب الأخلاق، وسياسة الأمة، التي تعتبر باباً عظيماً في القرآن الكريم، القصد منه صلاح الأمة، وحفظ نظامها، والإرشاد والتوجيه إلى جمع كلمتها،³ المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁴، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ بَرَّفُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾⁵، وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَبَشَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾⁶، وقوله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾⁷.

فكانت مداومة التأمل والنظر فيما يدعو إليه كتاب الله، لازمة للارتواء من ينابيعه، والاستمداد من هدايته وإرشاده، ودلائل كماله، ما به يتهيا العيش الكريم، ويتحقق الأمن والطمأنينة والسلم العميم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَفِيمَ﴾⁸.

وذلك أن كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من وحي إلهي، وبينات من الهدى والفرقان، يعتبر ديناً عاماً، صالحاً لكل زمان ومكان، لا طراد صلاح أصوله وقواعده لإقامة مصالح الدنيا والدين، والوفاء بالعهود، وعدم إخلاف الوعود، سواء تعلق الأمر بالخالق أو المخلوق، مهما كلف ذلك من جهد وتضحيات؛ لأن هذه المقتضيات، تدرج تحتها كافة العزائم والرخص والتعهدات والالتزامات، في ضوء مسيرة المتغيرات، ومجارات التحولات، ضماناً للاستمرارية في الحضور والتأطير، مصداقاً لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة...»⁹.

1- سورة النمل، الآية: 44.

2- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ص: 9. الشركة التونسية للتوزيع - الدار العربية للكتاب. 1977م.

3- التحرير والتنوير (1: 40).

4- سورة آل عمران، الآية: 103.

5- سورة الأنعام، الآية: 160.

6- سورة الأنفال، الآية: 46.

7- سورة الشورى، الآية: 35.

8- سورة التكوين، الآيتان: 27، 28.

9- صحيح مسلم: 33 - كتاب الإمارة، الباب الأول، ح. 10 - (1822).

وكفى بذلك شاهداً على ربانية تعاليم هذا الدين، الذي لا محيد للبشرية عنها؛ إن أرادت رشدتها، واستجابت لنداء ربها، فلا نهاية لمهمته وشريعته المحكمة العادلة، لأنها تراعي حقوق الأفراد والجماعات والأمم، بما يكفل للجميع حق العيش في الحياة الكريمة، والظروف الملائمة، في ظل واجب الطاعة للإمام الأعظم، حامي الإسلام باعتباره خاتم الأديان السماوية، إذ به يحفظ نظام الأمة، بما يحقق الغاية من خلقهم على أحسن تقويم؛ ليكونوا عند حسن ظن ربهم العظيم، فلا يحسبون أنهم خلقوا عبثاً، ولا يحملون رسالة، ولا يتحملون مسؤولية، ولا يسألون أبدأ؛ فإن ذلك خلاف الحكمة من خلقهم وإيجادهم، لقوله سبحانه: ﴿أَبَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَفْنَاكُمْ عَبَثًا﴾¹، وقوله جل وعلا: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾².

فكان لزاماً على الأمة، في ظل الأخذ بشرع الله، أن تتمسك بهدي رسول الله، الذي وجه أمته في كل الأمور المصيرية، التي يأتي منها الخلل، بسبب تحكيم الأهواء الموقعة في الزلل، لا سيما في أمر إقامة الإمام الأعظم، التي يقود سفينتهم إلى بر النجاة والأمان، بما ينتظم به أمر الخاص والعام.

فبناء على القواعد والضوابط المتحكمة إليها في هذا الصدد، من أجل ترسيخ أسباب التعايش والتواد، وتقوية روح التعاون والتضامن بين مختلف مكونات المجتمع وشرائحه، ودرء غوائل الكراهية والانتقام، وزرع روح التوافق والتلاؤم والانسجام، لتظل الأمة ثابتة الأركان، صامدة في وجه معركة الخير والشر، والحق والباطل، التي قد تفاجئ من لم يعد لها العدة، ويحسب لعواقبها ألف حساب، لما تجره من الفتن والمحن والكروب، ومن ذلك الإعداد المطلوب، والتحلي بالوفاء بالعهود، والتمسك بالثواب، والتفاني في خدمة الدين والوطن، والغيرة عليه، والعمل على جمع الكلمة ولم الشمل، والابتعاد عن مسببات الشقاق والفرقة والاختلاف.

فلا مكرمة فوق مكارم الدين الحنيف ومقاصده وفضائله، المترتبة على الاهتداء به باتباع أوامره واجتناب نواهيه، بترتيب الشهادات على المشهود به، ويأتي على رأس تلك المكارم، مقصد إمارة المؤمنين، المبني على واجب الطاعة المقرر في الدين، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا مِنْكُمْ﴾³.

فبعد أن أثبت الحق سبحانه وتعالى أمره بالحكم بين الناس بالعدل، بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾⁴، أعقبه بواجب الطاعة لأولي الأمر؛ لأن طاعة أولي الأمر مترتبة على ما أمر به من العدل، ترتب اللازم والملزوم، الذي به تكون الأمة برمتها، مطوقة بأداء حق الطاعة الواجب عليها للإمام

1- سورة المؤمنون، الآية: 115.

2- سورة القيامة، الآية: 35.

3- سورة النساء، الآية: 58.

4- سورة النساء، الآية: 57.

الأعظم؛ يقول الإمام علي رضي الله عنه: «حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدي الأمانة، وإذا فعل ذلك، فحق على الناس أن يسمعوا، وأن يطيعوا، وأن يجيبوا إذا دعوا».¹

قال الإمام النووي: «المراد بأولي الأمر، من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء، هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم».²

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني».³

ومن أجل قواعد دستور الإسلام، الجديرة بالاحترام، بيعة الإمام الأعظم، وولي الأمر الأنعم، الذي تعتد له البيعة الشرعية من الأمة، وتبايعه عن رضی وطوعية، على سنن ما بايع عليه الصحابة الكرام سيدنا محمدا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام في بيعة الرضوان، التي أساسها بذل السمع والطاعة للإمام، في المنشط والمكروه، واتباع أوامره ونواهيه فيما يرضي الله تعالى، ويحقق مصالح الدنيا والدين؛ قال الماوردي: «والإمامة من الحقوق العامة المشتركة بين حق الله تعالى وحقوق الآدميين».⁴

وأصل هذا الأمر وعمدته ومآله، أن أساس الحكم في الإسلام، يقوم على البيعة الشرعية، المؤصلة من صريح الكتاب، وصحيح السنة، وما أجمعت عليه الأمة.

فأما صريح الكتاب؛ فقوله تعالى: ﴿لَا الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾⁵؛ أي أن أخذك عليهم البيعة، ما هو إلا عقد لله عز وجل عليهم؛⁶ لأن المبايعة هي المعاهدة، بدليل قوله في باقي الآية: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يَكْفُرْ فَمِنَ الْأَعْدَاءِ﴾⁷؛ أي أن توفيق الله إياكم، ومعونته على مبايعتكم، لمن تولونه أمركم، تفوق مقدار وفائكم ببيعته وعهده؛ لقوله سبحانه:

1- جامع البيان لابن جرير الطبري ت. شاكر (8: 490).

2- شرح النووي على صحيح مسلم (12: 223).

3- صحيح البخاري: 93 - كتاب الأحكام، - باب قول الله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم). ح. 7137/ صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء. ح. 33 (1835).

4- الأحكام السلطانية، ص: 28.

5- سورة الفتح، الآية: 10.

6- معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت. 311هـ) (5: 22).

7- سورة الفتح، الآية: 10.

﴿وَمَا التَّضَرُّ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾¹؛ أي أن النصر مقصور استمداده على جهة واحدة، وهي أنه لا يكون إلا من عند الله العزيز الحكيم، وأن من انخرق عن الجماعة، وخرج عنها ناكثاً للبيعة؛ فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتله جاهلية، ومن خرج على أمتي، يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفني لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه»².

والحديث يأمر بالوحدة، ولم الشمل، ويحذر من التفرقة، ومغبة الفتن العمياء، التي يتستر وراءها أصحاب الأغراض المنحطة، والأهواء الركيكة، العائدة إلى حمية الجاهلية، التي تتمكن من العقول، ولا تدع لها فرصة التفكير في المآلات، والعواقب غير المحسوبة للتصرفات؛ «والحمية: الأنفة؛ أي الاستنكاف من أمر؛ لأنه يراه غضاضة عليه، وأكثر إطلاق ذلك على استكبار لا موجب له؛ فإن كان لموجب فهو إباء الضيم»³ قال تعالى: ﴿أَبْحُكُمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوفُونَ﴾⁴.

وقد جمع الحق سبحانه وتعالى في آية سورة الفتح بين المبايعة والمعاهدة؛ ليعلم أن المبايعة والمعاهدة سواء⁵؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾⁶، وقوله جلّ ذكره: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟﴾⁷ أي: لا أحد أوفى وأصدق بعهده من الله؛ إن وفيتم أنتم بعهده الذي عهد عليكم⁸.

هذا فضلا عن أن صريح قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾⁹ ينطق بأن المبايع لا يبايع في حقيقة الأمر إلا الله تعالى، وهو كقوله سبحانه: ﴿مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾¹⁰.

1- سورة آل عمران، الآية: 126.

2- صحيح مسلم: 33 كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة. ح. 53 - (1848).

3- التحرير والتنوير (26: 193).

4- المائدة، الآية: 52.

5- تأويلات أهل السنة للماتريدي (9: 298).

6- سورة الإسراء، الآية: 34.

7- سورة التوبة، الآية: 113.

8- تأويلات أهل السنة (5: 487).

9- سورة الفتح، الآية: 10.

10- سورة النساء، الآية: 79.

وأما صحيح السنة: فأصل البيعة فيها حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، الوارد في الموطأ والصحيحين وغيرهما؛ ولفظه من رواية يحيى بن يحيى الليثي المصمودي الطنجي عن الإمام مالك، حدثني عن مالك، عن يحيى بن سعيد، قال: أخبرني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه، عن جده، قال: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في السر والعسر، والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول، أو نقوم بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم».¹

ولفظه عند البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت، قال: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم».²

وأما إجماع الأمة على إقامة الخليفة والإمام الأعظم، فهو أمر جرى به العمل منذ عهد الصحابة الكرام، الذين لا يخفى ما بذلوه في سبيل الله من راحتهم، ومهجهم، وأمواهم، وأولادهم، وأقاربهم، لنصرة الإسلام ودعوته، والامتنال لأوامره، واجتناب نواهيه، والتضحية من أجل إقامة شريعته، واتباع منهجه، في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده؛ فعلى الرغم من شدة وقع صدمة وفاته عليهم؛ فإنهم نظروا إلى تقديم التشاور في أمر الخلافة، على أمر الاشتغال بالدفن ومستلزماته، حتى إنهم أجَّلوا الدفن إلى اليوم الموالي، وذلك بعد أن تستقر الأمور بإسناد الخلافة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، الذي سبق أن استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم إماماً على الناس في الصلاة.

ولما كانت الإمامة الكبرى هي أعظم إمامة؛ وأن الإمام هو الذي يحصل به الأم؛ أي القصد إلى أقوم الطريق؛ فإن القرآن الكريم قد أشار إلى طلب سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام من ربه أن تكون الإمامة في ذريته؛ قاصداً بها جميع أنواعها، بحسب ما تهيأ فيهم: من رسالة، وملك، وقدوة، وأقلها إمامة الرجل وقودته لبنيه، وأهل بيته، وتلاميذه، وطلبته.³

فالإمامة العظمى، لها مسؤوليات واسعة وجسيمة، تتيح لها الكثير من الصلاحيات، تمكنها من توزيع المهام عبر إحداث المؤسسات، التي تشتغل تحت إمرتها، من أجل تحقيق المصلحة العامة، وتوفير ظروف العمل والاستقرار، وخلق أجواء السكينة والطمأنينة والهناء، والأمن والأمان، ودرء الاختلاف والفتن؛ لأن الإمامة العظمى، موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين، وسياسة الدنيا؛ انطلاقاً من إقامة الشعائر الدينية، وإنابة من

1- الموطأ: 21- كتاب الجهاد، 1- الترغيب في الجهاد. ح. 1288. منشورات المجلس العلمي الأعلى، ط. 1. النجاج الجديدة 1434 هـ/2013 م.

2- صحيح البخاري باب كيف يبايع الإمام الناس. ح. 7199/ صحيح مسلم، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية. ح. 41 - (1709).

3- التحرير والتنوير (1: 704). (بتصرف).

يقوم بها؛ والسهر على حماية البلاد ودفع المكاره عنها، ورعاية مصالح الناس بتدبير شؤونهم، ومستلزمات عيشتهم الكريم، مع الحفاظ على ما يلزم للإمامة العظمى من الشوكة والغلبة، الضامنة لتثبيت واجب الطاعة المستحق للإمام الأعظم شرعا وعقلا.

فأما شرعا؛ فهو ما اتضح مما أشرت إليه من صريح النصوص وصحيحها، وإجماع الصحابة الكرام، على نصب الإمام، بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، بل جعلوا ذلك أهم الواجبات، وأن اختلافهم عند التشاور في تعيين الخليفة، لا يقدح في إجماعهم عليه؛ وهو ما استشعره أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد توليته، فقد قام خطيبا في الناس، حامدا الله تعالى ومثليا عليه، قائلا:

«أما بعد، أيها الناس؛ قد وليت أمركم، ولست بخيركم، ولكن نزل القرآن، وسن النبي صلى الله عليه وسلم السنن، فعلمنا فعملنا. اعلموا أن أكيس الكيس التقوى، وأن أحق الحق الفجور، وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي، حتى آخذ منه الحق. أيها الناس؛ إنما أنا متبع ولست بمبتدع؛ فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني»¹.

ذاك هو تصور الصحابة الكرام، لما ينبغي أن يكون عليه الإمام، مما يدل على أنهم مدركون لسر الإمامة العظمى ومقاصدها، ومجمعون على عقدها لمن أجمعت عليه الأمة، وأنه يبايع ويعاقد على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأن لا ينازع المبايع الأمر أهله، وأن يقوم أو يقول بالحق حيثما كان، لا يخاف في الله لومة لائم².

وكما تصح البيعة مصافحة، تصح أيضا كتابة، وهو ما فعله سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حين كتب إلى الخليفة الأموي الخامس عبد الملك بن مروان (ت. 86هـ) يبايعه، قائلا: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، لعبد الملك أمير المؤمنين، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأقر لك بالسمع والطاعة، على سنة الله، وسنة رسوله، فيما استطعت»³.

وقد ساق الحافظ ابن عبد البر القرطبي في كتابه الاستذكار، شرط أبي بكر الصديق في بيعته مما رواه أبو المعيقب، قال: «شهدت أبا بكر الصديق يبايع الناس بعد نبي الله صلى الله عليه وسلم، فتجتمع عنده العصابة، فيقول لهم: أتبايعون على السمع والطاعة لله، ولكتابه، ثم للأمر؟ فيقولون: نعم، قال: فتعلمت شرطه هذا، وأنا

1- الطبقات الكبرى لابن سعد، ط. العلمية (3: 136).

2- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (16: 348).

3- الموطأ: 45 كتاب الجامع، 69 ما جاء في البيعة، الأثر: 2767.

كالمحتلم أو فوقه، فلها خلا من عنده، أتيته فابتدأته فقلت: أبايعك على السمع والطاعة لله، ولكتابه، ثم للأمر، فصعد في البصر، ورأيتُه أعجبه!«¹

وساق أيضا شرط عمر بن الخطاب في بيعته عن عاصم الأحول، عن عمر، أو عمرو بن عطية، قال: «أُتيت عمر بن الخطاب وأنا غلام، فبايعته على كتاب الله، وعلى سنة رسوله، هي لنا، وهي علينا! فضحك، وبايعني.»² وأما عقلا؛ فلأن من طباع العقلاء، التسليم باتخاذ زعيم، يكون له الأثر الكبير في دفع الاختلاف والفتن، والحيلولة دون سفك الدماء وحماية المتاع، ويكون حكما بينهم في النزاع؛ ليتبأ لهم بذلك أن يذوقوا طعم الحياة والاستقرار، ويتجنبوا مغبة العيش في الفوضى العارمة، التي لا يستقيم معها أمر، ولا يصلح بها شأن. فاتضح أن وجه وجوب اتخاذ الإمام الأعظم على المستويين الشرعي والعقلي، هو ميسر الحاجة إليه دينيا ودنيويا؛ فقد أمر صلى الله عليه وسلم بإقامة الحدود، وسد الثغور، وتجهيز الجيوش، وحماية البيضة، ونص كبار أئمة الأمة وعلمائها، على وجوب طاعة الإمام الأعظم، الذي بايعته الأمة واجتمع عليه أمرها.

يقول صاحب الأحكام السلطانية: «إن الله جلت قدرته، ندب للأمة زعيما خلف به النبوة، وحاط به الملة، وفوض إليه السياسة؛ ليصدر التديير عن دين مشروع، وتجتمع الكلمة على رأي متبوع، فكانت الإمامة أصلا عليه استقرت قواعد الملة، وانتظمت به مصالح الأمة، حتى استثبتت بها الأمور العامة، وصدرت عنها الولايات الخاصة، فلزم تقديم حكمها على كل حكم سلطاني، ووجب ذكر ما اختص بنظرها على كل نظر ديني؛ لترتيب أحكام الولايات، على نسق متناسب الأقسام، متشاكل الأحكام.»³

وأما صاحب معالم السنن فقال: «إنه لا بد للناس من إمام، يقوم بأمر الناس، ويمضي فيهم أحكام الله، ويردعهم عن الشر، ويمنعهم من التظالم والتفاسد..، وكل ذلك يدل على وجوب الاستخلاف ونصب الإمام..، فالاستخلاف سنة اتفق عليها الملأ من الصحابة، وهو اتفاق الأمة، لم يخالف فيه إلا الخوارج والمارقة، الذين شقوا العصا، وخلعوا ربقة الطاعة.»⁴

ونبه القاضي أبو بكر بن العربي في أحكامه بقوله: «إذا عقد الإمام بما يراه من المصلحة أمراً، لزم الرعايا حكمه، فإذا رضوا به، كان أثبت لنسبته إليهم، كما نسب عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين؛ لكونهم به راضين.»⁵

1- الاستذكار (8: 544).

2- المصدر نفسه.

3- الأحكام السلطانية، ص: 13.

4- معالم السنن شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد الخطابي (ت. 388هـ) (3: 6).

5- أحكام القرآن (3: 448).

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتصرف في الشأن العام بحسب النظر إلى المصلحة؛ فكان «يسري، ويدلج»¹، ويترفق، ويستعجل، قدر الحاجة، وحسب العجلة، وما تقتضيه المصلحة»²

انعقادها: ومن أجلّ الشؤون التي تظهر فيه مراعاة الشريعة للمصلحة المرسلّة، شأنُ الإمامة العظمى وولاية العهد، فكما تتعقد الإمامة العظمى في ظل دستور الإسلام بالبيعة الشرعية، تتعقد أيضا بولاية العهد، وهو مما انعقد الإجماع على جوازه، ووقع الاتفاق على صحته؛ لأمرين عمل المسلمون بهما، ولم يتناكروهما:

أحدهما: أن أبا بكر شاور أهل الحل والعقد والمشورة، وهم أعيان العصر، الذين أكدوا له أن يعهد بها إلى عمر، فأثبت المسلمون إمامة عمر في عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنهما، مشورة وإجماعا.³

والثاني: أن عمر عهد بها إلى أهل الشورى، فقبلت الجماعة دخولهم فيها، وهم أعيان العصر أيضا، اعتقادا لصحة العهد بها، وخرج باقي الصحابة منها، وقال الإمام علي لعنه العباس رضي الله عنهما حين عاتبه على الدخول في الشورى: «كان أمرا عظيما من أمور الإسلام، لم أر لنفسي الخروج منه».⁴

فصار العهد بها إجماعا في انعقاد الإمامة، فإذا أراد الإمام أن يعهد بها، فعليه أن يُجهد رأيه في الأحق بها، والأقوم بشروطها؛ فإذا تعين له الاجتهاد في واحد نظر فيه؛ لأن اختياره في ذلك أمضى، وقوله أنفذ؛ كيف لا وهو ولي أمر الأمة، الذي تجب طاعته.

وقال الشيخ محمد المكي الناصري: «فأله تعالى أعلم بمصلحة الإنسان من الإنسان بنفسه، وأرحم به من نفسه التي بين جنبيه، وخالق الإنسان، أولى من غيره بهداية الإنسان»⁵؛ وهذا مما لا يترك مجالا لمن يحاول بشدة فصل الدين عن شؤون الحياة، وبخاصة ما يتعلق بالسياسة الشرعية وفقهها.

وهكذا وبرجعنا إلى رصيدنا الزاخر من تاريخ بلدنا، ومسلّك أجدادنا في إمارة المؤمنين؛ فإننا نستطيع أن نستفيد، ونستقي من معين احترامهم للقواعد والضوابط المنظمة لهذا الشأن على وجه الخصوص، المعظم في سلوكهم شرعا، وعقلا، وحسا، ومعنى، تأكيداً لما جاء به الشرع الحكيم في هذا الصدد من مقومات، ومما اعتمدوه ورسموه بالتطبيق له من معالم ومحطات، الدالة على سلامة المقصد، وسداد الاستمداد والاعتماد،

1- الدّجة: بفتح الدال المشددة: السير ليلا، وبضمها: السير آخر الليل/ أساس البلاغة للزمخشري، مادة: دل ج.

2- أحكام القرآن (4: 118).

3- الأحكام السلطانية للماوردي، ص: 30.

4- الأحكام السلطانية للماوردي، ص: 31

5- التيسير في أحاديث التفسير (4: 61).

ومعبرة عن إجماعهم على هذا الأمر في مختلف الجهات، مهما اختلفت بهم الألسنة وتتنوع المناطق والبيئات، فهم جميعاً على الالتزام الدائم، والوفاء المستمر بعقد البيعة الشرعي، الذي تبناه آباؤهم وأجدادهم من قبلهم، فساروا فيه على منوالهم، بتقديم فروض الولاء والطاعة لمن ولاه الله تعالى أمرهم، وذلك عن اقتناع وتلقائية، وحب وتعلق وطواعية، تقديراً لمن أناط الله به تحمل أعلى مسؤولية، استناداً إلى ما في الكتاب والسنة النبوية، واستلهاماً من السيرة العطرة، وتاريخ الخلفاء الراشدين المهديين، وما توصل إليه الأئمة الأعلام من عهد التابعين، إلى عهد الشرفاء الأدارسة، ومن وليهم إلى عهد الشرفاء العلويين، آخذين بعين الاعتبار، وضع مميزات ذلك المسار، من التجارب النادرة المثال، الحافل بما سجله التاريخ الحضاري، والاجتماع البشري والعمراني لهم من منجزات، واعترف لهم به من جليل الاختيارات، دالة على مدى وعي الأجداد، بما لقيمة المحافظة على ثوابت الأمة من أثر لا يقدر بثمن، في جعل الناس آمنين مطمئنين على أرواحهم ومتاعهم وأعراضهم، في وطنهم وربوع بلادهم، علماً بأن هناك من لا يوفر لنفسه وعقله، فرصة النظر في هذه الأمور، الضامنة لمصير الأمة ومستقبلها، وما لها من أهمية ومردودية، في توفير نعمة الاستقرار في حياة الإنسان، فقد يجازف البعض بنفسه ويتمادى في غيه، في تعميم نظرة سلبية أحادية، تستنقص وتستبعد كل ما له صلة بالهوية، بدعوى ناطقة بقصور النظر والاستلاب، والانسلاخ والاستغراب، ترى أن إعادة البناء للمستقبل، تبتدئ مما عند الآخر بالكلية، وهي دعاوى لا يخفى تهافتها، وما تحمله في ثناياها من مآلات السقوط؛ لما تتصوره من أمة ومجتمع مقطوع عن أصوله وجذوره، والحال أنه يتمتع برصيد عريق وثمين، قلما يتوفر لغيره من الشعوب الأخرى، علمياً، وتاريخياً، وحضارياً، وعمرانياً، وثقافياً، وغير ذلك مما يصح أن يعتمد الإيجابي منه ويبني عليه؛ ومن ثم فإنه يجدر بمن يحدث غيره في ثوابت الأمة ومقدساتها، أن يكون على دراية كافية برسوخها، ومدى وعي المواطنين بسلامة مساراتها، وملاءمتها لاختياراتهم، ومناسبتها لمسيرة عصرهم.

فإن من أسلمت له الأمة زمامها، وأسلمت له قيادها، وجبت طاعته عليها، في كل ما يستلزمه الأمر من جهتها، فذاك هو الحق الثابت المتعين، الذي لا يسوغ رده ولا إنكاره؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مَوْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾¹.

ومن حسن طالع هذا البلد الأمين، وألطف الله الخفية به، أن قيض له على مر العصور والدهور، سلاطين وملوكاً، من العترة النبوية، ورجالات الدوحة الشريفة العلوية، الذين قاموا بحماية الأوطان، وجلبوا العزة والنصرة والخير والأمان، فكانوا بفضل الله تعالى خير خلف لخير سلف.

1- سورة الأحزاب، الآية: 36.

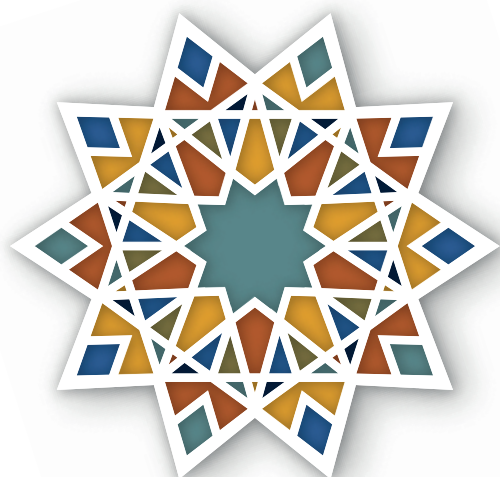
وإن الواقف على منجزاتهم الخالدة، وتاريخهم المنيف، ليدرك مدى إخلاصهم وتفانيهم في خدمة أمتهم، وتواضعهم وتمازجهم مع مختلف فئات شعبهم، كما يدرك تمام الإدراك، أن في هذه العطرة النبوية المطهرة، سرّاً من أسرار الله تعالى؛ ولذلك نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إكرام وإجلال أهل بيته الشريف، واعتبار حبهم من حب الله ورسوله؛ فكانت الإمامة فيهم؛ باعتبارهم عمار بيت الله الحرام، وسادة قريش؛ وهم آل بيته صلى الله عليه وسلم وذووا قرباه، الذين قال الله تعالى عنهم في كتابه العزيز: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾¹؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة في جميع قريش، فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه قال: «يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني، فاحفظوا قرابتي فيكم، لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظي ونصرتي منكم»².

وكما ساق الله تعالى خيره العميم للناس أجمعين، على يدي جدهم النبي الأمين، فلا بد أن يسوق لهم أيضاً، وبالتمع، على أيدي أبناء بيت النبوة الخير الكثير، والنفع العميم، وعلى رأسه جمع شمل أمر المسلمين، وتوحيد كلمتهم، في كل عصر وحين؛ لتحقيق بهم المعجزة النبوية، وثتعلق بهم الأمة في البيعة المرضية.

وإن المناسبة الوطنية والدينية التي تظلنا، وهي مناسبة عيد العرش المجيد، الذي يوافق الذكرى السادسة والعشرين لتربع مولانا أمير المؤمنين، صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، على عرش أسلافه المنعمين، لمن المناسبات الغالية على قلوب المغاربة قاطبة، الذين درجوا على إعطائها ما تستحق من الاحتفاء والاحتفال المنظم، والإنصات والإصغاء بكل عناية واهتمام، لما يتخفهم به عاهلهم الهمام، في خطاب العرش الجامع المانع، لكل ما تحقق من منجزات، وما يرسمه من خريطة الطريق لما ستقدم عليه البلاد من استحقاقات. حفظ الله مولانا الإمام بما حفظ به الذكر الحكيم، وأقر عينه بسمو ولي عهده، الأمير الجليل مولاي الحسن، وشد أزره بصنوه السعيد صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، وببإقي أسرته الملكية الشريفة. إنه سميع مجيب.

1- سورة الشورى، الآية: 21.

2- جامع البيان لابن جرير الطبري ت. شاكر (1: 524).



الجهود المباركة لمولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله في العناية بالشأن الديني

ذ. محمد الشنتوف

رئيس المجلس العلمي المحلي لتطوان

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحابه أجمعين، وبعد:

فإن الشعب المغربي يخلد في يوم 30 يوليوز الذكرى السادسة والعشرين لتربع مولانا أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، على عرش أسلافه المنعمين.

وتعتبر هذه المناسبة الغالية عيداً وطنياً لكل المغاربة يحتفلون به في جميع الجهات والأقاليم والعمالات والمدن والقرى، احتفالاً كبيراً يبرز مدى تعلق الشعب بملكه، كما يرمز إلى اعترافه بفضائل هذا الملك العظيم المنتسب إلى الأسرة العلوية الشريفة، المنتمية لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإن هذه الذكرى محطة مهمة لتجديد البيعة والوفاء لأمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، والتذكير بالمنجزات الهامة والأوراش الكبرى التي تحققت في عهده في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية، والثقافية والدينية، والتي أسهمت في تنمية الدولة المغربية وتقدمها وازدهارها، وبوأتها مكانة مرموقة بين دول العالم.

وسنتطرق في هذا المقال إلى بعض الجهود المباركة لمولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، في العناية بالشأن الديني، وذلك من خلال ثلاثة محاور:

- المحور الأول: إمارة المؤمنين، المفهوم، والتأصيل والأهمية.
- المحور الثاني: البيعة، المفهوم، والتأصيل والأهمية.
- المحور الثالث: بعض الجهود المباركة لمولانا أمير المؤمنين في العناية بالشأن الديني.

المحور الأول: مفهوم إمارة المؤمنين، وتأصيلها وأهميتها

أولاً - مفهوم إمارة المؤمنين

إن عبارة إمارة المؤمنين تعد إحدى الأسس المكونة والمشكلة للهوية المغربية، وهي كما عرفها العلامة عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله بقوله: «هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليهم؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»¹.

وقال العلامة ابن زكري رحمه الله: «حقيقة الإمامة الرياسة *** في الدين والدنيا مع السياسة»².

إن مفهوم «إمارة المؤمنين» في النظام الإسلامي، مصطلح شرعي معناه: القيام على شؤون الرعية بما يصلحهم دنيا وأخرى وهي أعلى منصب في نظام الحكم الإسلامي.

وقد نص الدستور المغربي الجديد الصادر عام 2011م في الفصل الحادي والأربعين على أن: «الملك أمير المؤمنين وحامي حامي الملة والدين والضامن لحرية ممارسة الشؤون الدينية».

ويعتبر دستور 2011م أن مؤسسة إمارة المؤمنين هي الإطار الدستوري والأساس الشرعي لدولة الخلافة بالمملكة المغربية، والتي يقوم فيها الحكم على منهج البيعة الشرعية اقتداء بسنة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة حينما بايعوا الخليفة أبا بكر رضي الله عنه، وهو المسلك الذي نهجه المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني على غرار أسلافه الميامن. لذلك شكل نظام البيعة إحدى القواعد الأساسية التي استمدت منها إمارة المؤمنين مشروعيتها.

ثانياً - الأصل الشرعي لإمارة المؤمنين

إن تنصيب أمير المؤمنين واجب شرعي بالكتاب والسنة والإجماع والعقل، لضمان سير أمور الدنيا والدين، وتحقيق مقاصد الشرع الحنيف؛ حيث نجد ضمن كتابه تعالى قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾³.

1- تاريخ ابن خلدون، ص 239.

2- منظومة ابن زكري العقدية، المسماة بحصل المقاصد مما به تعتبر العقائد، ص 39.

3- سورة النساء، الآية: 58.

والمراد بـ ﴿أَوَّلِي الْأَمْرِ﴾ عند جمهور المفسرين، الأمراء والعلماء، وكلا الأمرين يتحققان في أمير المؤمنين، فهو الحاكم الشرعي للبلاد، كما يتفضل بترؤس المجلس العلمي الأعلى بموجب الظهير الشريف رقم 1.80.270 المؤرخ في 3 جمادى الأولى 1401هـ/1981م.

وفي السنة نجد أحاديث كثيرة تحت على تنصيب الإمام وطاعته، منها: عن عبادة بن الصامت قال: «دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان»¹.

وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»².

فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولى أحدهم، كان هذا تنبيها على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك³.

وقال عليه السلام: «ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»⁴.

ولا خلاف بين علماء المسلمين على وجوب تنصيب إمام المسلمين، وقد حكي الإجماع على ذلك أهل التحقيق من العلماء، قال أبو الحسين الماوردي رحمه الله: «وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع وإن شذ عنهم الأصم»⁵.

وقال العلامة ابن خلدون رحمه الله: «أن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين»⁶.

1- متفق عليه واللفظ لمسلم، صحيح البخاري، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَرُونَ بَعْدِي أُمُورًا تُكْرَهُنَّ»، رقم 7055، وصحيح مسلم، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، رقم 1709.

2- رواه أبو داود، بَابُ فِي الْقَوْمِ يُسَافِرُونَ يُؤْمَرُونَ أَحَدَهُمْ، رقم 2609.

3- مفكرة الإمام ومرشدة المأموم، منشورات المجلس العلمي الأعلى، 2018م، ص 54.

4- رواه مسلم، كتاب الإمارة ووجوب ملازمة جماعة المسلمين، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، رقم 1851.

5- الأحكام والسلطان والولايات الدينية، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد جاسم الحديثي، ص 5.

6- المقدمة لابن خلدون، تحقيق درويش جويد، ص 174، المكتبة العصرية، بيروت، ط 2000م.

أما العقل فإن حياة الأمة ورعاية مصالحها الدينية والدنيوية لا تستقيم إلا بوجود إمام حاكم يرفع شؤونها ويدير مصالحها وفق ما أمر به الله تعالى من الأحكام الشرعية.

ثالثا - أهمية إمارة المؤمنين

لإمارة المؤمنين أهمية كبيرة تتجلى في حفظ الدين والملة والوطن، وتحقيق الأمن وإقامة العدل، وصيانة الحقوق وحفظ الحرمات، وحماية حياة الناس وممتلكاتهم وأعراضهم من الاعتداء والانتهاك، والحفاظ على وحدة البلاد وصيانتها من الفرقة والنزاع، وحماية حوزة البلاد والدفاع عنها، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا﴾ [آل عمران: 102].

فبالسلطان تتحقق مصالح الناس الدينية والدنيوية، وتضامن حرمتهم، وعليه تجتمع كلمتهم، ويستقر نظامهم، وتحمى بيضتهم وتسد ثغورهم، وترفع منازعتهم، وتقام فيهم الأعياد والجمعات والجماعات، وإقامة المعاملات من المناكحات والبيوع وغيرها من المصالح الاجتماعية، والأمنية، والاقتصادية، والسياسية...

المحور الثاني: البيعة، المفهوم والتأصيل والأهمية

أولا - مفهوم البيعة

البيعة من القضايا التي نالت اهتمام علماء الإسلام، باعتبارها ضاربة في جذور تاريخ النظام السياسي الإسلامي، وضرورية في إضفاء الشرعية على الإمامة العظمى. وعرفها في اللغة ابن منظور، رحمه الله، بقوله: «والبيعة الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة والبيعة المبايعة والطاعة وقد تبايعوا على الأمر: كقولك أصفقوا عليه، وباعه عليه مبايعة، عاهده وبايعته من البيع والبيعة جميعا، والتبايع مثله، وفي الحديث أنه قال: ألا تبايعني على الإسلام؟ هو عبارة عن المعاهدة والمعاهدة كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره»¹.

وفي الاصطلاح عرفها ابن خلدون رحمه الله بقوله هي: «العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكروه»².

ومعنى البيعة في الاصطلاح الشرعي هو إعلان الرضا بالخليفة³.

1- لسان العرب - مادة بيع، ج 8/26.

2- المقدمة، ص 209.

3- حضارة العرب لمصطفى الرافعي، ص 144.

وكان الناس في السابق إذا بايعوا الأمير جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد، فأشبه ذلك عقد البائع والمشتري وصارت البيعة تقترن بالمصافحة بالأيدي¹.

ثانياً - التأصيل الشرعي للبيعة

استمد العلماء مشروعية البيعة من القرآن والسنة والإجماع، فمن القرآن استدلوأ: بقوله تعالى: ﴿لَا الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾².

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفَنَّ وَلَا يُزْنِينَ وَلَا يُفْتَلَنَّ أَوْلَآدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾³.

ومن السنة وردت أحاديث كثيرة تحت على بيعة الإمام وطاعته منها: قوله صلى الله عليه وسلم: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»⁴.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنقه الآخر»⁵.

وقد أجمع المسلمون على أن تعيين الخليفة يتم بالبيعة أي بالاختيار والاتفاق بين الأمة ممثلة في أهل الحل والعقد وبين شخص الخليفة، فهي إذن عقد من العقود التي تبرم بين إرادتين على أساس الاختيار والرضا⁶.

«وأهل الحل والعقد هم الذين يمثلون الأمة في اختيار الخليفة، باعتبار أن نصب الإمام من الفروض الكفائية على الأمة بمجموعها يتقدمهم العلماء المختصون (أهل الاجتهاد) والرؤساء، ووجوه الناس وأعيانهم»⁷.

1- المقدمة، ص 209.

2- سورة الفتح، الآية: 10.

3- سورة الممتحنة، الآية: 12.

4- رواه مسلم - 1844.

5- رواه مسلم - 1853.

6- البيعة في الإسلام وخصوصيات بيعة أهل المغرب لأئمتهم، للعلامة الدكتور محمد يسف، موقع المجلس العلمي الأعلى.

7- نفس المرجع.

ولأهل المغرب الأقصى خصوصيات يتميزون بها عن غيرهم فيما يخص بيعات ملوكهم منها:

- أن تكون البيعة مكتوبة، ويشهد بها عدول الأمة وقضاتها على المبايعين بالسمع والطاعة للإمام، والتزامه بأداء وظائف الإمامة كاملة غير منقوصة، وينتقي لإنشائها أرفع الكتاب ويدعى لكتابتها أحسن الخطاطين.
- ومنها: أن نصوصها كانت تعلق في صدر أقدس الأمكنة بالبلد كالمساجد الجامعة والأضرحة المتبرك بها إعلاناً لشرعيتها وإشارة إلى دوامها واستمرارها¹.

ثالثاً - أهمية البيعة:

فالبيعة لأمر المؤمنين لها أهمية كبيرة في الإسلام، بمقتضاها يتم العقد بين الحاكم والمحكومين، يعطي أمير المؤمنين العهد على نفسه أن يسوس المسلمين بالحق والعدل وأن يرعى مصالحهم، ويتعهد المسلمون على أنفسهم أن يسمعوا ويطيعوا وأن ينصحوها ويحييوا، وفي كل واحد من الطرفين ملتزماً بما ألزم به نفسه، لا ينكث عهده، ولا ينقض ميثاقه. وقد حذر الله من نقض البيعة بقوله تعالى: ﴿بِمَنْ نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثْ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾²، أي من خان عهده بعد البيعة فسيرجع ضرر الخيانة عليه؛ لأنه حرم نفسه ثواب الوفاء بالعهد وألزمها عقاب الخيانة.

المحور الثالث: الجهود المباركة لمولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله في العناية بالشأن الديني.

مما لا شك فيه أن بلدنا ولله الحمد، تحققت فيه إنجازات كثيرة ومهمة، وأوراش كبرى بفضل الحكمة المتبصرة والتدبير الرشيد لمولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس حفظه الله في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية والاجتماعية والدينية، بوأت بلدنا مكانة مرموقة بين دول العالم، وسأذكر في هذه المقالة الوجيزة بعض مكرماته وفضائله وإنجازاته في الشأن الديني الذي يعتبر من أجل المجالات وأقدسها عند المغاربة المعروفين بتمسكهم بدينهم ووطنهم واختياراتهم المذهبية؛ المتمثلة في مكون العقيدة على مذهب أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة والجماعة، ومكون الفقه على مذهب الإمام مالك، عالم المدينة وإمام دار الهجرة، ومكون التصوف على طريقة الإمام الجنيد سيد الطريقة، ومكون إمارة المؤمنين المبنية على البيعة الشرعية والحامية للملة والدين.

1- نفسه.

2- سورة الفتح، الآية: 21.

ولقد أصبح تدبير الشأن الديني في المغرب المتميز بالوسطية والاعتدال والتسامح نموذجا يحتذى به، واستفادت منه الكثير من دول العالم.

وأشير إلى أن تتبع واستقصاء جميع الإنجازات في الشأن الديني في العهد المحمدي الزاهر يحتاج إلى بحوث كثيرة، ومن باب ما لا يمكن إدراكه كله لا يترك جله أو بعضه، سأقتصر على ذكر الإنجازات الآتية:

• إعادة توسيع هيكلية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وتطوير أساليب عملها سواء على مستوى شبكة الإدارات والمصالح الخارجية، أو على مستوى الإدارة المركزية من خلال إضافة مديريات جديدة تضمن السهر المباشر على المجالات الحساسة لشؤون المساجد ومجال التعليم العتيق والقيمين الدينيين، مما استدعى إحداث مديريات جديدة؛ مثل مديرية المساجد، ومديرية التعليم العتيق، ومديرية تدبير شؤون القيمين الدينيين.

• هيكلية المجلس العلمي الأعلى بموجب الظهير الشريف الصادر سنة 2004م، وإعادة تجديد هيكلته بموجب الظهير الشريف الصادر سنة 2023م، اللذين جعلتا من مؤسسة العلماء مؤسسة دستورية قوية مركزيا وجهويا، وتم إحداث المجالس العلمية الجهوية والمحلية في كل الجهات والأقاليم ورفع عدد الأعضاء فيها مع إدخال العنصر النسوي إليها ليم - كما جاء في الخطاب السامي لمولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله - «الارتقاء بالخطاب الديني إلى ما تتوخاه، بحيث يستوعب الحياة المعاصرة ويحصن شبابنا من فقدان المرجعيات واستغلال الدخلاء والمتطرفين» من خطاب أمير المؤمنين بمناسبة ترأسه الدورة السابعة للمجلس العلمي بتطوان بتاريخ 27 شتنبر 2008م.

• إحداث الهيئة العلمية المكلفة بالإفتاء في 22 أبريل 2004م، بهدف «قطع دابر الفتنة في الشؤون الدينية بغية تحصين الفتوى التي هي أصح مقومات الشأن الديني من خلال جعلها عملا مؤسساتيا قادرا على مواجهة إكراهات التعامل مع حقائق الواقع الاجتماعي والسياسي»¹.

• إحداث المجلس العلمي الأوربي بموجب الظهير الشريف (1.08.17) الصادر في (20 شوال 1434هـ/20 أكتوبر 2008م) وقد حدد هذا الظهير مهام المجلس العلمي المغربي لأوروبا وتركيبته وسير عمله وموارده والفروع المحلية التابعة له.

1- الظهير الشريف رقم 1.03.300 الصادر في ربيع الأول 1425هـ/22 أبريل 2004م، في سياق المادة بتنظيم المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية المحلية.

• إحداث مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف بموجب الظهير الشريف (1.09.118) الصادر في (8 ربيع الأول 1431هـ)، الذي اعتبر هذه المؤسسة هيئة وطنية ذات مرجعية عليا في مجال الإعداد العلمي المادي والفني لنسخ المصحف الشريف ونشره وتسجيله عن طريق مختلف الدعائم المتعددة الوسائط.

• إنشاء جهاز إعلامي سمعي بصري، متمثل في إذاعة محمد السادس للقرآن الكريم في أكتوبر 2005م، والموقع الإلكتروني للمجلس العلمي الأعلى، وكذلك الموقع الإلكتروني لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بغية توفير محتوى إعلامي يكون قادرا على تجديد أمر الدين وخدمة الثوابت والاختيارات المذهبية المغربية، والارتقاء بالخطاب الديني بلغة واضحة ميسرة للجميع بعيدا عن الغلو والتنطع. ثم التصدي للتيارات الوافدة عبر القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي.

• إحداث منصة محمد السادس للحديث النبوي الشريف في 09 ماي 2022م، لإبراز جهود علماء المغرب وعنايتهم بالحديث رواية ودراية على مر التاريخ، وتسيلا لعملية البحث والتحقيق على درجة الأحاديث من حيث الصحة والضعف، للاستغناء عن البحث في مصادر أخرى تكون غير آمنة...¹.

• إحداث معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات بموجب الظهير الشريف عام 1435هـ/2014م.

• إعادة هيكلة دار الحديث الحسنية بالرباط بموجب الظهير الشريف عام 2005م، لتصبح تابعة لجامعة القرويين.

• إصلاح التعليم العتيق، وتطوير مناهجه وبرامجه وتحديث أسس وآليات تسييره، ودعم بنياته التحتية وتجهيزها بالمعدات والوسائل التربوية والثقافية والاجتماعية.

• إحداث مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة التي يرأسها مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس، نصره الله، للعناية بالشأن الديني للمسلمين في إفريقيا بموجب الظهير الشريف (1.15.75) الصادر في (7 رمضان 1436هـ/24 يونيو 2015م).

• إعادة هيكلة رابطة علماء المغرب في 30 أبريل 2004م ليصبح اسمها «الرابطة المحمدية للعلماء» بهدف نشر قيم التسامح والتعايش السلمي عبر تعاليم الإسلام السامية، بالإضافة إلى الإسهام في تنشيط الحياة العلمية والثقافية على الساحة المغربية.

1- الموقع الرسمي لمنصة محمد السادس للحديث الشريف عبر الرابط: <https://hadithm6.ma/>

• برنامج ميثاق العلماء، وهو برنامج يشرف عليه المجلس العلمي الأعلى بتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ويهدف إلى تكوين أئمة المساجد في إطار خطة ميثاق العلماء، ويتوخى منه تكوين جميع أئمة المساجد للقيام بالمهام المنوطة بهم لتحقيق الأمن الروحي للأمة.

• خطة تسديد التبليغ وهي مشروع تسعى من خلاله مؤسسة العلماء برعاية مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله إلى النهوض بأمانات العلماء في واجب التبليغ الديني من أجل تحقيق مقومات الحياة الطيبة في المعيش اليومي للناس.

هذه بعض المكرمات والمنجزات المولوية في العناية بالشأن الديني للمغاربة، وهي غيض من فيض وغرفة من بحر، وكان لها الأثر الإيجابي والفعال في تحقيق الأمن الروحي وترسيخ الاستقرار الذي ينعم به المغاربة.

وختاماً فإن المجلس العلمي المحلي لتطوان بكل مكوناته رئيساً وأعضاء وإداريين وأئمة مرشدين ومرشدات وكل القيميين الدينيين ليغتتم هذه الفرصة السعيدة في هذه السنة المباركة التي أتم فيها مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله 26 سنة من حكمه الرشيد والعادل وملكه السعيد، ليبر عن ولاءه وإخلاصه وتجديد بيعته لمولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، داعين الله له بطول العمر وموفور الصحة والعافية حتى يحقق لأمته ما تصبو إليه من تقدم وازدهار وعز ومنفعة، كما نسأله تعالى أن يقر عينه بصاحب السمو الملكي ولي عهده الأمير الجليل مولانا الحسن وصنوه السعيد مولانا رشيد وسائر أفراد الأسرة العلوية الشريفة، وأن يتغمد بواسع رحمته الملكيين الجليلين مولانا محمداً الخامس ومولانا الحسن الثاني اللهم طيب ثراهما وأكرم مثواههما واجعلهما في مقعد صدق، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

لائحة المصادر والمراجع:

1. الأحكام والسلطان والولايات الدينية، دراسة وتحقيق الدكتور محمد جاسم الحديثي، دار الحديث - القاهرة.
2. البيعة في الإسلام وخصوصيات بيعة أهل المغرب لأئمتهم، للعلامة الدكتور محمد يسف، موقع المجلس العلمي الأعلى.
3. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة-بيروت/ لبنان: 1422هـ.
4. حضارة العرب، لمصطفى صادق الرافعي، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1955م.
5. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، ط: 1. دار الرسالة العالمية.
6. العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لأبي زيد عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ط2، دار الفكر-بيروت: 1408هـ/1988م.
7. لسان العرب، لابن منظور الأنصاري، ط: 2. دار صادر بيروت: 1414هـ.
8. محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد، لأبي العباس أحمد بن زكري التلمساني، تحقيق: الدكتور عبد الرزاق دحمون، سنة النشر: 2011م، ط1، المعرفة الدولية/ الجزائر.
9. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي الحسن مسلم ابن الحجاج النيسابوري، تحقيق: د. محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، دار إحياء التراث العربي-القاهرة، (د. خ).
10. مفكرة الإمام ومرشدة المأموم، برنامج تأهيل أئمة المساجد، منشورات المجلس العلمي الأعلى، ط1، 2018م.
11. المقدمة لابن خلدون، تحقيق درويش جويد، المكتبة العصرية، بيروت، ط 2/2000م.

عيد العرش المجيد الأسس الشرعية والدستورية والدلالات الرمزية

ذ. محمد لفرينجي

أستاذ بجامعة محمد الخامس - الرباط

مقدمة:

يعد عيد العرش المجيد من أبرز الأعياد الوطنية بالمغرب، وذلك لما يقوم عليه من أسس شرعية ودستورية أصيلة، زيادة على ما يرمز إليه من دلالات تبرز التجسيد الفعلي لمعاني البيعة لأمير المؤمنين، والوفاء بما يترتب عنها من الطاعة، والولاء للممثل الشرعي والدستوري صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله تعالى.

فعيد العرش المجيد محطة سنوية تحل كل 30 يوليوز بمناسبة اعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس عرش أسلافه المنعمين. إنها مناسبة ترجع في دلالتها إلى الأصول الشرعية والأسس الدستورية ترجمة لمعاني البيعة، حيث يمتزج فيها الروحي بالسياسي، والديني بالدنيوي قياما بالواجب المشترك بين الشعب والعرش المجيد.

ويعتبر عيد العرش المجيد مناسبة لتأكيد الشرعية والمشروعية، وترسيخ الثوابت الدينية والوطنية، وتجسيد الوحدة والاستمرارية؛ خدمة لمصالح الأمة المغربية التي تقف بعز وثبات، تجسيدا وتأكيدا لعهد البيعة والوفاء والولاء، وقوف البنيان المرصوص وراء صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله تعالى في قيادته الرشيدة لمسيرة ونهضة الوحدة والاستقرار، والتقدم والازدهار، والتنمية باستمرار، والنهضة الحضارية المستدامة المندجمة مع الابتكار.

فعيد العرش المجيد، مناسبة لتعزيز الثقة في المستقبل، وإعادة التذكير بالثوابت الدينية والوطنية، مع تأكيد الالتزام بمواصلة مسار الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي، في انسجام تام مع تطلعات المواطن المغربي. ويأتي عيد العرش المجيد لهذه السنة (30 يوليوز 2025م) في سياق مشاريع استراتيجية أطلقها صاحب الجلالة حفظه الله اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، كما أنه يأتي في سياق دولي يطبعه التحول وعدم الاستقرار على المستويات ذاتها.

والمعاني الرمزية لهذا العيد الوطني تتأصل في البعد الشرعي، والدستوري، والتاريخي، والشعبي... مما يجعله لحظة وطنية جامعة، تؤكد أن العلاقة بين جلالة الملك والشعب ليست علاقة سلطة فقط، بل علاقة وجدانية متجذرة، تاريخية ترتكز على العهد والوفاء.

وقد خصص الدستور المغربي 2011م¹ الباب الثالث للملكية الشرعية الدستورية من الفصل 41 إلى الفصل 59، وقد كرس الفصلان 41 و42 معاني إمارة المؤمنين؛ هذه المعاني التي تتجدد بعيد العرش في كل وقت وحين. وإذا كان المقام قد يطول بالحديث عن كل الأسس الشرعية والدستورية، والمعاني والدلالات الرمزية لهذه المناسبة في كل أبعادها، فإننا سنكتفي بأهم ذلك في إشارات تذكيرية بذلك من خلال التساؤل عن: الأسس الشرعية والدستورية، وعن الدلالات الرمزية لعيد العرش المجيد، وذلك من خلال محورين:

المحور الأول: الأسس الشرعية والدستورية لعيد العرش المجيد

المحور الثاني: الدلالات والأدوار لعيد العرش المجيد

المحور الأول: الأسس الشرعية والدستورية لعيد العرش المجيد

إذا استحضرنا علاقة عيد العرش المجيد بالبيعة الشرعية ودلالته على معانيها، فسيتجلى لنا أن عيد العرش المجيد لا يعتبر طقوسا عادية، بل هو تجسيد لأسس شرعية ودستورية تاريخية أصيلة في الكتاب والسنة وغيرها من المصادر، هذه الأسس متكاملة وتتظافر أيضا مع المقومات الدستورية الحديثة، فما أهم الأسس الشرعية والدستورية لعيد العرش المجيد؟

1- الصادر بتنفيذه ظهير شريف رقم: 1.11.91 صادر في 27 من شعبان 1432 هـ (29 يوليو 2011م). المنشور بالجريدة الرسمية عدد: 5964 مكرر- 28 شعبان 1432 هـ (30 يوليو 2011م).

أولاً: الأسس الشرعية لعيد العرش المجيد

عيد العرش المجيد هو عيد وطني بأسس وأبعاد متعددة وأصيلة، ومن أهم ما يميزه المرجعية الشرعية التي يقوم عليها ويرمز إليها.

فالحديث عن الأسس الشرعية لعيد العرش المجيد بالمغرب يقتضي التعمق في فهم المؤسسة الملكية التي يقوم عليها النظام السياسي المغربي، والتي تجسدها مؤسسة إمارة المؤمنين بوصفها الضامن الروحي والسياسي لاستقرار الدولة ووحدتها واستمراريتها. وعليه فعيد العرش المجيد ليس مناسبة احتفالية أو تقليداً رسمياً فقط، بل هو في عمقه ومراسيمه لحظة ذات حمولة شرعية ودستورية قوية، تجدد من خلالها البيعة الشرعية التي تربط بين الملك والشعب، في امتداد لمؤسسة عريقة تضرب بجذورها في تاريخ الإسلام وتاريخ الدولة المغربية الأبية¹.

فمن الناحية الشرعية الفقهية، تعتبر البيعة من العقود الملزمة التي يتم من خلالها الإقرار بولي الأمر وطاعته، وهو ما نص عليه العلماء انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾²، هذه المبايعة التي تترتب عنها الرئاسة والقيام بشؤون العامة ومهمات المجتمع، يقول إمام الحرمين الجويني: «الإمامة رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا»³.

فعيد العرش المجيد احتفاء بالإمامة العظمى وتجديد الطاعة لها لمكانتها الدينية والدنيوية، يقول الماوردي: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين، وسياسة الدنيا»⁴، ويقول العلامة ابن زكري:

حقيقة الإمامة الرياسة *** في الدين والدنيا مع السياسة⁵

وانطلاقاً من هذه الأسس المرجعية تكرست هذه البيعة ضمن تقليد سياسي وشرعي خاص، يتجدد بعيد العرش المجيد، ويتميز بطابعه الجماعي والمؤسسي، حيث يشارك فيه ممثلو الأمة من علماء وقبائل وساسة ومسؤولين، مما يمنحه طابعاً تعاقدياً وميثاقاً شرعياً واجتماعياً متعدد الأسس، ممتد الأبعاد، متجدداً عبر الزمن.

1- انظر من الناحية التاريخية: التراتيب الإدارية، عبد الحفي الكفاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت. 2/1

2- سورة الفتح من الآية 10.

3- غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق الدكتور عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، الطبعة الثانية، عام 1401 هـ. ص: 22.

4- الأحكام السلطانية، الباب الأول في عقد الإمامة، طبعة 2001م، المكتبة العصرية، بيروت، تحقيق سمير مصطفى رباب. ص 13.

5- مخطوط نظم: محصل المقاصد مما تعتبر به العقائد.

ويمثل جلالة الملك في النظام المغربي «أمير المؤمنين»، وهو لقب يُضفي على منصب الملك طابعا شرعيا خاصا، يجعله مرجعا دينيا أعلى ورئيسا للدولة، لا يضاهيه في ذلك أي فاعل سياسي آخر. وهذا التوصيف لا يُعد زخرفة لفظية عابرة، بل هو مؤسس دستوريا من خلال الفصل 41 من الدستور المغربي كما سيأتي تفصيله. كما تستند إمارة المؤمنين إلى مرجعية عقدية وفقهية عريقة وأصيلة، حيث أكد العلماء منذ زمن بعيد ومنهم ابن أبي زيد القيرواني¹ وابن خلدون² وغيرهم كثير على ضرورة الطاعة لولي الأمر حفاظا على وحدة الجماعة واستقرار الدولة، واعتبروا الخروج عليه مدعاة للفتنة، وهذا يجعل البيعة في السياق المغربي تكتسب قيمة دينية ووطنية في آن واحد.

وتجسد احتفالات عيد العرش هذا المعنى من خلال مراسيم تجديد الولاء، حيث يجدد ممثلو الأمة بيعتهم لأمر المؤمنين، في حفل رسمي يُعبر فيه عن التقدير والطاعة والولاء، مما يعد تجديدا للبيعة وترسيخا لها، واستمرارا للولاء والوفاء، بما يعزز ويؤكد شرعية إمارة المؤمنين بتوالي الأجيال وتجدها.

ولا يخفى أن خصوصية التجربة المغربية تتمثل في المزج الفريد بين الشرعية الدينية والتقاليد السياسية الحديثة، وهو ما يجعل عيد العرش لحظة رمزية تُمارس فيها المراسيم السياسية في ظل تأطير شرعي ودستوري واضح، فالحفل ليس مجرد نشاط رسمي، بل هو إعادة تأكيد للشرعية السياسية من خلال مرجعيتها الدينية والسياسية.

وإذا كان البعض قد يرى في مراسيم الولاء نوعا من التقليد، فإنها في السياق المغربي تؤدي وظيفة رمزية واجتماعية قوية، تؤكد استمرار الحكم الممتد، وتجديد العهد، وصدق الوعد، وتمنح المواطن شعورا بالارتباط الوثيق بالمؤسسة الملكية على كل المستويات والأبعاد والمؤسسات.

كما أن الأساس الشرعي يؤكد في أكثر من مرة على أن «طاعة الإمام واجبة»، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾³. وعن عبد الله بن عمر قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ

1- راجع متن الرسالة بالثر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني لصالح بن عبد السميع الآبي الأزهري (ت 1335هـ) المكتبة الثقافية - بيروت، ص: 24.

2- راجع: كتاب: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمن بن خلدون (732 - 808 هـ) ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة ومراجعة: د. سهيل زكار. نشر دار الفكر، بيروت الطبعة: الأولى، 1401 هـ - 1981م. 273/1 وما بعدها.

3- سورة النساء، من الآية 58.

يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»¹. والطاعة تعني ملازمة جماعة الأمة تبعاً لأمر المؤمنين، وهي طاعة لله وتنفيذ لأمره، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»².

ومهمات الإمامة تقتضي هذه الطاعة الطوعية المبنية على الأسس الشرعية والمصلحة العامة، مما يمنح مؤسسة البيعة بعداً عقلائياً وشرعياً في آن واحد، ولا أدل على ذلك من أن كل خطب عيد العرش تُؤطر ضمن هذا المنظور، حيث يذكر الملك بمهامه الدينية والدينية، ويؤكد تمسكه بثوابت الأمة العقدية والفقهية والروحية زيادة على ثوابته الوطنية.

وبناء على هذا التحليل والتأسيس السابق فإن عيد العرش بهذا المعنى ليس مجرد احتفال عابر، بل هو لحظة شرعية تؤكد وتُجَدِّد فيها البيعة، وتعلن فيها الأمة ولاءها، ويؤكد فيها الملك التزامه بخدمة الدين والدولة، وهو ما يجعل من عيد العرش أحد أبرز مظاهر الشرعية للدولة المغربية الحديثة.

ثانياً: الأسس الدستورية لعيد العرش المجيد

هذا التقسيم إلى ما هو شرعي ودستوري في هذا الموضوع، هو تقسيم منهجي فقط، وإلا فالتأسيس لعيد العرش المجيد يتكامل فيه الشرعي بالدستوري بالتاريخي، ذلك أنه أحد أبرز الأعياد الوطنية، الذي هو نتاج لمضامين دستورية، ويستند إلى تأصيل تشريعي صريح بعمق تاريخي طويل. وقد تم ترسيم عيد العرش عيداً رسمياً وطنياً، وأضحى يحتل مكانة محورية في الذاكرة السياسية المغربية.

وفي ظل دستور 2011م، أضحى المؤسسة الملكية مؤطرة بدقة أكبر، لاسيما على مستوى تجسيد الأسس الشرعية والدستورية بوضوح، ينص الفصل 42 من هذا الدستور على أن: «الملك، رئيس الدولة، وممثلها الأسمى، ورمز وحدة الأمة، وضامن دوام الدولة واستقرارها، والحكم الأسمى بين مؤسساتها، يسهر على احترام الدستور، وحسن سير المؤسسات الدستورية، وعلى صيانة الاختيار الديمقراطي، وحقوق وحرّيات المواطنين والمواطنات والجماعات، وعلى احترام التعهدات الدولية للمملكة.

الملك هو ضامن استقلال البلاد وحوزة المملكة في دائرة حدودها الحقة».

وما تضمنه هذا الفصل من الدستور يُبرز دور جلالة الملك كمؤسسة دستورية وسياسية سامية، ويوضح أن احتفال الشعب المغربي بعيد العرش هو تعبير عن الوفاء لهذه الوظيفة السيادية العليا.

1- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

2- مسند الإمام أحمد.

أما الفصل 41، فيحدد الوظائف الدينية للملك بصفته أمير المؤمنين، حيث ينص هذا الفصل على أن: «الملك، أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين، والضامن لحرية ممارسة الشؤون الدينية.

يرأس الملك، أمير المؤمنين، المجلس العلمي الأعلى، الذي يتولى دراسة القضايا التي يعرضها عليه.

ويعتبر المجلس الجهة الوحيدة المؤهلة لإصدار الفتاوى المعتمدة رسمياً، بشأن المسائل المحالة عليه، استناداً إلى مبادئ وأحكام الدين الإسلامي الحنيف، ومقاصده السمحة.

يمارس الملك الصلاحيات الدينية المتعلقة بإمارة المؤمنين، والمخولة له حصرياً، بمقتضى هذا الفصل، بواسطة ظهائر».

وعملياً يضطلع جلالة الملك بتدبير الشأن الديني، من خلال تعيين المجلس العلمي الأعلى، وتوجيه السياسة الدينية، والإشراف على الشأن الروحي للبلاد.

وهذه المعاني لا تغيب في عيد العرش المجيد مما يجعل منه مناسبة متعددة الأبعاد: سياسية ودينية، إذ يُجدد فيها العهد بين الدولة ومواطنيها، ويتم فيها إبراز مكانة جلالة الملك كرئيس للدولة وراع للدين وأمين للمؤمنين.

كما أن عيد العرش يشكل لحظة دستورية سنوية، يُلقى فيها جلالة الملك خطاباً رسمياً يُعد بمثابة وثيقة مرجعية تُحلل فيها الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتُعلن من خلالها التوجيهات والتوجهات الملكية الكبرى، ما يجعل من العيد مناسبة تشريعية مهمة، تُتأسس عليها العديد من السياسات العمومية والتوجهات الكبرى للبلاد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وتنوياً.

وبذلك، فإن عيد العرش لا يُمثل فقط محطة رمزية في تاريخ المغرب، بل هو كذلك أداة من أدوات الحكم القائم على الشرعية والمشروعية، يعبر من خلالها جلالة الملك عن رؤيته الاستراتيجية، ويوجه من خلالها الدولة نحو الإصلاح والتحديث. ويُعد الإعلان عن المبادرات الكبرى، وإطلاق الأوراش المهيكلّة - كالتنمية البشرية، والحماية الاجتماعية، والجهوية المتقدمة...- في خطب العرش، مثلاً واضحاً على هذا الطابع التوجيهي الدستوري.

ويُستشف من الممارسة الدستورية أن عيد العرش يُمثل كذلك مناسبة للتجديد والتقويم السياسي، والإصلاح التشريعي، ضمن إطار يحترم روح الدستور ويدعم السير الديمقراطي للمؤسسات؛ فالأسس الشرعية والدستورية لعيد العرش تمثل قاعدة صلبة لإعادة تأطير العلاقة بين المؤسسة الملكية وباقي السلط، كما تمنح العيد بعداً حديثاً يتجاوز طقوس الاحتفال إلى بلورة رؤية سياسية واقعية تؤطر الحاضر وتستشرف المستقبل.

المحور الثاني: الدلالات والأدوار لعيد العرش المجيد

ترشد ذكرى عيد العرش المجيد إلى الكثير من الدلالات بحمولاتها المتعددة التي تبرز خصوصية الأمة المغربية وتشبثها واستماتها في تجسيد معاني عقد البيعة والولاء، فما أهم دلالات عيد العرش المجيد؟

أولا: بعض دلالات عيد العرش المجيد

يحمل عيد العرش المجيد الكثير من الدلالات الرمزية العميقة تتجاوز مظاهر الاحتفال إلى ما هو أعمق نظرا، وأبعد أثرا، على المستوى السياسي والاجتماعي والروحي ومن ذلك:

• تجسيد رمز الاستمرارية التاريخية والشرعية السياسية: للنظام الملكي المغربي وفق الأسس الشرعية والدستورية المشار إليها سابقا.

• الدلالة على التلاحم العميق بين الملك والشعب: باعتباره عهدا أصيلا ومتجددا بالحب والوفاء، وتأكيدا للعهد والولاء، وتنفيذا للوعد بالافتداء.

• الدلالة على استمرارية النظام الملكي: يُمثل عيد العرش المجيد أيضا تجسيدا رمزيا لعراقة النظام الملكي في المغرب، وارتباطه التاريخي بالهوية الوطنية منذ ما يزيد عن اثني عشر قرنا، فتجديد البيعة السنوية يعد استمرارا وتأكيدا وتجديدا للشرعية السياسية والدينية، ويمنح المؤسسات زحما مستمرا من التأيد الشعبي.

• الدلالة على الوحدة الوطنية: يجسد عيد العرش المجيد مناسبة لاصطفاف مختلف مكونات الأمة خلف المؤسسة الملكية تنفيذا لواجب البيعة والطاعة لأمر المؤمنين، ويُذكر الجميع بأن العرش هو الضامن لوحدة البلاد الترابية والاجتماعية، خصوصا في السياقات التي تعرف فيها بعض الأقطار والجهات نزعات انفصالية أو طائفية أو أزمات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.

• الدلالة الروحية: يحمل عيد العرش المجيد بُعدا روحيا، من خلال ارتباطه بإمارة المؤمنين، إذ يُعد الملك رمزا وأميرا للمؤمنين، يوحد المغاربة روحيا وأخلاقيا، مما يمنح الاحتفال بُعدا وجدانيا عميقا.

• الدلالة السياسية: يعد عيد العرش المجيد من جهة أخرى مناسبة معبرة، تُمارس فيها الدولة مراسيم السلطة بروح حديثة، تظهر من خلالها وثائق صورة المغرب المستقر، المعتدل، المتوازن، المتماسك بكل مكوناته أمام العالم. فتجديد الولاء، والخطب الملكية، والاستعراضات الرسمية، تُرسل إشارات رمزية للداخل والخارج دالة على متانة النظام وثقة الشعب في مؤسساته.

• تجديد الشرعية والمشروعية: فالاحتفالات تُعبر عن نوع من الشرعية الرمزية المتجددة، حيث يشعر

المواطن بأنه جزء من مشروع وطني كبير، يمثله شخص الملك. لذلك فإن عيد العرش هو احتفال بالتاريخ من جهة، لكنه أيضاً فعل سياسي مستمر ومتجدد.

ثانياً: خطاب عيد العرش المجيد بين تجسيد الدلالات ورسم التوجهات

يمثل خطاب عيد العرش لحظة محورية في السنة السياسية المغربية، إذ ينتظره الفاعلون السياسيون والاجتماعيون والاقتصاديون وعامة الشعب بشغف كبير، باعتباره خارطة طريق استراتيجية تعكس توجهات وتوجيهات جلالة الملك ورؤيته المتبصرة الكبرى لقضايا الأمة.

ويتميز الخطاب الملكي بمناسبة عيد العرش المجيد بكونه وثيقة تحليلية واستشرافية تُعرض فيها المنجزات، وتُشخص فيها التحديات، وترسم فيها الخطوط العريضة لسياسات المستقبل.

ففي المجال السياسي: يبرز الخطاب مواصلة الدينامية الدبلوماسية للمغرب، خاصة فيما يتعلق بالملفات الكبرى كملف الصحراء المغربية، في ظل التدبير الرشيد الحكيم لجلالته، حيث شهدت السنوات الأخيرة اعترافات متواترة بمغربية الصحراء، وتنامي الدعم لمبادرة الحكم الذاتي، كل ذلك في علاقة بجهود تفعيل الجهوية المتقدمة والإدارة اللامركزية، باعتبارها رافعات للتنمية وتقوية الحُكامة الترابية. وعيد العرش يعيد تجديد رسم العلاقة بين الحاكم والمحكوم على أسس الثقة والشفافية والمحاسبة، فهو يُكرس الملكية المواطنة التي تتفاعل مع انشغالات الناس، وتُخاطبهم بلغة الوضوح والصراحة، مما يعزز الانتماء الوطني، ويقوي لحمة المجتمع.

وعلى الصعيد الاقتصادي: يعتبر خطاب العرش المجيد محطة لتأكيد وتجديد المبادرات التي أطلقها جلالة الملك في مجال الاستثمار¹، خاصة ما يتعلق بجلب الاستثمارات الأجنبية المباشرة، ودعم المقاولات الوطنية، وتوفير مناخ الأعمال، بالإضافة إلى مشاريع تطوير البنية التحتية الكبرى على كل المستويات.

فعيد العرش المجيد يمثل على مستوى الصعيدين السابقين محطة لتثمين المنجزات الوطنية في مختلف المجالات، ويتم خلاله استحضار المشاريع الكبرى التي غيرت وجه المغرب، من بنيات تحتية وموانئ وطرق سيارة، إلى مبادرات اجتماعية وتنموية همت الفئات الهشة والمناطق المهمشة، كما تبرز المناسبة ما تحقق على صعيد السياسة الخارجية، من تعزيز للموقع الإقليمي والدولي للمغرب، وما أثمرته الشراكات الاستراتيجية مع مختلف الدول والقارات.

1- راجع: خطاب جلالة الملك بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثانية من الولاية التشريعية الحادية عشرة الذي رسم كل الأسس الكبرى من أجل النهوض بالاستثمار، وخطاب الجمعة 14 أكتوبر 2022م.

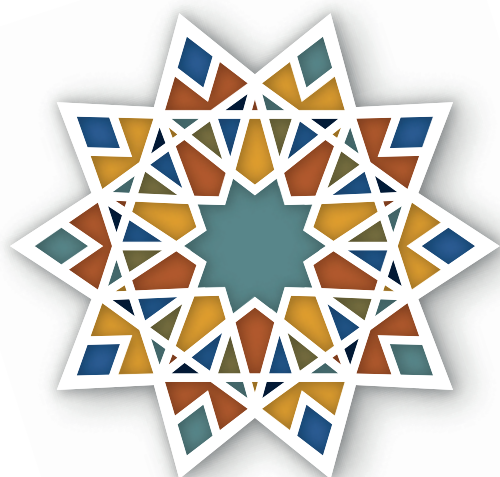
وعلى المستوى الاجتماعي: يتم تقويم واستمرار السياسات الاجتماعية، خصوصا ما يتعلق بالعدالة الاجتماعية، وورش الحماية الاجتماعية، والذي يعتبر من بين أهم الأوراش الملكية، حيث تم تعميم التغطية الصحية، والتأمين الإجباري، والدعم المباشر للفئات الهشة، زيادة على الجهود المبذولة في مجال التعليم والتكوين المهني والرقمنة، باعتبار كل ذلك رافعة للتحول الاقتصادي والاجتماعي.

ومن جهة أخرى، يُعد العيد مناسبة للوقوف الصريح على التحديات الكبرى التي تواجه البلاد، كتفاوت الفرص بين الجهات، والفوارق الاجتماعية، والبطالة، وضعف النجاعة في بعض السياسات العمومية. وفي هذا الصدد، غالبا ما يُشكل خطاب العرش دعوة قوية إلى تقويم الأداء العمومي، وإعادة التفكير في أنماط التدبير، وإصلاح العلاقة بين الدولة والمواطن.

كما يمثل عيد العرش المجيد مناسبة للوقوف على التحديات والصعوبات وتعزيز مواجهتها خدمة للمصلحة العليا للمواطنين، وهكذا نخطابات العرش المجيد لا تكتفي بإبراز المنجزات، بل قد تتجاوز ذلك إلى النقد والتشخيص ورسم الخطوط الكبرى لآفاق المستقبل.

ومن خلال كل هذه الأبعاد تبرز أهمية عيد العرش من خلال كونه حدثا جامعاً تتوحد فيه الرمزية الوطنية، والمشروعية السياسية، والالتفاف الشعبي، فهو باعتبار آخر مرآة للدولة المغربية في تفاعلها مع شعبها، وفي قدرتها على التحول، كما أنه مناسبة للتعبئة الجماعية ولحشد الطاقات الوطنية نحو أفق مشترك يتم فيه استعراض المشاريع المستقبلية الكبرى، والدعوة إلى تعميق الإصلاحات الهيكلية، كإصلاح التعليم، وإعادة تأهيل المنظومة الصحية، وتوسيع مجال الحريات، وتعزيز التنمية المستدامة. فالملك لا يكتفي برصد الوضع القائم، بل يسعى من خلال هذه المناسبة إلى توجيه البلاد نحو آفاق استراتيجية جديدة.

وفي الختام، فإن عيد العرش المجيد، بما له من أسس شرعية ودستورية أصيلة، وبما يحمله من دلالات سياسية وتاريخية وروحية، يُعد مناسبة وطنية راقية، تُمثل لحظة جامعة للتأمل والتجديد، والوفاء والتأييد، تجدد فيها الأمة المغربية ولاءها وتُقيم فيها تجربتها، وتعيد فيها ترتيب أولوياتها، وتحتفي فيها برموزها، وتستعيد ذكرياتها المجيدة، وتستشرف آفاقها المستقبلية، تحت القيادة الرشيدة الحكيمة المتبصرة لصاحب الجلالة الملك محمد السادس أيده الله تعالى وأغزه.



المغرب في عهد صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله تنمية شاملة وتحديات مستمرة

ذ. إدريس الزعري المباركي

عضو المجلس العلمي المحلي لفاس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد النبي المصطفى الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعه بإحسان واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد، فيروم الموضوع الذي أشرف بالمشاركة به عرض التطورات التي شهدتها المغرب تحت القيادة الرشيدة لمولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، وإبراز أهم الإنجازات والإصلاحات التي رسمت ملامح المغرب الجديد، والتي مست مناحي الحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكذا التحديات التي واجهتها المملكة المغربية خلال ربع قرن من حكم جلالته أعزّه الله.

سنحاول من خلال هذا العرض تقديم صورة متكاملة عن مغرب العصر الحديث، وبيان كيف استطاع تحقيق التوازن بين الحفاظ على هويته وأصالته من جهة، والانفتاح على التحديث والتطور من جهة أخرى ... مما جعله نموذجاً للتطور المتوازن في المنطقة العربية والإفريقية ... فنقول وبالله التوفيق ومنه نستمد العون والهداية.

في فجر الألفية الثالثة، وتحديدًا في الثالث والعشرين من يوليوز سنة 1999م، اعتلى صاحب الجلالة الملك محمد السادس أعز الله أمره عرش المملكة المغربية، حاملاً على عاتقه إرثاً تاريخياً عريقاً، وتطلعاتٍ شعبية واسعة نحو التغيير والتطوير.

كان ذلك اليوم بمثابة نقطة تحول فارقة في تاريخ المغرب الحديث، إذ وجدَ الملك الشاب نفسه أمام مشهد وطنيٍّ معقّد، يزخر بالتحديات، ويعجّ بالإكراهات، وتتضافر فيه الآمال والطموحات ...

وغير خاف أن الحديث عن الواقع الذي استقبل به المغرب ملكه الجديد يستدعي استحضاراً دقيقاً للسياق التاريخي والظروف المحيطة بتلك الفترة الانتقالية الحساسة. فقد ورث جلالته بلداً يقف على مفترق طُرُق، بين ماضٍ يحمل في طياته مكاسب وإنجازات، وحاضرٍ مليء بالتحديات، ومستقبلٍ يحمل آمالاً وتطلعاتٍ كبيرةً للشعب المغربي.

لم يكن الطريق مفروشاً بالورود - كما قد يتوهم البعض - إذ واجه الملك الشاب تحدياتٍ جمةً على مختلف الأصعدة.

فلقد كان المشهد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني في المغرب آنذاك يُمثّل معادلة صعبة، تتداخل فيها عواملٌ داخلية وخارجية، وتتشابك فيها قضايا موروثة مع تحديات مستجدة. كان على الملك الشاب أن يتعامل مع هذا الواقع المركّب بحكمة وبصيرة، موازناً بين ضرورات الاستمرارية والاستقرار من جهة، ومتطلبات التغيير والإصلاح من جهة أخرى.

في هذا السياق، يأتي الحديث عن الإكراهات والتحديات التي واجهت الملك محمداً السادس نصره الله عند توليه العرش، مستعرضين أبرز ملامح الواقع المغربي في مطلع الألفية الثالثة على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية.

إن التشخيص الدقيق لتلك المرحلة يُعدّ ضرورياً لفهم طبيعة التحولات التي شهدتها المغرب في العقدين الأخيرين، وتقويم مسار الإصلاحات التي قادها جلالته الملك حفظه الله منذ توليه العرش.

فلنشرع إذن في استعراض هذه التحديات والإكراهات، مستحضرين السياق التاريخي والاجتماعي والاقتصادي للمملكة آنذاك، علماً بأن كل تحدٍّ من تلك التحديات كان يُمثّل باعثاً على البناء والتطوير، وأنّ كلّ إكراه من تلك الإكراهات كان يحمل في طياته إمكانيةً للإبداع والابتكار في إيجاد الحلول المناسبة لواقع مغربي متجدّد ومتطور.

فعندما اعتلى صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله عرش المملكة المغربية خلفاً لوالده المغفور له مولانا الحسن الثاني طيب الله ثراه، واجهَ تحدياتٍ جسيمةً على مختلف الأصعدة.

فعلى الصعيد السياسي، كان التحدي الأكبر يتمثل في مواصلة مسيرة الإصلاح السياسي، وترسيخ الديمقراطية، وتعزيز الحريات، مع الحفاظ على استقرار البلاد¹. فقد ورث جلالة نظاماً سياسياً يحتاج إلى تحديث وتطوير ليوكب تطلعات الشعب المغربي نحو مزيد من الحريات والمشاركة السياسية. كما كان عليه التعامل مع إرث السنوات الماضية، وملف العدالة الانتقالية بحكمة وحزم.

من الجانب الاقتصادي، كان التحدي يكمن في تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة، وتقليص الفوارق الاجتماعية والمجالية، مع ضرورة الانفتاح على الاقتصاد العالمي، والتكيف مع متطلبات العولمة.

أما اجتماعياً، فقد كان لزاماً وضع استراتيجيات طموحة للنهوض بالتعليم والصحة والسكن، مع مراعاة الخصوصيات الثقافية والهوياتية للمجتمع المغربي.

وعلى المستوى الإقليمي والدولي، كان على جلالة الملك محمد السادس نصره الله مواجهة تحديات جيوسياسية معقدة، أبرزها قضية الصحراء المغربية، وتوطيد العلاقات مع الشركاء الاستراتيجيين للمملكة، وتعزيز مكانة المغرب باعتباره فاعلاً إقليمياً ودولياً.

وفي المجال الديني، برز تحدي تجديد الخطاب الديني ومحاربة التطرف، مع الحفاظ على الهوية الإسلامية المغربية المعتدلة. كان على الملك، بصفته أميراً للمؤمنين، قيادة إصلاح ديني يحصن المجتمع من الأفكار المتطرفة، ويعزز قيم التسامح والاعتدال.

أما على الصعيد البيئي، فقد واجه المغرب تحديات بيئية كبرى كالتصحر ونُدرة المياه، مما استدعى وضع سياسات بيئية طموحة تراعي متطلبات التنمية المستدامة.

إن مواجهة هذه التحديات المتعددة والمتشابكة تطلبت من جلالة الملك حفظه الله رؤية استراتيجية شاملة وقيادة حكيمة. فكان عليه أن يوازن بين ضرورات الإصلاح والتحديث من جهة، والحفاظ على الاستقرار والهوية الوطنية من جهة أخرى.

لقد استطاع جلالة حفظه الله، بفضل حنكته السياسية وبُعد نظره، أن يقود المملكة نحو آفاق جديدة من التنمية والتقدم، مع الحفاظ على ثوابت الأمة وقيمها الأصيلة.

1- عبد الصادق، توفيق. «واقع ومستقبل الإصلاحات بالمغرب 2011-2021م: دراسة حول موضوع السلطة». رواق عربي، 26 (1)، ص 55-66.

وعلى الرغم من استمرار بعض التحديات، فإن المتتبع للشأن المغربي يلحظ التطور الملموس الذي شهدته المملكة في العقود الأخيرة على مختلف الأصعدة، مما يعكس نجاح الرؤية الملكية الحكيمة في التعامل مع الإكراهات والصعوبات التي واجهت المغرب مع مطلع الألفية الثالثة.

وفيما يلي تذكيرٌ بأبرز الإنجازات التي حققها أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس أيده الله في المجالات المذكورة، والتي استطاع من خلالها قيادة المملكة المغربية نحو التقدم والازدهار:

ففي الشأن الديني:

قاد صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، بصفته أميراً للمؤمنين، إصلاحاً دينياً شاملاً¹، فعمل على تجديد الخطاب الديني ومحاربة التطرف، مع الحفاظ على الهوية الإسلامية المغربية المعتدلة. وقد شمل هذا الإصلاح:

- إعادة هيكلة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مع إضافة مديريات جديدة لتعزيز فعاليتها.
- تعزيز هيكلة الأمانة العامة للمجلس العلمي الأعلى، وتوسيع نطاق المجالس العلمية المحلية والجهوية، وإحداث هيئة مختصة بالإفتاء.
- إحداث مؤسسات علمية جديدة، مثل الرابطة المحمدية للعلماء، والمجلس الأوروبي للعلماء المغاربة، ومؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة؛ من أجل ترسيخ قيم التسامح، ونشر الإسلام الوسطي المعتدل.
- تكوين الأئمة المرشدين والمرشحات، وتنفيذ برنامج «ميثاق العلماء» لتأهيل الأئمة.
- تعزيز دور المرأة من خلال إشراك المرشحات الدينيات والقيّمات في الشأن الديني.
- الاهتمام بالتعليم الديني العتيق ومحور الأمية في المساجد.
- إطلاق منصات إعلامية دينية مثل منصة محمد السادس للحديث الشريف.
- إصلاح التعليم الديني، وإعادة تنظيم جامعة القرويين، وتحديث مهامها تحت الرعاية الملكية السامية.

وفي المجال السياسي:

شهد المغرب تحت قيادة الملك محمد السادس إصلاحاتٍ سياسية عميقة، أبرزها:

1- «إمارة المؤمنين وإصلاح الشأن الديني بالمغرب»، مجلة دعوة الحق، عدد خاص عن ذكرى عيد العرش المجيد، السنة التاسعة والخمسون، العدد 418، شوال 1437هـ/ يوليوز 2016م، ص 43 - 50.

- إصدارُ دستور جديد سنة 2011م، عزّز الحرياتِ وحقوقَ الإنسان، وفصل السلطات.¹
- إنشاءُ هيئة الإنصاف والمصالحة لمعالجة ملف حقوق الإنسان.²
- تعزيز دور المؤسسات الدستورية كالمجلس الوطني لحقوق الإنسان.
- تقويةُ دور المجتمع المدني والأحزاب السياسية في الحياة العامة.

وفي المجال الاقتصادي:

- قاد الملك عدّة مبادراتٍ لتحفيز النمو الاقتصادي وتحسين مناخ الأعمال، منها:
- إطلاقُ مخطط المغرب الأخضر لتطوير القطاع الفلاحي.³
- تنفيذُ استراتيجية صناعية طموحة، كمنخطط التسريع الصناعي.
- تطويرُ البنية التحتية عبر مشاريع كبرى كبناء طنجة المتوسط وشبكة الطرق السيارة.
- تشجيعُ الاستثمارات الأجنبية، وتحسينُ تصنيف المغرب في مؤشر ممارسة الأعمال.

وفي المجال الاجتماعي:

- اهتم حفظه الله بالتنمية البشرية، وتحسين الوضع المعيشي للمواطنين من خلال:
- إطلاقِ المبادرة الوطنية للتنمية البشرية لمواجهة الفقر والهشاشة.⁴
- توسيع نطاق التغطية الصحية وتعزيز الدعم للمحتاجين.
- تنفيذِ برامج طموحة للسكن الاجتماعي ومحاربة دور الصفيح.
- إصلاح منظومة التعليم وتعميم التمدرس.

1- «دستور المغرب الجديد ... 9 سنوات على ترسيخ الديمقراطية والحريات»، العين الإخبارية، 2 يوليو 2020م؛ دستور المملكة المغربية لعام 2011م.

2- «هيئة الإنصاف والمصالحة»، ويكيبيديا، آخر تعديل 29 يوليو 2007م.

3- «مخطط المغرب الأخضر»، الموقع الرسمي للمملكة المغربية، 29 يناير 2019م؛ «اعتماد الرؤية الاستراتيجية الجديدة للقطاع الفلاحي الجيل الأخضر 2020-2030م»، رئاسة الحكومة المغربية.

4- «المبادرة الوطنية للتنمية البشرية»، ويكيبيديا، آخر تعديل 6 يناير 2022م؛ «تقديم»، الموقع الرسمي للمبادرة الوطنية للتنمية البشرية، إقليم صفرو.

وفي المجال البيئي:

أولى صاحب الجلالة اهتماماً خاصاً بالقضايا البيئية من خلال:

- إطلاق الاستراتيجية الوطنية للتنمية المستدامة.
- تطوير الطاقات المتجددة، كمشروع نور للطاقة الشمسية في ورزازات.
- تنفيذ برامج لمكافحة التغيرات المناخية التي يشهدها العالم، وعلى الخصوص منها التصحر وحماية الغابات.
- إطلاق مبادرات رائدة لترشيد استهلاك المياه، وتحلية مياه البحر.

وعلى الصعيد الدبلوماسي:

عزز جلالة الملك مكانة المغرب إقليمياً ودولياً عبر:

- تقوية العلاقات مع الدول الإفريقية وعودة المغرب للاتحاد الإفريقي.
- تطوير الشراكات الاستراتيجية مع القوى الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي.
- مواصلة الدفاع عن قضية الوحدة الترابية، وكسب تأييد دولي متزايد لمقترح الحكم الذاتي في الصحراء.
- تعزيز دور المغرب في مكافحة الإرهاب والهجرة غير النظامية.

وفي مجال الحكامة:

عمل صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله على تحديث الإدارة وتحسين الحكامة من خلال:

- إطلاق ورش الجهوية المتقدمة لتعزيز اللامركزية.
- تطوير الإدارة الإلكترونية وتبسيط المساطر الإدارية.
- تعزيز آليات مكافحة الفساد وتخليق الحياة العامة.
- إصلاح القضاء وتعزيز استقلاليته.

إن المسار العام يُشير إلى تقدم ملموس في مختلف المجالات تحت القيادة الحكيمة لجلالة الملك محمد السادس حفظه الله؛ فقد استطاع بحنكته وبصيرته تجاوز العديد من العوائق والصعوبات التي اعترضت طريق التنمية والإصلاح، وبرهن على قدرة فائقة في قراءة الواقع المغربي بكل تعقيداته، واستطاع أن يرسم مساراً واضحاً المعالم لمستقبل المملكة.

فمن خلال رؤية استراتيجية شاملة، تمكّن جلالته من إحداث تحولات جوهرية على مختلف الأصعدة، محققاً توازناً دقيقاً بين متطلبات الحداثة والتنمية من جهة، والحفاظ على الهوية والقيم الأصيلة للمجتمع المغربي من جهة أخرى.

فعلى الصعيد السياسي، نجح في ترسيخ أسس الديمقراطية وتعزيز دولة الحق والقانون، مع الحفاظ على الاستقرار السياسي للمملكة.

وعلى المستوى الاقتصادي، قاد جلالته المغرب نحو آفاق جديدة من التنمية والانفتاح، محققاً نمواً مستداماً وجاذباً للاستثمارات الأجنبية.

وأما اجتماعياً، فقد أولى اهتماماً خاصاً بالتنمية البشرية والتصدي للفقر والهشاشة، مُطلقاً مبادرات رائدة كالمبادرة الوطنية للتنمية البشرية.

وفي المجال الديني، قاد أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، إصلاحاً عميقاً للحقل الديني، معززاً قيم الوسطية والاعتدال، ومحصّناً المجتمع من الغلو والتطرف.

وفي الجانب الدبلوماسي، نجح جلالته في تعزيز مكانة المغرب إقليمياً ودولياً، وفي كسب تأييد متزايد لقضية الوحدة الترابية.

وعلى الرغم من ذلك كله فإن المشروع الإصلاحي الذي يقوده جلالة الملك محمد السادس أدام الله عزه ما زال مستمراً، إذ يسعى أعز الله أمره بعزم وإصرار لاستكمال الأوراش الكبرى التي أطلقها. مُدركاً أن الطريق لا يزال طويلاً، وأن هناك تحديات جديدة تفرضها المتغيرات الإقليمية والدولية¹.

في هذا السياق، يواصل جلالة الملك رعاه الله جهوده لتعميق الإصلاحات السياسية وترسيخ الحكامة الجيدة، وتحقيق العدالة الاجتماعية والمجالية، وتطوير النموذج التنموي للمملكة. كما يسعى لتعزيز مكانة المغرب باعتباره فاعلاً إقليمياً ودولياً في قضايا الأمن والاستقرار والتنمية المستدامة.

إن النجاحات التي حققها المغرب تحت قيادة ملكه محمد السادس أعز الله أمره في تجاوز العديد من التحديات تُعطي الأمل في قدرة المملكة على مواصلة مسيرتها نحو التقدم والازدهار؛ فبفضل الرؤية الملكية السديدة والحكيمة، والتلاحم بين العرش والشعب، يتطلع المغرب بثقة نحو المستقبل، مُسلحاً بإرادة صلبة لمواجهة التحديات، وتحقيق طموحات شعبه في التنمية والرفاه.

1- عبد الصادق، توفيق، مرجع سابق، ص 65-81.

وعموماً فإن المشروع الإصلاحي والتنموي لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله لا ينحصر فيما ألعنا إليه سابقاً، فتلكم مجرد إشارات لبعض مظاهر هذا المشروع الرائد، والجهود المميزة التي بذلها أعزّه الله في حراسة الدين، وسياسة الدنيا ... ويبقى المشروع الإصلاحي للملك محمد السادس حفظه الله مشروعاً متجدداً ومتطوراً، يستجيب لمتطلبات العصر ويستشرف آفاق المستقبل، مع الحفاظ على الثوابت الدينية والوطنية، والقيم الأصيلة للمملكة المغربية. وبهذه الرؤية الشاملة والمتوازنة، يواصل المغرب مسيرته نحو بناء نموذج تنموي مميز، يربط الماضي بالحاضر، ويحافظ على الهوية مع مواكبة التطور والحدّاتة، ويحقق الوحدة الوطنية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة والمستدامة للمملكة المغربية الشريفة.

فالله تعالى نسال أن يحفظ أمير المؤمنين، جلالة الملك محمد السادس بما حفظ به الذكر الحكيم، وأن يلهمه الرشاد، ويعينه على حمل الأمانة، وتحقيق الآمال ...

كما نساله سبحانه أن يجزل له المثوبة على ما قدمه ويقدمه لوطنه وأمتّه. وأن يجعل أعماله الصالحة وسعيه الدؤوب لخدمة شعبه ودينه في ميزان حسناته.

اللهم احفظ المغرب وشعب المغرب، وأدم عليه نعمة الأمن والسلم والاستقرار. اللهم وفق أبناءه لما فيه خير البلاد والعباد، وأعنهم على تحقيق التنمية والازدهار.

وصلّي اللهم وسلّم وبارك على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع الأكاديمية والثقافية المغربية

- عبد الصادق، توفيق. «واقع ومستقبل الإصلاحات بالمغرب 2011-2021م: دراسة حول موضوع السلطة». رواق عربي، المجلد 26، العدد 1 (2021م).
- عبد الله الترابي. «تعديل الدستور في المغرب... تطورات في سياق من الثورات». ConstitutionNet، 2011م.

- إدريس الزعري المباركي. إمارة المؤمنين وإصلاح الشأن الديني بالمغرب، مجلة دعوة الحق، عدد خاص عن ذكرى عيد العرش المجيد، السنة التاسعة والخمسون، العدد 418، شوال 1437هـ/ يوليو 2016م.

ثانياً: المصادر الحكومية المغربية الرسمية

- دستور المملكة المغربية لعام 2011.
- «الموقع الرسمي للمملكة المغربية». «مخطط المغرب الأخضر». 29 يناير 2019م.
- الموقع الرسمي للمبادرة الوطنية للتنمية البشرية، إقليم صفرو. «تقديم».
- «رئاسة الحكومة المغربية». «اعتماد الرؤية الاستراتيجية الجديدة للقطاع الفلاحي الجيل الأخضر-2020-2030م».

ثالثاً: المصادر الإعلامية

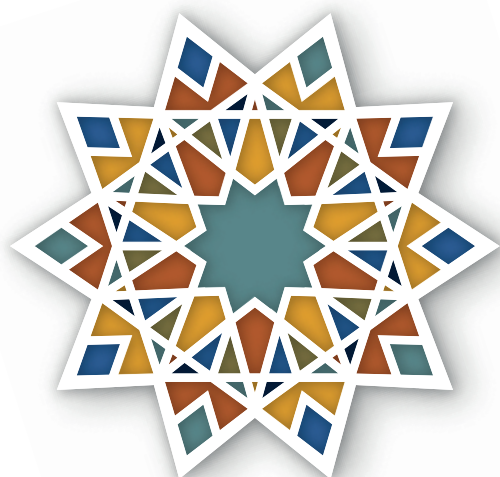
- «العين الإخبارية». «دستور المغرب الجديد ... 9 سنوات على ترسيخ الديمقراطية والحريات». 2 يوليو 2020م.

رابعاً: المراجع الموسوعية

- «ويكيبيديا»، «المبادرة الوطنية للتنمية البشرية». آخر تعديل 6 يناير 2022م.
- «ويكيبيديا»، «هيئة الإنصاف والمصالحة». آخر تعديل 29 يوليو 2007م.

خامساً: التقارير الدولية المتخصصة

- البنك الدولي، «افتتاح أكبر محطة للطاقة الشمسية المركزة في العالم بالمغرب». 30 مايو 2023م.



وفاء أهل الصحراء المغربية للعرش العلوي المجيد

ذ. ياسين بن روان

عضو المجلس العلمي المحلي بالعيون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فقد جرت عادة أهل الصحراء المغربية بالتشبث بالثواب الدينية للمملكة المغربية الشريفة، سيرا على نهج الأجداد والآباء، ووفاء بالاختيارات المغربية في الدين؛ فانتشرت العقيدة الأشعرية الوسطية في المساجد والزوايا والمحاضر، والفقهاء المالكي المرن في العبادات والمعاملات، والتصوف السني الرامي لتزكية القلوب وتطهير النفوس، وربط الإيمان بالعمل الصالح، وترسخت إمارة المؤمنين الخيط الناظم، والثابت الجامع للاختيارات المغربية في التمدب والتدين.

ومع تأسيس الدولة العلوية الشريفة على يد مولاي علي الشريف (ت1069هـ) بادر المغاربة كبراً عن كبر إلى تقديم فروض الطاعة والولاء لسلطين الدولة العلوية الشريفة، والوفاء بمقتضيات البيعة الشرعية المكتوبة للسلطان العلوي الشريف مولاي علي الشريف، جمعاً للكلمة، وحباً للنبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته الأطهار؛ واستمر الميثاق الشرعي بين العرش العلوي المجيد والأمة المغربية، وما يزال مستمرا إلى الآن في عهد مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله وأيده، امتثالاً لقوله تعالى في محكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾¹.

1- سورة النساء، الآية: 59.

لقد حافظ أهل الصحراء المغربية على البيعة الشرعية للعرش العلوي المجيد باعتبارها أسلوباً شرعياً في تنصيب أمير المؤمنين، من أجل حراسة الدين وتنزيل مقتضيات الدين الراشد في الاختيارات المذهبية، وفي سياسة الدنيا بتحقيق العدل، والسعي نحو الحياة الطيبة، يقول الشيخ لارباس بن الشيخ محمد الغطف ماء العينين: «ولقد طبع سكان هذه الجهة الصحراوية من المملكة المغربية إيماناً راسخاً بالوفاء المطلق لهذا الوطن العزيز، يدافعون عن وحدته ويذبون بما في الكلمة من معنى عن مقدساته، ويحافظون على أصالته، ويعتزون أيما اعتزاز بحضارته ويباهون بتاريخه الذي يسمو بما خلده عظماءنا من مآثر نثيه بها الأمم»¹.

ومع تقلد السلطان مولاي إسماعيل (ت 1139هـ) الحكم في المملكة المغربية الشريفة توافدت عليه قبائل الصحراء المغربية مجددة الوفاء للعرش العلوي المجيد، ومبايعة له، يقول صاحب الحلل البهية: «ثم في سنة تسع وثمانين وألف... قدمت عليه وفود أهل القبلة والساحل مغفرة ودليم والبرابيش ومطاع وجرار ووادي، وأدوا طاعتهم»²، وإكراماً لأهل الصحراء المغربية تزوج السلطان مولاي إسماعيل بالسيدة الصحراوية الصالحة العالمة خنثة بنت بكار المغفرية (ت 1159هـ) توطيداً للعلاقات وترسيخاً للروابط الشرعية والروحية والقانونية التي تجمع الدولة العلوية الشريفة بأهل الصحراء المغربية، علماء، وفقهاء، وشيوخا، ووجهاء، وأعياناً.³

وحين زاره العلامة ابن رازكة العلوي (ت 1144هـ) في مكاسة من أجل تقديم البيعة الشرعية، أنشد فيه قائلاً⁴:

مكاسة الزيتون فخراً أصبحت تزهر وترفل في ملاء أخضر
فرحاً بعبد الله نجل محمد قاضي القضاة ومن ذؤابة مغفر

وبعد وصول السلطان المصلح والعالم المفلح سيدي محمد بن عبد الله للحكم (ت 1204هـ) توافدت عليه كل القبائل الصحراوية المغربية لتقديم فروض الطاعة والولاء، ومن بين بيعات أهل الصحراء المغربية في فترة سيدي محمد بن عبد الله، بيعة الشيخ المجدد سيد المختار الكنتي الكبير (ت 1226هـ)، يقول

- 1- بعض مظاهر حياة الصحراء المغربية فكراً وحضارة، الشيخ لارباس ماء العينين، مجلة المناهل، العدد 49، سنة 1995م، ص: 122.
- 2- المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، الجزء الأول، دراسة وتحقيق، إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة الأولى، 2005م، ص: 292.
- 3- ينظر: الصحراء المغربية من التدبير إلى التغيير في ظل إمارة المؤمنين في عهد الدولة العلوية الشريفة، ياسين بن روان، أمين انقيرة، مطبعة دار القلم، الرباط، الطبعة الأولى، 2024م، ص: 7.
- 4- أبو العباس أحمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1997م، 380/4.

في بدايتها: «...إلى من توسط ذؤابة عبد مناف، واستعلى أرومة هاشم ذروة الأشراف ... أمير المؤمنين سيدنا ومولانا سيدي محمد ابن مولانا عبد الله ابن مولانا إسماعيل نصر الله أيامه، ونصر أعلامه، وأمد بمدد النصر عساكره، ورعى بعين عنايته دساكره»¹.

وعُرفت فترة السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام بالتواصل العلمي والروحي مع شيوخ وعلماء وفقهاء الصحراء المغربية، وكانت العادة عندهم تجديد الولاء والبيعة؛ فقد جدد له الشيخ سيد المختار الكنتي الصغير (ت 1263هـ) باعتباره من أهل الحل والعقد فروض الطاعة والولاء في بيعته المشهورة « الرسالة العجالة الرائقة في العمالة»، ومما جاء فيها: الإمام الحق، وظل الله في أرضه لجميع الخلق أمير المؤمنين سيدنا ومولانا عبد الرحمن ابن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا هشام، ابن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا محمد، ابن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا عبد الله ابن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا إسماعيل ابن سيدنا ومولانا علي الحسيني، سيدي نصر الله أيام دولتك ونصر أعلام صولتك، وأعلى في بروج السعادة مقامك، وأطال في عافية من ذلك المقام عيشك ومقامك»².



وتمثل الوثيقة أسفله نموذجا من الوفاء للعرش العلوي المجيد في فترة السلطان مولاي عبد الرحمان ابن هشام، وهي رسالة تحمل بين طياتها الالتزام بمقتضيات البيعة الشرعية، وأداء الواجب الوطني في حماية الصحراء المغربية من كل خطر، والحرص على تحقيق أسس الأمن.³

- 1- رسالة الشيخ سيدي المختار الكنتي إلى سيدي محمد بن عبد الله العلوي، ص: 24-25.
- 2- الرسالة العجالة الرائقة في العمالة، الشيخ سيد المختار الكنتي الصغير، نسخة محفوظة في الخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم: 2114، ص: 10.
- 3- رسالة القائد إبراهيم التكني إلى السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام عام 1263 هجرية.

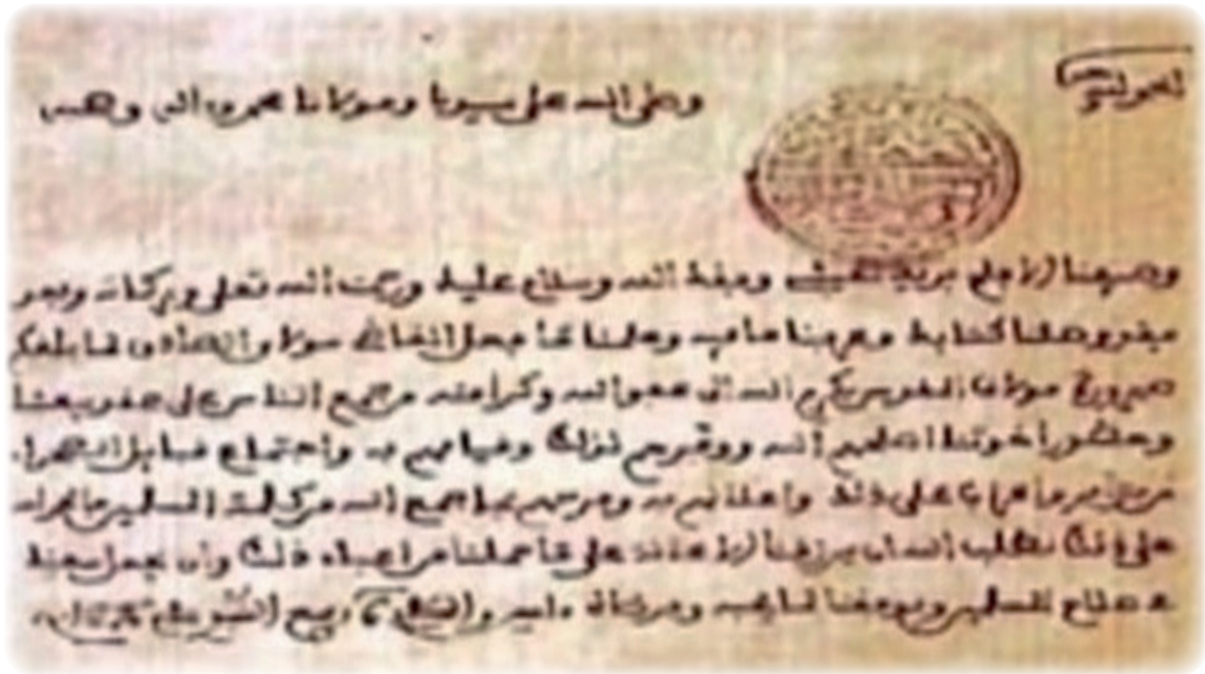
انجمن مدرسین

فبذلك اذ احسنه ملائكة وبقاى رحمة للعالمين وواعانة اليك عبيدك ورسائل تحم
 به خزان الاموال السوية تملكها لعلك تعلم فاعلم على الخلق القليل وداك خزان
 الحكمة الذي يفتقره وورد كتابك بطلان الكثرة به فبما ينفع جميع الخلق فبذل
 ٥٥ ورسالت وحقه صوابه وفعلا على فعله الجبر ووجدنا له ووجدنا بطلان خيل
 ٥٥ وداك جبرك الراسخات حله ووجدنا له الفرض العرش بقتله وعلما للصديق والافضل
 به ما فتح وفتح على ٢٦٣

طبع المطبع الاعلى باله
 ابراهيم بن محمد بن محمد بن محمد

وبايع الشيخ محمد بن المختار بن لعمش الجكاني السلطان محمد الرابع، ويقول في بيعته: «وقد بايعناك على السمع والطاعة، ولزوم الجماعة والتمسك بالدعوة ببقائها إلى قيام الساعة، في الرضى والسخط، والمكره والمنشط، والعسر واليسر، والقل والكثر، والشدة والرخاء، والسراء والضراء، على ما بويح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون، والعهد قريب ... الإمام رضي الله عنه والدين في زمنه غريب»².

2- الصحراء المغربية من خلال الوثائق المغربية، القسم الأول، 190/1.



وبجرد تولى السلطان الحسن الأول الحكم أرسل إليه الحاجب السلطاني موسى بن أحمد البخاري رسالة يخبره فيها أن أهل الصحراء من قبائل المغافرة يريدون زيارته وتجديد البيعة في أعناقهم، وتعزيته في والده أمير المؤمنين السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان بن هشام العلوي.¹ من بين الأمور الواردة في الرسالة ما يلي: «نهي لكريم علم سيدي أن خدامه المغافرة، بعد ما وردوا على باب الدار العالية بالله مع قائدهم محمد ابن الطيب بودلاحة بقصد التعزية وأداء البيعة، طلب التوجه لحضرة سيدي مع إخوانه، فكتبنا صحبته هذا ننبه سيدي على خدامه لياشرهم بما ينبغي أن يباشروا به من طيب الكلام والوعد بالجميل والمبالغة في الدعاء لهم، فإنهم من خاصة جيشه السعيد، كما لا يخفى سيدي، وكلام الملوك يفرحون به وينقلونه لإخوانهم وأولادهم ويقع منهم موقعه»².

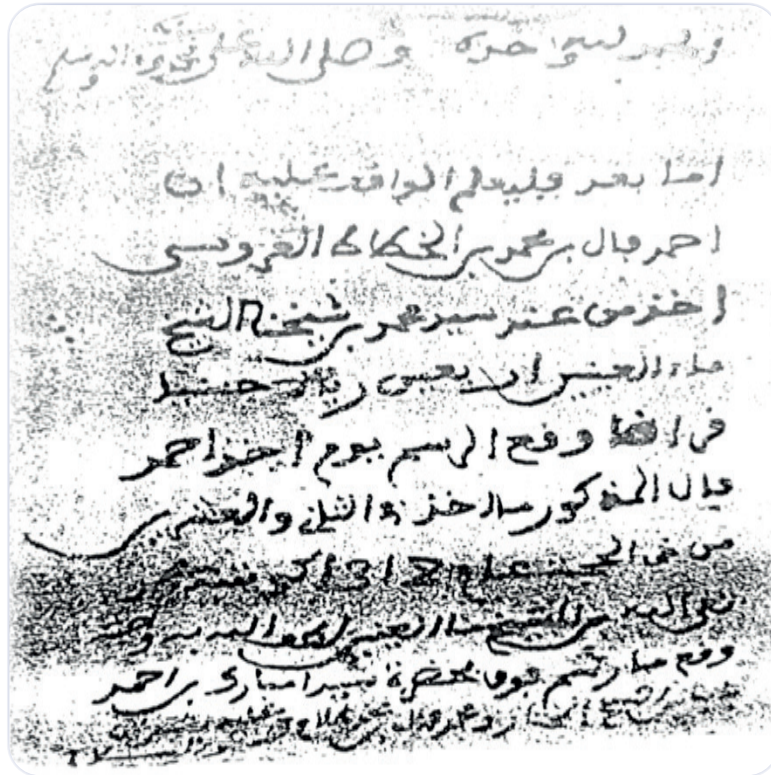
وبالنسبة للمعاملات المالية والتجارية فقد كان أهل الصحراء يخرطون في صفقات تجارية وعقود مالية بالريال الحسني، وثبت الوثيقة أسفله صحة هذا الأمر، وأصلها عقد قرض مؤرخ يوم 22 ذي الحجة 1318 هـ بين أحمد فال بن محمد الخطاط العروسي والسيد محمد بن الشيخ ماء العينين، حيث إن أحمد فال أخذ من عند السيد محمد مبلغ أربعين ريالاً حسنيا قرضاً، وتم توثيق هذه المعاملة المندرجة ضمن العقود التبرعية، ومما جاء في العقد:

1- الصحراء المغربية من خلال الوثائق الملكية، القسم الأول، 177/1.

2- بيعات أهل الصحراء، ص: 47.

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، أما بعد، فليعلم الواقف عليه، أن أحمد فال بن محمد الخطاط العروسي أخذ من عند سيد محمد بن شيخنا الشيخ ماء العينين أربعين ريالاً حسناً قراضاً، وقّع الرسم يوم الأحد، أحمد فال المذكور، ما أخذ في الثاني والعشرين من ذي الحجة عام 1318 هجرية»¹.

نسخة العقد مخطوطة²



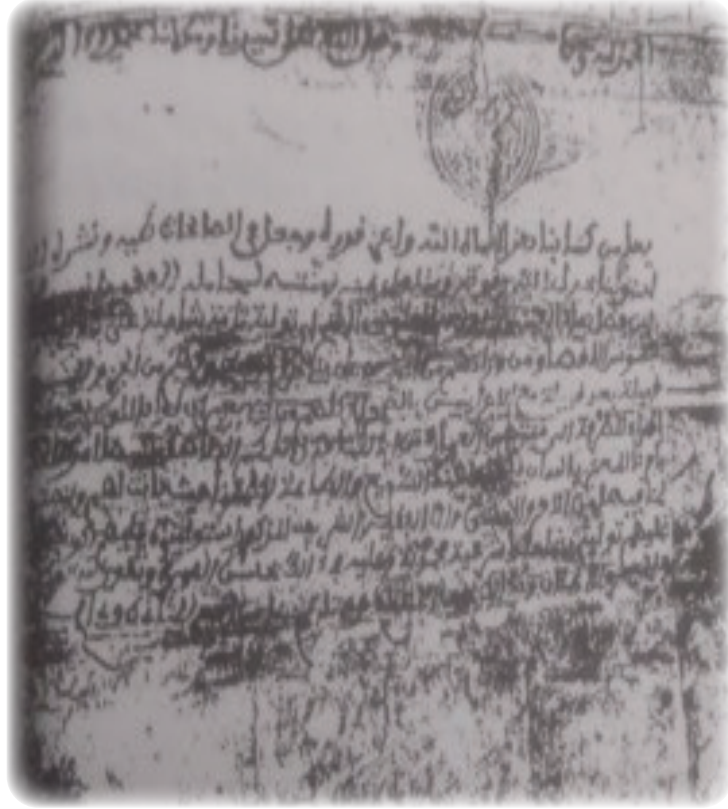
وفي هذه الفترة تم تعيين الشيخ ماء العينين (ت 1328 هـ) نائبا سلطانيا في الصحراء المغربية بظهير سلطاني شريف من المولى الحسن الأول، مما ورد فيه:

”يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز قدره وجعل في الصالحات طيه ونشره، أننا استولينا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته لحامله الفقيه السيد محمد بن فاضل ماء العينين السوسي الصحراوي، تولية تامة شاملة على بلاد بني باعمران سوس الأقصى ومن ورائها بني جرار ومن فوقهم من الجزوليين قبيلة بعد قبيلة من الأعرابيين

1- عقد القرض المخطوط، نسخة حصلت عليها من مديرية الوثائق الملكية بالرباط، تحت رقم: 145، وعليها ملاحظات في الأسفل بخط اليد مكتوب عليها « وثيقة ثبت التعامل بالريال الحسني في الصحراء المغربية قبل دخول الاستعمار الإسباني والفرنسي مؤرخة بـ 22 ذي الحجة 1318 هجرية ».

2- وثيقة محفوظة في خزانة مديرية الوثائق الملكية بالرباط، برقم: 145.

بالصحراء كلهم من بني باعمران إلى واد نون إلى الساقية الحمراء لطرفاية إلى منتهى العمارة من إيالتنا لتلكم البلاد¹.



ولما تولى السلطان مولاي عبد الحفيظ الحكم استمر أهل الصحراء المغربية في الوفاء للعرش العلوي المجيد، وفي نفس الوقت كان السلطان يرسل ظهائر التوقيع لشيخ القبائل الصحراوية والزوايا، ومن ذلك الظهير الشريف الموجه للشرفاء الرقيبات في الساقية الحمراء سنة 1325 هجرية الموافق لـ 1907م، وأهم إشارة فيه هو كونه استمرارا للظهائر التي كان يرسلها السلطان مولاي الحسن الأول والسلطان محمد الرابع لزواوية الشرفاء الرقيبات بالساقية الحمراء، مما يدل على تعلق هذه القبيلة الشريفة بالعرش العلوي المجيد، ونظرا لأهمية الظهير وسياقه التاريخي نوردته كاملا مع صورة منه.

صورة من الظهير الشريف الصادر عن المولى عبد الحفيظ لشرفاء الرقيبات في واد نون والساقية الحمراء سنة 1325 هجرية²

1- ينظر: التسرب الأوربي بالسواحل الأطلسية الجنوبية للمغرب 1836-1895م، أحمد تانصافت، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، الطبعة الأولى 2014م، ص: 149.

2- نسخة في حوزتي.

من المنفى باعتبار هذا الحدث مقدمة لنيل الاستقلال سنة 1956م، ووقع المؤتمر في قرية أم الشكاك وهي بين مدينة العيون والسمارة، خرج المؤتمر بأربعين قراراً أهمها تجديد البيعة لجلالة الملك محمد الخامس، وتكوين لجنة تمثل شيوخ وقبائل الصحراء المغربية من أجل زيارة جلالة الملك محمد الخامس في الرباط وتجديد البيعة الشرعية، وكان من بين مخرجات المؤتمر، رفع علم المملكة المغربية الشريفة بالصحراء المغربية.¹



الثاني: ومن أبرز الأحداث التي عرفت فترة حكم جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، المسيرة الخضراء سنة 1975م وبواسطتها استرجع المغرب الساقية الحمراء، وبيعة أهل الداخلة سنة 1979م ليسترجع معها المغرب وادي الذهب وتكتمل الوحدة الترابية للمملكة المغربية الشريفة، وسنعرض بعض البيعات التي لها ارتباط وثيق بهذين الحدثين الهامين.

- تجديد بيعة الشيخ خطري ولد سعيد الجماني سنة 1975م.²
- بيعة أهل الداخلة سنة 1979م بخط قاضي مدينة الداخلة الشيخ أحمد حبيب الله بن أبوه، وكتبت البيعة يوم الاثنين 18 رمضان عام 1399 هجرية الموافق لـ 13 غشت 1979م، وتوقيع شيوخ كل القبائل الصحراوية المغربية في مدينة الداخلة.³

1- ينظر: الصحراء المغربية من التدبير إلى التغيير، ص: 55.

2- نسخة في حوزتي .

3- نسخة في حوزتي.

بسم الله الرحمن الرحيم
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم على كل نبي
 ليعلم الله الزنح بالخلافة شمل البر والرفا وجعلنا الدرجة
 العليا وطا بها الرما ودراموال ودراماض وعلم بها يدرك الي
 برقم بها سر دراض نجره تعالى حرمه من ف برفقه راجع الرب
 ونشكره جل وعلا شكر مستنير برمي نجره مستعيز به وفقه
 ونشكره الله الذي لا اله الا هو له الملك الانتام والحقمة ودراماض
 وله الشكر فالتا فزبوتى الملك من يشاء بي فمع وبضع
 ويحيى ويحيى هو على كل شيء قدير ونشكره نسيرنا ونسنا
 وموينا نا محرابه ورصولة جاءنا بالسنة والبر وقال اذا
 في رشح بارض نسير فيها سلحان جلا ترخلوها انما السلحان
 كل الله ومحمد في رارض وقال من مات وليبري عنقه بيعته
 مات ميتة الجاهلية صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى
 آله الذين نور الله بهم هذا العالم تنويرا واتاهم جلا كما
 له ملكا كبيرا وعلى اصحابه ائمة البر ومبا فواتهم واجلا
 لهم بقرتهم ويشتري ما اقيمت الخلافة قولهم وبارت جماعة
 المسلمين مشاهير ومعال .
 اما بعزى الف العلم لرى النصوص والمجموع اة الله تعالى له الحكمة
 البالغة والنعمة السابقة وحكمته جل جلاله وعز كماله
 ان جعل هذا العالم منوها بالسلحان واللوط بموجب الخلافة
 الذي به يستدري ويتبع دمار العافية والمسالك والسلوك
 وسهم فروع الكرامات ولا يتشتى عليه ما كى والعسا
 وسهم فروع الى جاء وقود دما مات وتجر من الجهاد
 مع فساد النصوص والسراف وسهم فروع الجار ونزوح
 الجبابرة وترفع المختالي وتعلوا بكممة الله كدر مشا
 هر ومعال خال عليه الصلاة والسلام

ولما تولى مولانا أمير المؤمنين محمد السادس، نصره الله وأيده، عرش أسلافه الميامين من السلاطين العلويين، بادرت القبائل الصحراوية المغربية إلى تجديد البيعة الشرعية للعرش العلوي المجيد، والوفاء بمقتضيات البيعة الشرعية، والانخراط التام والجاد والمسؤول في كافة المشاريع الملكية السامية في الأقاليم الجنوبية، وقد استقبل أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده، يوم الأربعاء 20 جمادى الأولى 1420هـ/ موافق 1 شتنبر 1999م، ممثلي قبائل الصحراء المغربية الذين جاؤوا لتجديد البيعة لجلالته، والتعبير عن تعلقهم بشخصه الكريم والتفافهم حول عرشه العلوي المجيد، والتمسك بالوفاء للبيعة الشرعية للعرش العلوي المجيد¹.

وفي ذكرى عيد العرش المجيد تجدد القبائل الصحراوية البيعة الشرعية باعتبارها ميثاقاً مستمراً بين العرش العلوي المجيد وأهل الصحراء المغربية، ودفاعاً عن مقدسات المملكة المغربية الشريفة، وفي مقدمتها قضية الصحراء المغربية.

لقد حافظ أهل الصحراء المغربية على عقد البيعة الشرعية التي تجمعهم مع سلاطين الدولة العلوية الشريفة، وظلوا أوفياء للعرش العلوي المجيد ملتزمين بواجباتهم الشرعية تجاه مقام إمارة المؤمنين، فظلت البيعة ميثاقاً مستمرا بين أهل الصحراء المغربية والعرش العلوي المجيد جيلا عن جيل كبرا عن كابر حبا للنبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته الأطهار سلاطين الدولة العلوية الشريفة.

1- الصحراء المغربية من التدبير إلى التغيير، ص: 67.

لائحة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق (المصحف المحمدي الشريف).

المخطوطات والوثائق

- الرسالة العجالة الرائقة في العمالة، الشيخ سيد المختار الكنتي الصغير، نسخة محفوظة في الخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم: 2114.

- رسالة القائد إبراهيم التكني إلى السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام عام 1263 هجرية، نسخة في حوزتي.

- الجواب السلطاني على رسالة القائد بريك الحبشي حول تجديد قبائل الصحراء المغربية للبيع الشرعية للسلطان محمد الرابع سنة 1276 هـ، نسخة في حوزتي.

- عقد القرض المخطوط، نسخة حصلت عليها من مديرية الوثائق الملكية بالرباط، تحت رقم: 145، مؤرخة ب 22 ذي الحجة 1318 هجرية.

المطبوعات:

- المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، الجزء الأول، دراسة وتحقيق، إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، الطبعة الأولى، 2005م.

- الصحراء المغربية من التدبير إلى التغيير في ظل إمارة المؤمنين في عهد الدولة العلوية الشريفة، ياسين بن روان، أمين انقيرة، مطبعة دار القلم، الرباط، الطبعة الأولى، 2024م.

- أبو العباس أحمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1997م.

- الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، رسالة الشيخ سيد المختار الكنتي إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله، تحقيق سيد أحمد جد، منشورات دار قوافل للنشر، نواكشوط، الطبعة الأولى، 2017م.

- بهيجة سيمو، الصحراء المغربية من خلال الوثائق الملكية، القسم الأول، منشورات مديرية الوثائق الملكية بالرباط، الطبعة الأولى، سنة 2012م

- التسرب الأوربي بالسواحل الأطلسية الجنوبية للمغرب 1836-1895م، أحمد تانضافت، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، الطبعة الأولى 2014م.

- الشيخ لارباس ماء العينين، وفاء علماء الصحراء لبيعة الملوك العلويين، منشورات المجلس العلمي المحلي بالعيون، الطبعة الأولى، 1994م.

المقالات:

- بعض مظاهر حياة الصحراء المغربية فكرا وحضارة، الشيخ لارباس ماء العينين، مجلة المناهل، العدد 49، سنة 1995م.

رعاية إمارة المؤمنين للأمن الروحي للمغاربة المقيمين بالخارج

ذ. عبد الرحيم التكامي

أستاذ محاضر مؤهل بجامعة محمد الأول، وجدة

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
وبعد،

ففي ظل التحديات التي يواجهها المغاربة المقيمون بالخارج الذين يشكلون امتداداً حضارياً وروحياً للمملكة المغربية؛ يولي مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله وأيده، عناية خاصة بهذه الجالية في مختلف المجالات الروحية، والاجتماعية، والاقتصادية وغيرها.

ونظراً لأهمية الأمن الروحي لهذه الجالية ودوره في تحقيق الحياة الطيبة لأفراد الجالية المغربية المقيمة بالخارج فإن مولانا أمير المؤمنين يولي هذا الجانب عناية خاصة لربطهم بأصولهم المغربية وثوابتهم الدينية والوطنية المتمثلة في عقيدتهم الأشعرية ومذهبهم المالكي، وتصوفهم السني، وإمارة المؤمنين الحارسة لبقية الثابت.

إضافة إلى ربط الجالية بأصولهم المغربية فإن إمارة المؤمنين تهتم بصون هاته الجالية وحفظهم من أي خطاب منحرف يفصلهم عن هويتهم الدينية المغربية الأصيلة.

وتأخذ هذه الرعاية مظاهر وتجليات متعددة، تتكلف بتنزيلها وتنفيذها ميدانيا مختلف المؤسسات المعنية تحت الرعاية السامية لمولانا أمير المؤمنين نصره الله وأيده.

وسأعالج هذا الموضوع من خلال المحاور الآتية:

المحور الأول: مفهوم الأمن الروحي وأهميته

المحور الثاني: رعاية الأمن الروحي للمغاربة المقيمين بالخارج من خلال الخطب الملكية

المحور الثالث: رعاية الأمن الروحي للمغاربة المقيمين بالخارج من خلال المؤسسات التي تعنى بقضاياهم.

المحور الأول: مفهوم الأمن الروحي وأهميته

سأتناول في هذا المحور، مفهوم الأمن الروحي، من خلال تعريف المفردات التي يتركب منها، وسأبين أهمية الأمن الروحي في الاستقرار العقلي والنفسي، وتقوية العلاقات الاجتماعية.

أولاً: مفهوم الأمن الروحي

الأمن الروحي مركب وصفي، وليان مدلوله يتعين تفكيك جزئيه المركب منهما وبيان معناه، قصد التوصل إلى مفهوم هذا المركب.

لذلك سأعرفه باعتباره مركباً وصفياً، ثم باعتباره مصطلحاً له دلالة خاصة.

1- تعريف الأمن

الأمن لغة: «ضد الخوف»¹، و«عدم توقع مكروه في الزمان الآتي»².

واصطلاحاً: يدور معنى الأمن حول: السكينة والاستقرار النفسي، والاطمئنان القلبي واختفاء مشاعر الخوف من الإنسان. وقد اشتق منه الإيمان لأنه يفيد اطمئنان القلب وسكونه. قال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾³.

2- تعريف الروح

لغة: الروح لغة: النفس التي يحيي بها البدن، أو ما به حياة النفس⁴.

1- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة (أمن).

2- التعريفات للرجاني، باب الألف.

3- سورة الأنعام، الآية: 83.

4- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، لسان العرب لابن منظور، مادة (روح).

واصطلاحاً: عرفها ابن العربي رحمه الله في كتابه أحكام القرآن عند تفسير الآية الكريمة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾¹ بأنها «خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى جَعَلَهُ اللَّهُ فِي الْأَجْسَامِ، فَأَحْيَاهَا بِهِ، وَعَلِمَهَا وَأَقْدَرَهَا، وَبَنَى عَلَيْهَا الصِّفَاتِ الشَّرِيفَةَ، وَالْأَخْلَاقَ الْكَرِيمَةَ»².

وقد وردت كلمة (روح) في القرآن الكريم ثلاثاً وعشرين مرة بلواصقها واشتقاقاتها؛ لكنها في غالب الأحيان جاءت بغير معناها اللغوي، ولا يمكن تفسيرها إلا في سياق الآيات.

3- تعريف الأمن الروحي

الأمن الروحي من المفاهيم الحديثة، إذ لم يكن هذا المصطلح معروفاً في التاريخ الثقافي والفكري الإنساني. وقد ظهر إبان تفشي ظاهرة التطرف في فهم الأحكام الدينية والمقاصد الشرعية، والعلو والتشدد والفهم الخاطئ والتفسير المغلوط للآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال فقهاء الأمة وعلماؤها المعبرين.

هذه الظواهر المنحرفة المتطرفة زعزعت استقرار أفراد المجتمع وهددتهم في أمنهم الروحي والنفسي، مما تسبب في اضطراب الأمن الروحي، وزعزعة الاستقرار في المجتمعات الإسلامية التي عانت وما تزال تعاني من هذه الظاهرة الشاذة.

ويمكن استجلاء المفهوم الاصطلاحي للأمن الروحي بشكل أوضح وجلي، من الرسالة السامية التي وجهها أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس، نصره الله، إلى أعضاء المجلس العلمي الأعلى، والمجالس العلمية المحلية، بتاريخ 30 أبريل 2009م، وكان من ضمن ما جاء فيها ما يلي: «وإذا كنا قد أعلننا عن حرصنا الدائم والمستمر، في أكثر من مناسبة، على تعزيز الأمن الروحي بمملكتنا، بتحصين عقيدتها، وصيانة وحدتها المذهبية، والذود عن ثوابتها وقيمها فإننا ما زلنا نؤكد على ضرورة إدماج الخطاب الديني في صلب المشروع المجتمعي الذي نعمل جادين على إنجازه...»³.

لذلك يمكن تعريف الأمن الروحي بأنه «تلك المناعة الدينية القائمة على التشبع بالعقيدة الإسلامية الصحيحة المتمثلة في العقيدة الأشعرية، وصيانة الوحدة المذهبية للمغاربة والدفاع عن ثوابتها الدينية والوطنية وقيمها الأصيلة».

1- سورة الإسراء، الآية: 85.

2- أحكام القرآن: 2015/3.

3- الرسالة السامية خلال الدورة العادية الأولى، للمجلس العلمي الأعلى للسنة الهجرية 1430 الموافق لـ 2009م.

ثانياً: أهمية الأمن الروحي في الإسلام

لبيان أهمية الأمن الروحي في الإسلام، لا بد من الحديث عن أهمية الأمن التي أبرزته نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

1- أهمية الأمن في الإسلام

إن استتباب الأمن في حياة الأفراد والشعوب ذو أهمية خاصة أولها الإسلام ما تستحقه من اهتمام وتقدير، إذ كانت نعمة الأمن هي المطلب الأول لسيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾¹.

كما بين الله سبحانه وتعالى أن نعمة الأمن إحدى النعمتين اللتين امتنّ بهما على قريش، في قوله عز وجل: ﴿بَلِّغُوا رَّبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾².

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»³.

فرتّب صلى الله عليه وسلم الحاجات: الأمن أولاً، والصحة ثانياً، والطعام والشراب ثالثاً، وهذه هي الحاجات الأساسية لحياة الفرد والمجتمع، ولذلك فإنّ الأمن من أهم أسباب الحفاظ على الضرورات الخمس، وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، التي هي مقاصد الشريعة الإسلامية.

2- أهمية الأمن الروحي في الإسلام

يعدّ الأمن الروحي في الإسلام ذا أهمية بالغة في بناء إنسان متوازن نفسياً وعقلياً واجتماعياً، وذلك لما له من أثر في تحقيق طمأنينة النفس وسعادتها، عن طريق قراءة القرآن وذكر الله سبحانه وتعالى، والقيام بالشعائر الدينية، يقول الله تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَظْمِينَ الْقُلُوبِ﴾⁴، مما يجعله قادراً على مواجهة صعوبات الحياة.

كما يسهم الأمن الروحي في وقاية الإنسان من الرذائل، مثل: مختلف السلوكيات المنحرفة، التي نهت على تجنبها نصوص قرآنية وأحاديث كثيرة، خاصة تلك التي تحث على تقوية إيمان المسلم وضرورة التزامه بخلق

1- سورة البقرة، الآية: 126.

2- سورة قريش، الآيتان: 3-4.

3- سنن الترمذي، حديث رقم: 2346.

4- سورة الرعد، الآية: 28.

الصبر مثل قول الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسْرٌ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾¹ وقول النبي ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»².

فحينما يتحقق الأمن الروحي، فإنه ينعكس على تعاملات الناس فيما بينهم، حيث تسود بينهم قيم إسلامية نبيلة، مثل: المحبة، والتسامح، وتقلّ مظاهر العنف والكرهية.

المحور الثاني: رعاية إمامة المؤمنين للأمن الروحي للمغاربة المقيمين بالخارج من خلال الخطاب الملكية

صونا للأمن الروحي للجالية المغربية المقيمين بالخارج التزم جلالته حفظه الله، بالتصدي لكل التيارات الهدامة التي تسعى لزعة أمنهم الروحي كما ورد في خطابه أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس الإقليمية العلمية بتاريخ: 2004/03/25م، إذ جاء فيه «وستجدون خديم المغرب الأول، في طليعة المتصدين لكل التيارات الهدامة، والدخيلة على مجتمعا، الغيور على نقاء ووسطية الإسلام، من قبل كل المغاربة، بما فيهم رعايانا الأوفياء المقيمون بالخارج، مستبشرين خيرا باقتران انطلاق هذا الإصلاح الشامل بحلول عيد المولد النبوي الشريف، بكل ما يرمز إليه ميلاد جدنا المصطفى عليه السلام، وإلى رسالته، التي كانت فجرا لانبثاق حضارة إسلامية سمحة، أسهمت بنصيبها الوافر في ترسيخ المثل الإنسانية السامية، وتكريم الإنسان بإخراجه من الظلمات إلى النور، والدعوة إلى التعاون على البر والتقوى، والنهي عن الإثم والعدوان، سائلين الله أن يصلح أعمالنا وأعمالكم، ويجعلنا ممن «يستمعون القول فيتبعون أحسنه»³.

وترسيخا لمبدأ الحفاظ على الأمن الروحي للمغاربة المقيمين بالخارج، أعطى أمير المؤمنين، نصره الله وأيده، توجيهاته السامية لإحداث مجلس علمي للجالية المغربية بأوربا، جاء ذلك في الخطاب الذي ألقاه جلالته خلال ترؤسه للمجلس العلمي الأعلى بتاريخ 2008/11/6م، ومما ورد في هذا الخطاب: «وتجسيدا لحرصنا على أن يشمل القرب رعايانا الأوفياء بالخارج، ارتأينا الشروع بإحداث مجلس علمي للجالية المغربية بأوربا، وقد توخينا من هذه المبادرة، الانفتاح على خصوصيات قضاياها الدينية والثقافية والحفاظ على هويتها المغربية، عقيدة وقيما أصيلة، في مواجهة النزعات الأصولية المتطرفة»⁴.

1- سورة العصر، الآيات: 1-4.

2- صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب «المؤمن أمره كله خير».

3- خطاب أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس الإقليمية العلمية، 2004/03/25م.

4- الخطاب السامي الذي ألقاه جلالته الملك أعزه الله، خلال ترؤسه للمجلس العلمي الأعلى 2008/11/6م.

وورد فيه أيضا: «وبقدر ما نشيد باحترام مواطنينا بالخارج لقوانين بلدان الهجرة، فإننا حريصون على الحفاظ على هويتهم الثقافية والدينية المغربية الأصيلة، القائمة على التسامح والاعتدال، واحترام الاختلاف، وتجسيد الإسلام البناء»¹.

وجاء فيه أيضا: «وإننا لحريصون على أن يشكل هذا المجلس مؤسسة ناجعة لإسهام جاليتنا في النهضة الشاملة، التي يعرفها وطنهم المغرب، نظرا لما أبانوا عنه من تعلق بهويتهم الوطنية، ومن تعبئة والتزام في تقدم بلدهم، والدفاع عن وحدته، والانخراط في المشروع الديمقراطي والتنموي، الذي نواصل إنجازَه بإرادة راسخة وخطى حثيثة، لما فيه خير جميع مكونات شعبنا الأبي، داخل الوطن وخارجه»².

وقد أشاد - نصره الله - بتشبث المغاربة المقيمين بالخارج بانتمائهم الوطني وحفاظهم على صلة الرحم بذويهم وأقاربهم، نظرا لما لذلك من أثر في تعزيز القيم الدينية والوطنية، هذا ما جاء في خطابه بمناسبة الذكرى 58 لثورة الملك والشعب 2011م الذي ورد فيه: «وبقدر ما نولي من عناية فائقة لكافة أفراد شعبنا داخل الوطن، فإننا نجدد إشاراتنا بمواطنينا المقيمين بالخارج، لتشبثهم بانتمائهم الوطني، وحرصهم على صلة الرحم بذويهم وبيلادهم، بتوافدهم المتزايد عليها، وغيرتهم على تميته وتقديمها والدفاع عن قضاياها العادلة»³.

ونظرا لمكانة شباب الجالية المغربية المقيمين بالخارج، فقد خصهم جلالتهم بالاهتمام والرعاية إذ جاء في خطابه بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب لسنة 2012م: «لا يمكن التطرق إلى قضايا الشباب المغربي بدون استحضار أحد مكوناته، ألا وهم مواطنونا الشباب من أبناء جاليتنا المقيمة بالخارج. فتعلقهم الشديد ببلادهم يجسد مدى تجاوبهم مع التوجهات التي حددناها، والأوراش التنموية التي أطلقناها. إنكم تعلمون أننا عندما نقدم على إصلاحات مهيكلية وعميقة، فإننا نضع دائما مواطنينا المقيمين في الخارج، في صلب انشغالاتنا ومخططاتنا المستقبلية. وهو ما تحقق بإنجازنا لإصلاح مدونة الأسرة وقانون الجنسية، بكل ما يحملانه من رمزية عالية، وبإقدامنا على مراجعة الدستور، الذي يتضمن مقتضيات غير مسبقة، تخص حقوق المغاربة المقيمين في الخارج، الذين أتوجه إليهم بالخطاب بهذه المناسبة، لأقول لهم: إنكم لم تبخلوا بدوركم بأي جهد، من أجل الحفاظ على أواصر انتمائكم، وما فتئتم تضعون المغرب في صلب انشغالاتكم اليومية، مدافعين عن قضايا الوطن، مساهمين في تميته، حريصين على تطوير العلاقات بينه وبين بلدان إقامتكم، متشبثين بالتفاعل الثقافي مع القيم الكونية، لماهضة الصور النمطية والأحكام المسبقة ضد الإسلام والمسلمين. إن هذه العلاقة المتميزة ليست وليدة

1- نفسه.

2- نفسه.

3- الذكرى 58 لثورة الملك والشعب 2011م.

الصدفة، بل إنها علاقة رسختها سنوات طويلة من الجهود والتضحيات المتبادلة. لذا، فإننا سنستمر على نهجنا في الحفاظ على هويتكم، وتوفير الحماية لحقوقكم ومصالحكم، خاصة في ظل الأزمة الاقتصادية الحالية بأوروبا»¹. الأمر نفسه أكد عليه جلالة الملك حفظه الله في خطابه بمناسبة الذكرى السادسة عشرة لاعتلاء جلالته عرش أسلافه المنعمين، 30 يوليوز 2015م، مما جاء فيه «غير أن اهتمامنا بأوضاع المواطنين في الداخل لا يعادله إلا حرصنا على رعاية شؤون أبنائنا المقيمين بالخارج، وتوطيد تمسكهم بهويتهم، وتمكينهم من المساهمة في تنمية وطنهم»².

وهذا ما أكد عليه، نصره الله، في الخطاب السامي الذي وجهه إلى شعبه الوفي بمناسبة الذكرى التاسعة والستين لثورة الملك والشعب، 20 غشت 2022 م، مما جاء فيه: «ولا يفوتني هنا، أن أوجه تحية إشادة وتقدير، لأفراد الجالية المغربية المقيمة بالخارج، الذين يبذلون كل الجهود للدفاع عن الوحدة الترابية، من مختلف المنابر والمواقع، التي يتواجدون بها.

والمغرب والحمد لله، يملك جالية تقدر بحوالي خمسة ملايين، إضافة إلى مئات الآلاف من اليهود المغاربة بالخارج، في كل أنحاء العالم.

ويشكل مغاربة العالم حالة خاصة في هذا المجال، نظرا لارتباطهم القوي بالوطن، وتعلقهم بمقدساته، وحرصهم على خدمة مصالحه العليا، رغم المشاكل والصعوبات التي تواجههم.

ذلك أن قوة الروابط الإنسانية، والاعتزاز بالانتماء للمغرب، لا يقتصر فقط على الجيل الأول من المهاجرين؛ وإنما يتوارثه جيل عن جيل، ليصل إلى الجيلين الثالث والرابع.

ولكن في المقابل، لا بد أن نتساءل باستمرار: ماذا وفرنا لهم لتوطيد هذا الارتباط بالوطن؟ وهل الإطار التشريعي، والسياسات العمومية، تأخذ بعين الاعتبار خصوصياتهم؟ وهل المساطر الإدارية تتناسب مع ظروفهم؟ وهل وفرنا لهم التأطير الديني والتربوي اللازم؟»³.

بعد توجيه الحكومة للعمل على هيكلة هذا الإطار المؤسسي، للجالية المغربية بالخارج، بإحداث مجلس الجالية المغربية بالخارج، وإحداث هيئة خاصة تسمى «المؤسسة الحمديّة للمغاربة المقيمين بالخارج»، حرص نصره الله على بيان الدور الذي ينبغي أن تقوم به في الحفاظ على الأمن الروحي لهؤلاء المغاربة، حيث قال:

1- الخطاب السامي بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب، 2012م.

2- الخطاب السامي بمناسبة الذكرى السادسة عشرة لاعتلاء جلالته عرش أسلافه المنعمين، 30 يوليوز 2015م.

3- الخطاب السامي الذي وجهه إلى شعبه الوفي بمناسبة الذكرى التاسعة والستين لثورة الملك والشعب، 20 غشت 2022م.

«وإننا ننتظر من هذه المؤسسة، من خلال انخراط القطاعات الوزارية المعنية، ومختلف الفاعلين، أن تعطي دفعة قوية، للتأطير اللغوي والثقافي والديني، لأفراد الجالية، على اختلاف أجيالهم»¹.

المحور الثالث: رعاية الأمن الروحي للمغاربة المقيمين بالخارج من خلال المؤسسات التي تعنى بقضاياهم

يشكل الاهتمام بالمغاربة المقيمين بالخارج أحد المحاور الكبرى التي تحظى بعناية خاصة من طرف المملكة المغربية، انطلاقاً من التوجيهات السامية لأمر المؤمنين، صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله؛ فقد دأبت الدولة المغربية، في إطار سياستها الرامية إلى تعزيز الروابط الروحية والثقافية والوطنية مع أفراد الجالية المغربية المقيمة بالخارج، على إنشاء مؤسسات فاعلة تهتم بتأطيرهم ومواكبة احتياجاتهم المتعددة، خاصة في المجال الديني، بما يضمن الحفاظ على الثوابت الوطنية ويصون الأمن الروحي.

أولاً: على مستوى إنشاء مؤسسات تعنى بالمغاربة المقيمين بالخارج

1. مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج (تأسست سنة 1990م).
 2. مجلس الجالية المغربية المقيمة بالخارج (تأسست في 21 دجنبر 2007م).
 3. المجلس الأوروبي للعلماء المغاربة، (المجلس العلمي المغربي لأوربا) (6 نوفمبر 2008م) مقره ببروكسيل.
 4. مؤسسة محمد الخامس للتضامن، تأسست بتاريخ 5 يوليوز 1999م.
- وتواكب عمل هذه المؤسسات:

1. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
2. وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج.

ثانياً: على مستوى الأهداف المرجوة

- تعمل إمارة المؤمنين من خلال المؤسسات المعنية، على تحقيق مجموعة من الأهداف أبرزها:
- تقوية الأواصر لدى المهاجرين المغاربة مع نمط التدين المغربي المعتدل وذلك في إطار الجهود التي تبذلها إمارة المؤمنين لتعزيز المنهج الديني الوسطي والمعتدل.

1- الخطاب السامي بمناسبة الذكرى التاسعة والأربعين للمسيرة الخضراء 06 نونبر 2024م.

- التثبيت بتعاليم الدين الإسلامي القائمة على التسامح والتعايش بلا تعصب ولا تطرف عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»¹.
- صون المغاربة المقيمين بالخارج من أي خطاب منحرف، وربطهم بأصولهم المغربية وثوابتهم الوطنية وهي: إمارة المؤمنين، والعقيدة الأشعرية، والمذهب المالكي، والتصوف الجنيدي السني.
- الإجابة عن الأسئلة المثارة حول الدين الإسلامي بشكل عام، والإشكالات الدينية التي تعترض أفراد الجالية المغربية.
- العمل على تأهيل المغاربة للانندماج في بلدان الإقامة مع الحفاظ على الخصوصية المغربية والثوابت الدينية للمملكة المغربية، وصونهم من أي خطاب منحرف.
- المصاحبة الروحية الضرورية للمهاجرين المغاربة خاصة خلال شهر رمضان المبارك.
- تقوية أواصر المهاجرين المغاربة، وتوحيد صفوفهم.
- صيانة المساجد المغربية والحفاظ على الأمن الروحي بها.
- تعزيز الشعور بالانتماء إلى الوطن الأم، والحفاظ على الروابط الدينية والثقافية مع المغاربة المقيمين بالخارج، فالإنسان مجبول على حب وطنه، فالرسول ﷺ عند الهجرة خاطب مكة قائلاً: «مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ»².
- التأطير الديني للجالية المغربية المقيمة بالخارجة وفق الثوابت الدينية المغربية.

ثالثاً: على مستوى الوسائل

- تعتمد إمارة المؤمنين من خلال المؤسسات المعنية، في تحقيق الأهداف السابقة وغيرها، جملة من الوسائل، منها:
- تزويد المساجد والمراكز الإسلامية بنسخ من القرآن الكريم، من خلال ما تنتجه مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف (تأسست بتاريخ 23 فبراير 2010م).
- تأطير المغاربة المقيمين بالخارج بدروس الوعظ والإرشاد، وتشمل برنامج الوعظ القار وبرنامج الوعظ

1- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

2- سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب في فضل مكة.

الموسمي خلال شهر رمضان بإرسال بعثة علمية دينية إلى أوروبا وأمريكا الشمالية للقيام بالتأطير الديني لأفراد الجالية، وتكون البعثة العلمية من أساتذة جامعيين، ووعاظ، وخطباء، وأئمة مشفعين.

• إقامة أنشطة للشباب، منها إعداد دروس ومحاضرات تشمل مواضيع ذات صلة بحياتهم الدينية والمجتمعية باللغات الأوروبية، بالإضافة إلى أنشطة شبابية تؤهلهم للانفتاح على المجتمعات التي يعيشون فيها.

• تنوع الأنشطة الدينية التي تهدف إلى إرساء مقومات الأمن الروحي لدى المغاربة المقيمين بالخارج إلى أنشطة ميدانية في المساجد والجمعيات والمؤسسات الإسلامية والثقافية والخيرية، وأنشطة تواصلية من خلال مواد إعلامية تبث على المواقع الإلكترونية للمؤسسات المعنية بالمغاربة المقيمين بالخارج ومنصاتها التواصلية.

• إحداث منصة محمد السادس للحديث الشريف، وهي مبادرة مباركة من مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، للناية بالحديث الشريف والذب عن السنة، ويمكن للمغاربة المقيمين بالخارج الاستفادة منها للتأكد من صحة الأحاديث من خلال الموقع الإلكتروني للمنصة hadithm6.ma.

خاتمة

إن الاهتمام الذي يوليه أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس - نصره الله وأيده - بالأمن الروحي لرعاياه الأوفياء من المغاربة المقيمين بالخارج، ليس وليد ظرفية عابرة؛ بل هو اختيار استراتيجي يعكس عمق الرؤية الملكية في صيانة الأمن الروحي لرعاياه الأوفياء من خلال الحفاظ على الثوابت الدينية المغربية المتمثلة في العقيدة الأشعرية، والمذهب المالكي، والتصوف السني، وإمارة المؤمنين.

وهذه العناية لم تقتصر على إنشاء مؤسسات تعنى بالمغاربة المقيمين بالخارج؛ بل تتجلى أيضا في حرصه الدائم - نصره الله وأيده - على التأكيد في خطب كثيرة على واجب حماية المغاربة من كل فكر دخيل، وضرورة تأطيرهم دينياً بما يضمن انسجامهم الروحي والمجتمعي داخل بلدان الإقامة، دون انقطاع عن جذورهم المغربية، وهويتهم الدينية والوطنية.

نسأل الله تعالى أن يحفظ مولانا أمير المؤمنين بما حفظ به الذكر الحكيم، وأن يديمه ذخرا لشعبه الوفي داخل أرض الوطن وخارجه.

والحمد لله رب العالمين.

التنمية البشرية والعدالة المجالية في عهد أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله

ذ. عبد الواحد الوزاني

أستاذ بجامعة مولاي إسماعيل - مكّاس

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد، تشكل مؤسسة إمارة المؤمنين في المغرب مصدر قوة وإجماع وتكامل ووحدة للمغاربة على مر العصور بجميع مكوناتهم وأطيافهم واتجاهاتهم الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية لما تشكله هذه المؤسسة من نموذج مغربي فريد يقوم على المساهمة في بناء الدولة المغربية القائمة على مرجعية الأمة في تدبير شؤونها العامة وعلى ضمان الحقوق الأساسية للأفراد والمساواة فيما بينهم وتحقيق التنمية المستدامة على مختلف الأصعدة والمجالات.

إن مفهوم إمارة المؤمنين في النظام الإسلامي السني مصطلح شرعي معناه القيام على شؤون الرعية الدينية والدينية وهي أعلى منصب في نظام الحكم الإسلامي، وأمير المؤمنين يسمى بالخليفة أو الإمام أو ولي الأمر أو السلطان، وشمول وظيفة إمارة المؤمنين لمصالح المواطنين الدينية والدينية معاً مقرر وواضح في المصادر المرجعية لنظام إمارة المؤمنين القديمة فهي: «موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»¹. وهذه المؤسسة إنما أقيمت من أجل «حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع

1- الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، ص: 5.

في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»¹. وهي: «رئاسة تامة وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا»²، وهذا التلازم والترابط بين مهمات الدين والدنيا إنما هو لمراعاة مصالح الناس في المعاش والمعاد، على أساس الاجتهاد والتقدير المصلحي لحاجات الناس بما يتوافق مع روح العصر ومستجداته في مختلف المجالات.

إن البعد المصلحي لإمارة المؤمنين، والجامع بين رعاية مصالح الدين، والقيام بالوظائف السياسية والتنموية والاقتصادية والاجتماعية... رعاية للمصالح الدنيوية، تم بيانه في مختلف دساتير المملكة، ابتداء بدستور 1962م ثم بدساتير 1970م و 1972م و 1992م و 1996م بلوغا لدستور 2011م الذي نحا إلى التدقيق والتفصيل ثم الفصل في مضمون الفصل 19 من دساتير ما قبل سنة 2011م؛ حيث فصل دستور 2011م في صلاحيات إمارة المؤمنين الدينية في الفصل 41، وفي صلاحياته ووظائف أمير المؤمنين السياسية باعتباره رئيسا للدولة في الفصل 42، وهي صلاحيات دستورية متكاملة دينية وسياسية وتشريعية وتنفيذية وتنموية وتحكيمية... تراعي المصالح العليا للوطن، ومصالح المواطنين الدينية والدنيوية.

وقد حرص أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، في عهده الميمون على مراعاة مصالح المواطنين الدينية والدنيوية معاً، من خلال مشاريع ومبادرات لإصلاح الحقل الديني، وإعادة هيكته رعاية منه لمصالح الناس الدينية، ومن خلال مشاريع تنموية واجتماعية واقتصادية وتشريعات حقوقية... وهو الشق الذي سنخصه بالعرض والبيان في هذا المقال مركزين على وجه الاختصار على التنمية البشرية والعدالة المجالية في السياسة الحكيمة لصاحب الجلالة.

أولاً: إنسانية التنمية البشرية في عهد جلالة الملك محمد السادس أعز الله أمره

خلال أكثر من ربع قرن، أطلق أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، العديد من المشاريع والمبادرات التي تغطي مختلف جوانب الحياة في المغرب. من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، التي تهدف إلى محاربة الفقر والهشاشة، إلى مشروع الإصلاحات الدستورية التي تعزز الديمقراطية والشفافية، بالإضافة إلى ورش تحقيق العدالة الاجتماعية والمجالية، والمتمثل في مشروع الحماية الاجتماعية، ومشروع التنمية الجهوية والمحلية وتقوية اللامركزية. مروراً بمشاريع الطاقة المتجددة والمدن الذكية التي تسعى لتحقيق الاستدامة البيئية، كما لم تغفل هذه السياسة عن تطوير التعليم والتكوين المهني، وتطوير السياحة، والحفاظ على التراث الثقافي الغني للمملكة.

1- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، 563/2.

2- غياث الأمم في التياث الظلم، عبد الملك الجويني، تحقيق عبد العظيم الديب، ص: 218.

هذه المشاريع التنموية الكبيرة تُظهر التزام جلالة الملك محمد السادس بتحقيق التقدم والرفاهية لشعبه، بتنفيذ سياسة عامة مندمجة ومتكاملة للتنمية، حيث يتم التركيز على جميع القطاعات الحيوية لضمان مستقبل أفضل لجميع المواطنين. من خلال استثمارات تنموية كبيرة، وتخطيط عبّري محكم، وتنفيذ واع ودقيق، وكل ذلك ضمن إطار تصور موحد يهدف إلى جعل المغرب نموذجاً للتنمية المستدامة في المنطقة العربية والإفريقية والدولية بصفة عامة.

إن مشاريع التنمية المستدامة التي عمل على تنزيلها صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله طيلة مدة حكمه، ترتبط بخيط أخلاقي ناظم، وتستند إلى مرجعية دينية وحقوقية سامية، تقتضي تمكين المواطنين من حقهم في التنمية البشرية، وتحقيق العدالة المجالية بين جهات المغرب على أساس حفظ الكرامة الإنسانية، والسعي نحو تحقيق الرفاهية لجميع المواطنين على أساس مشاركتهم الكاملة في عملية التنمية والتوزيع العادل للحقوق والمزايا، وتستند في بعدها القيمي والفلسفي إلى فكرتين:

- الفكرة الأولى: نتوخى في اتجاه الاقتناع بأن التنمية البشرية ليست نضالاً ضد الندرة، أو إيجاداً للوفرة، وتحقيقاً للنمو الاقتصادي، بل إنها فن تدبير البعد الإنساني، الفن الذي يجعل القوى البشرية إيجابية ذات إرادة إثباتية فعالة¹، ومن ثمّ يكون توصيف مهام وأدوات التنمية منسجماً مع إرادة الإنسان في تحقيق التغيير في محيطه، فهو ينطلق من الأصل الداعم لهذه الإرادة، لكي يصل إلى إقامة صرح التنمية المستدامة المنشودة، والمستصحبة للبعد الإنساني.

- الفكرة الثانية: تقضي بتجاوز فكرة أن التنمية البشرية تأتي من خارج الذات الإنسانية، فالإنسان هو الركيزة الأساس في التنمية، والتي لا يمكن تجاوزها وتجاهلها بأي حال، ومن ثم فإن المنهج القويم في مادة التنمية يبدأ بالإنسان ويستمر بالإنسان ويستهدف الإنسان²، فالوصف الحقيقي للتنمية ليس مرتبطاً بشكل حصري بالعملية الاقتصادية وحسب، وإنما هي عملية إنسانية بالدرجة الأولى تبتغي تنمية قدرات ومهارات الإنسان من جهة، والمحافظة على هويته وخصوصياته الحضارية من جهة ثانية.

وهذا الاتجاه الذي يراعي مركزية الإنسان في العملية التنموية، وهويته وخصوصياته الحضارية، ويستهدف تنمية قدراته ومهاراته الإبداعية، هو الذي لمسناه في التنمية البشرية الرائدة التي قادها صاحب الجلالة، والتي

1- مفارقات التنمية، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، عدد 45، الطبعة الأولى 2003م، الصفحة 21.

2- إمارة المؤمنين والتنمية البشرية، صالح النشاط، ضمن كتاب الملتقى العلمي السادس للجلسة العلمي المحلي للرباط في موضوع «إمارة المؤمنين والبيعة الشرعية» ص: 214. الطبعة الأولى 2014م.

جسدتها توجيهاته وخطبه السامية، وخاصة خطابه يوم 18/05/2005م الذي أعلن من خلاله عن «المبادرة الوطنية للتنمية البشرية».

ثانيا: إمارة المؤمنين وثبتت مبدأ «الحق في التنمية» دستوريا.

يعتبر الإنسان الثروة الحقيقية للأمم، وسر نهضتها وتقدمها، فهو القادر على اكتساب المعارف والقدرات، وتسخير رأس المال العيني، وتحقيق المنجزات، لهذا يبقى الاستثمار فيه خير استثمار لتحقيق المنافع الدنيوية والأخروية، وتحقيق المصالح العامة والخاصة، العاجلة والآجلة، وقد خلصت دراسة شملت 192 بلدا إلى أن رأس المال البشري والاجتماعي يساهم بما لا يقل عن 64٪ من أداء النمو، في حين يساهم رأس المال المادي بنسبة 16٪ من النمو، ويساهم الرأسمال الطبيعي بالنسبة المتبقية¹.

لهذا فإن تحقيق الحياة الطيبة - في الدنيا والآخرة - والتنمية الاجتماعية والاقتصادية... لن يتحقق بدون إنسان حر ومتعلم، معتز بدينه وهويته الحضارية، لا يلوكة المرض، ولا يسيطر عليه الجهل، ولا يفتك به الفقر، ولا ينتهك حرمة ظلم، وهذا ما أسس له الإسلام ودعا له وحث عليه، وهذا ما حرصت على تحقيقه إمارة المؤمنين في المملكة المغربية الشريفة تحت القيادة الحكيمة لصاحب الجلالة الملك محمد السادس، أعزه الله، إذ تظهر ملامح العلاقة الترابية بين إمارة المؤمنين والحق في التنمية البشرية في إسهام أمير المؤمنين في إطلاق المبادرات الوطنية التنموية، وعلى رأسها «المبادرة الوطنية للتنمية البشرية» التي أعطى انطلاقها صاحب الجلالة في شهر ماي من سنة 2005م، والتي شكلت الوعاء العام لاستنبات فكرة التنمية في السياسات العمومية على المستوى الوطني، والتي امتدت على مستوى التعاون الدولي سواء في المستوى القاري² أو باقي دول العالم، وقد تعزز هذا التوجه بتخصيص حيز مهم من دستور سنة 2011م للتنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعية من خلال التنصيص على هذا الحق، وخاصة في الفصل الواحد والثلاثين (31) منه، الذي أسس لفكرة «الحق في التنمية المستدامة» في إطار عقد اجتماعي من نوع جديد ينتمي إلى الجيل الثالث لحقوق الإنسان، والذي يندرج في إطار ما أصبح يصطلح عليه بالحقوق الجماعية أو حقوق التضامن³. ومما جاء في الرسالة الملكية السامية بمناسبة الذكرى السبعين للإعلان العالمي لحقوق الإنسان: إن دستور 2011م الذي تم إعداده بطريقة تشاركية،

1- ينظر: تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002م، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ص 6.

2- تعددت أوجه التعاون المغربي على الصعيد القاري لتحقيق التنمية بالقارة الإفريقية على أساس التعاون جنوب جنوب، وأخص منها بالذكر تقديم يد العون والمساعدة للدول الإفريقية وتقاسم التجربة المغربية في الأزمة العالمية «كوفيد 19» وكذلك المبادرة الملكية الاقتصادية لدول الساحل والصحراء لتسهيل ولوج هذه الدول للسواحل الأطلسية.

3- ينظر: حقوق الإنسان وحقوق الشعوب، عمر سعد الله، ص: 250.

وبمساهمة جميع الفاعلين المعنيين، يتضمن ميثاقا حقيقيا للحريات والحقوق الأساسية يتلاءم والمرجعية الكونية لحقوق الإنسان¹.

وقد جعل الدستور المغربي من الفصل 19 فصلا جامعا بشكل عام للحقوق الأساسية للإنسان، سواء تلك الواردة في الجيلين الأول والثاني وحتى الثالث، لتتولى بقية فصول الباب عرض تفاصيلها. وقد صيغ كما يلي: «يتمتع الرجل والمرأة، على قدر المساواة بالحقوق والحريات المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية، الواردة في هذا الباب من الدستور، ومن مقتضياته الأخرى، وكذا في الاتفاقيات والمواثيق الدولية، كما صادق عليها المغرب، وكل ذلك في نطاق أحكام الدستور وثوابت المملكة وقوانينها»².

أما على مستوى تنزيل «الحق في التنمية» في الدستور المغربي، فقد خصص الفصل 31 منه للحدوث عن هذا المقتضى، حيث ألزم الدستور 2011م الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية، بالعمل على تعبئة كل الوسائل المتاحة، لتيسير أسباب استفادة المواطنين والمواطنات، على قدم المساواة، من الحق في العلاج والعناية بالصحة؛ والحماية الاجتماعية والتغطية الصحية، والتضامن التعاضدي أو المنظم من لدن الدولة؛ والحصول على تعليم عصري ميسر الولوج وذو جودة؛ والتنشئة على التشبث بالهوية المغربية، والثوابت الوطنية الراسخة؛ للتكوين المهني والاستفادة من التريبة البدنية والفنية؛ والسكن اللائق؛ والشغل والدعم من طرف السلطات العمومية في البحث عن منصب شغل، أو في التشغيل الذاتي؛ وولوج الوظائف العمومية حسب الاستحقاق؛ والحصول على الماء والعيش في بيئة سليمة؛ والتنمية المستدامة³.

من ناحية أخرى فإن إعمال الحق في التنمية لا يقتصر فقط على المستوى المركزي المتمثل في تدخل الدولة، بل يمتد إلى المستوى الترابي حيث يوفر مشاركة المواطن في صنع سياساته الترابية الخاصة به استنادا إلى الفصل 136 من الدستور الذي يشير إلى أن التنظيم الجهوي الترابي يركز على مبادئ التدير الحر، وعلى التعاون والتضامن ويؤمن مشاركة السكان المعنيين في تدير شؤونهم والرفع من مساهمتهم في التنمية البشرية المندمجة والمستدامة.

فضلا عن ذلك فقد أناط الدستور المؤسسات المعنية بمسؤولية المساهمة في تفعيل الحق في التنمية، ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى الفصل 163 من دستور 2011م، حيث عهد إلى مجلس الجالية المغربية بإبداء

1- رسالة ملكية بمناسبة الذكرى السبعين للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، بتاريخ 20 دجنبر 2018م، الرابط.

2- الفصل 19 من دستور المملكة المغربية لفتح يوليوز 2011م.

3- ينظر: الفصل 31 من دستور المملكة المغربية لفتح يوليوز 2011م.

آرائه حول توجهات السياسات العمومية التي تمكن المغاربة المقيمين بالخارج من تأمين الحفاظ على علاقات متينة مع هويتهم المغربية، وضمان حقوقهم وصيانة مصالحهم، وكذا المساهمة في التنمية البشرية والمستدامة في وطنهم المغرب وتقدمه¹.

لقد عرفت منظومة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتنمية تطورا كليا وكيفيا في دستور 2011م مقارنة مع الدساتير والقوانين السابقة، مما يعني أن المغرب بمؤسساته وهيئاته أصبح ملزما بالعمل على صيانتها والدفاع عنها، مستندا في ذلك إلى حقيقة شرعية وتاريخية وواقعية، وهي أن إمارة المؤمنين ستبقى هي الضامنة القوية، بعد الله تعالى، لهذه الحقوق، والداعمة للسياسات العمومية في بنيتها والدفاع عنها في خططها وبرامجها، حتى ترسخ هذه الحقوق نصا وممارسة، وهذا ما سنحاول إن شاء الله تعالى تلمسه في المحاور الموالية.

ثالثا: إرساء أسس الدولة الاجتماعية في عهد أمير المؤمنين محمد السادس نصره الله.

أ. المبادرة الوطنية للتنمية البشرية

عرف المغرب في عهد أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، سلسلة مترابطة من الأوراش التنموية المستدامة، شملت مختلف المجالات والقطاعات بالدولة، كما شكلت هندسة اجتماعية تضامنية شاملة الرؤى، تتوخى في جوهرها جعل المواطن ضمن الأولوية الكبرى في مسلسل الإصلاح الشامل، والهدف الأساسي للنهوض بالعنصر البشري ببلادنا هو ترسيخ مبادئ التضامن والتكافل والتآزر الاجتماعي، برؤية ملكية تضامنية للمجال الاجتماعي والاقتصادي حيث اعتمدت إحداث النظم والأساليب التديرية، وذلك من خلال وضع أهداف واضحة تتسم بالانسجام والفعالية والنجاعة والملائمة مع القدرة على التأثير وتحديد دقيق للمؤشرات، كل ذلك وفق آلية الحكامة المجالية .

لقد استطاع المغرب بفضل جلالته وضع برامج تنموية مستدامة تمكن من الاندماج الفعلي في مشاريع اقتصادية مدرة للدخل وفك الهشاشة والتهميش والإقصاء، عبر إحداث المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي ظلت مستمرة في مختلف المحطات ومواكبة لجميع التحولات الاجتماعية والاقتصادية، توجت بإطلاق المرحلة الثالثة في سياق زمني (2019-2023م)، التي تمت بلورتها وفق تصور جديد، من خلال تعبئة استثمارات تقدر بـ 18 مليار درهم، تهدف إلى إعادة تركيز برامج المبادرة على النهوض بالرأسمال البشري، والعناية بالأجيال الصاعدة، ودعم الفئات في وضعية هشاشة، وذلك اعتمادا على منهجية مبنية على حكمة خلاقة ومبدعة ترمي إلى تحقيق مزيد من الانسجام والفعالية.

1- ينظر: إعمال الحق في التنمية بالمغرب بين الانخراط الدولي والتنصيب الدستوري، أشرف بلبقوس، مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1 العدد 9 (الجزء 2) السنة الأولى ص: 715 - 716.

وقد ساهمت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية في تدارك الخصاص المسجل على مستوى البنيات التحتية، والخدمات الاجتماعية الأساسية، ومواكبة الأشخاص في وضعية هشاشة وأيضا تحسين الدخل والإدماج الاقتصادي للشباب بشكل ناجع ومستدام، بالإضافة إلى تحديد مهام أجهزة الحكامة التي تنسجم مع ورش الجهوية المتقدمة، وفق منظور يضمن نجاعة وفعالية هذا الورش في المستوى المحلي الذي تعمل فيه¹.

وبفضل هذه الجهود المبذولة، تحت القيادة المتبصرة والاستشرافية لصاحب الجلالة، تمكنت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية منذ أزيد من 20 سنة على إحداثها من أن تحظى بإشادة المنتظم الدولي، لما قامت به من أدور أساسية وفعالة في خلق آلية للتعاون والتضامن المجتمعي واسعة النطاق، حيث صنفها البنك الدولي عام 2015م ضمن أفضل ثلاثة برامج اجتماعية ذات تأثير كبير في العالم، في توسيع رقعة المجتمع المدني².

كما عملت مشاريع التنمية البشرية التي وضع هندستها جلالة الملك أعزه الله في فك العزلة المحلية عبر تقوية المسالك الطرقية والربط بشبكي الماء الصالح للشرب والكهرباء، وكذا تيسير الولوج للخدمات الصحية للقرب عبر إحداث دور الأمومة، والمراكز الصحية، واقتناء سيارات للإسعاف في مختلف المناطق القروية، بالإضافة إلى تنظيم القوافل الطبية والحملات الصحية، وسلسلة من المشاريع الميدانية في مختلف جهات المملكة مكنت من تقليص العجز المسجل على المستوى السوسيواقتصادي، في إطار البرامج المعتمدة.

لقد ساهم برنامج محاربة الفقر بالوسط القروي، الذي استهدف في المرحلة الأولى 2005-2010م، أزيد من 403 جماعة ترابية، ليشمل 702 جماعة ترابية خلال المرحلة الثانية، بالإضافة إلى برنامج محاربة الإقصاء الاجتماعي في الوسط الحضري، الذي عمّ في المرحلة الأولى 264 حيا، وقد ارتفع هذا العدد ليلعب 532 حيا خلال المرحلة الثانية، ثم برنامج محاربة الهشاشة، والذي جاء لمساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة، والمرضى، والمسنين، ودعم الإدماج السوسيو-اقتصادي بالإضافة إلى حماية الطفولة والشباب حيث توسعت قاعدة استهدافه من ثمانية فئات في المرحلة الأولى إلى عشر فئات في المرحلة الثانية، زيادة على برنامج أفقي يعنى بالمناطق غير المستهدفة حسب المعايير المعتمدة بالبرامج الأخرى، وبرنامج التأهيل الترابي للمناطق المعزولة والصعبة الولوج، الذي أعطيت انطلاقته سنة 2011م حيث استهدف 3.300 دوار موزعة على 22 إقليمًا.

1- ينظر: المغرب في عهد محمد السادس تحقيق لبرامج تنويع مستدامة، تنسيق إبراهيم الفاسي الفهري، يوليو 2020م،

<https://www.amadeusonline.org/publications/analyses>

2- ينظر: تقرير المعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية بتاريخ 2024/07/31م، بعنوان: «التنمية البشرية والبناء المؤسسي تحت القيادة المستنيرة لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله».

«إن المبادرات التنموية التي قادها جلالته للنهوض بالعنصر البشري مكنت بشكل فعال من وضع هندسة متفردة و شاملة الجوانب للبرامج الاجتماعية بالملكة، ساهمت في تحقيق رافعة مالية ناهزت نسبتها 53%، مع إشادة المنظمات الدولية بدورها كتجربة رائدة في مجال التنمية البشرية بالوطن العربي و القاري».

ب. تعميم الحماية الاجتماعية:

شكل خطاب أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، بمناسبة افتتاح الدورة التشريعية يوم 9 أكتوبر 2020م، نقطة تحول في تجسيد المقاربة الملكية الهادفة إلى بناء الدولة الاجتماعية في المغرب. ووصف هذا المشروع، الذي يهدف إلى تعميم الحماية الاجتماعية لتشمل جميع المواطنين بحلول عام 2025م، بأنه إصلاح مجتمعي استثنائي أشادت به المؤسسات الدولية مثل البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة العمل الدولية.

ويقصد بالحماية الاجتماعية جميع آليات الاحتياط الجماعي التي تمكن الأفراد أو الأسر من مجابهة الآثار المالية المترتبة عن المخاطر الاجتماعية. وترتكز على آليتين هما «التأمين الاجتماعي»، و«المساعدة الاجتماعية». وتوفر آليات الحماية الاجتماعية للأسر مزايا اجتماعية تمكنها من العيش بكرامة، وهو حق معترف به في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

كما تركز الحماية الاجتماعية على إدارة المخاطر الاجتماعية، وبالتالي فهي توفر دورة فعالة من التنمية والنمو. وهي تمكن من الحد من فقر الأسر، وتعزيز التماسك والاستقرار الاجتماعي، والمساهمة في التنمية الشاملة للبلدان. وتشكل الحماية الاجتماعية اليوم أداة أساسية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة (ODD).

ويعتبر ورش تعميم الحماية الاجتماعية من الأوراش الكبرى التي أطلقها جلالته الملك محمد السادس، نصره الله. وهو ثورة اجتماعية حقيقية يقودها جلالته، تهدف إلى تقليص الفقر ومحاربة كل أشكال الهشاشة ودعم القدرة الشرائية للأسر وتعميم التأمين الصحي الإجباري على جميع المواطنين والمواطنات، وتعميم التعويضات العائلية والتعويض عن فقدان الشغل، وتوسيع نظام التقاعد.

كما نصت المادة 31 من الدستور على أن الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية، تعمل على تعبئة كل الوسائل المتاحة، لتيسير أسباب استفادة المواطنين والمواطنات، على قدم المساواة، من الحق في العلاج والعناية الصحية، والحماية الاجتماعية والتغطية الصحية، والتضامن التعاضدي أو المنظم من لدن الدولة.

ويشكل القانون الإطار رقم 09.21 الصادر في 22 شعبان 1442هـ (5 أبريل 2021م) المتعلق بالحماية الاجتماعية، مرحلة أساسية في تنفيذ توجهات أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، فيما يتعلق بتعميم التغطية الاجتماعية لفائدة جميع المواطنين والمواطنات المغاربة بحلول عام 2025م.

ويهدف القانون الإطار إلى:

1. تعميم التغطية الصحية الإلزامية في أفق 2022م، لفائدة 22 مليون مستفيد إضافي من الولوج إلى التأمين الإلزامي الأساسي عن المرض (أمو) الذي يغطي تكاليف العلاج والأدوية والاستشفاء؛
2. تعميم التعويضات العائلية في أفق 2024م، لفائدة حوالي 7 ملايين طفل في سن التمدرس؛
3. توسيع الانخراط في أنظمة التقاعد في أفق 2025م، لفائدة 5 ملايين مغربي من الساكنة النشطة؛
4. تعميم الاستفادة من التعويض عن فقدان الشغل في أفق 2025م، بالنسبة لكل شخص يتوفر على عمل قار.

ويهدف قرار تخصيص قانون-إطار لهذا المشروع الاجتماعي الملكي إلى ضمان التطبيق الأمثل له، وإلى حسن تنفيذ مقتضياته التنموية، وضمان استمراريته واستدامته. ومن أجل ذلك، تتمثل التزامات السلطات العمومية في ضمان تنسيق تدخلات جميع الأطراف المعنية بتعميم الحماية الاجتماعية، كألوية وطنية، لضمان تطوير الجوانب المرتبطة بتدبير وحكمة مؤسسات الضمان الاجتماعي.

ويتعلق الأمر أيضا بضمان أنظمة الحماية الاجتماعية، واتخاذ كافة التدابير التشريعية والتنظيمية والمؤسسية والمالية التي من شأنها أن تسمح بتعميم هذه الحماية. وكل ذلك مع الأخذ بعين الاعتبار مبدأ التوازن المالي لهذه الأنظمة، والذي يتطلب ضمان التوازن الهيكلي بين الموارد والمساهمات من جهة، والنفقات والخدمات المقدمة من جهة أخرى¹.

رابعا: التنمية الجهوية والمجالية: تقويةً للامركزية وتطوير للجهات

في إطار اللامركزية وتطوير الجهات، أطلق صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، مشروع الجهوية المتقدمة عام 2014م. ويهدف هذا الورش إلى تمكين الجهات من اتخاذ قراراتها بشكل مستقل وتطوير اقتصادها المحلي. من خلال هذا النهج، يسعى جلالته الملك إلى تحقيق تنمية مستدامة تشمل كافة المناطق، مع التركيز على تحقيق العدالة المجالية وتقليص الفوارق بين المناطق الحضرية والقروية. هذا التوجه يعزز من كفاءة إدارة الشأن المحلي ويحفز المشاركة الفعالة للمواطنين في عملية التنمية.

1 - ينظر: تعميم الحماية الاجتماعية.. الثورة الملكية الهادئة، <https://ar.le360.ma/societe/NUOGLVMQTNFZDD4ESUIY53U>

أ. مشروع الجهوية المتقدمة: تعزيز أدوار اللامركزية الترابية

ورش الجهوية المتقدمة يهدف إلى تفعيل اللامركزية وتطوير الجهات في المغرب، مما يمكنها من اتخاذ قراراتها بشكل مستقل وتطوير اقتصادها المحلي. يركز هذا المشروع على تمكين الجهات من تحقيق التنمية المستدامة من خلال تطوير البنية التحتية وتقديم الدعم المالي والفني.

وفي رسالة وجهها جلالة الملك محمد السادس، إلى المشاركين في المناظرة الوطنية الأولى للجهوية المتقدمة، يوم الجمعة 20 دجنبر 2019م بأكادير، قال جلالة الملك نصره الله: "لقد قطع مسلسل الجهوية المتقدمة أشواطاً هامة، منذ تنصيبنا للجنة الاستشارية للجهوية المتقدمة، التي شكلت خلاصات تقاريرها أسس بناء النموذج المغربي، الذي يركز على المساهمة الفعلية للجهات وللجماعات الترابية في خلق التنمية المندمجة، على أساس الديمقراطية والفعالية والتشاركية"¹.

وقد خطا المغرب مجموعة من الخطوات في إطار ورش اللامركزية الإدارية وتمكين الجهات من الإمكانيات اللازمة لتحقيق التنمية المستدامة على المستوى المحلي. كما تذكر في هذا المضمار مضمون الرسالة الملكية إلى المشاركين في الدورة الواحدة والثلاثين لمجلس وزراء الداخلية العرب، حيث جاء في الرسالة السامية: "حرصنا على إقرار تنظيم ترابي جديد، يقوم على اللامركزية، وأطلقنا ورش الجهوية المتقدمة؛ غايتنا ترسيخ نهج الحكامة الترابية الرشيدة، والتأسيس لمنظومة تدبير ديمقراطي للشأن المحلي، عمادها تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية مندمجة"².

ب. تطوير الأقاليم الجنوبية: منظور تنموي متكامل

لم تقتصر الجهود الملكية على العمل التعاوني الخارجي فقط، بل شملت أيضاً التنمية الداخلية في الأقاليم الجنوبية. من خلال مشاريع البنية التحتية الكبيرة، مثل ميناء الداخلة الأطلسي، وتطوير البنية التحتية السياحية والفلاحية، بغية تحسين الظروف المعيشية للسكان واندماج الأقاليم الجنوبية في الاقتصاد الوطني.

هذه الجهود التنموية تسهم في خلق واقع اقتصادي واجتماعي مستقر ومزدهر في الأقاليم الجنوبية، مما يعزز من موقف المغرب في الدفاع عن سيادته على هذه المناطق.

ويعتبر مشروع تطوير الأقاليم الجنوبية مبادرة استراتيجية أطلقها جلالة الملك محمد السادس حفظه الله بهدف تحويل الأقاليم الجنوبية للمملكة إلى قاطرة للتنمية الإقليمية من خلال استثمار المؤهلات البحرية وتنفيذ

1- مقتطف من الرسالة الملكية الموجهة إلى المشاركين في المناظرة الوطنية الأولى للجهوية المتقدمة بتاريخ: 20 دجنبر 2019م بأكادير،

2- مقتطف من الرسالة الملكية الموجهة إلى المشاركين في الدورة الواحدة والثلاثين لمجلس وزراء الداخلية العرب بمراكش، 12/03/2014م

مشاريع كبرى لتعزيز البنية التحتية والتنمية الاقتصادية. ودعم القطاعات الحيوية. وبالفعل فتنمية الأقاليم الجنوبية كانت أولوية لدى المؤسسة الملكية، ونذكر هنا خطاب الملك بمناسبة الذكرى الخامسة والأربعين للمسيرة الخضراء، حيث قال: "وتعزيزا لهذا المسار، فإننا حريصون على استكمال بلورة وتفعيل النموذج التنموي الجهوي لأقاليمنا الجنوبية، الذي رفعه إلى نظرنا السامي المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي. إن الأمر لا يتعلق بمجرد اقتراح حلول ترقية لظرفية طارئة، أو مشاريع معزولة لا رابط بينها، وإنما بمنظور تنموي متكامل، يرتكز على تحليل موضوعي لواقع الحال بأقاليمنا الجنوبية، ويهدف للتأسيس لسياسة مندمجة، على المدى البعيد، في مختلف المجالات".¹

ت. ورش سياسة المدن الذكية: التهيئة المجالية والحضرية.

برنامج المدن الذكية ساهم بشكل كبير في خلق فرص تنمية داخل مجموعة كبيرة من المدن، وهذا النهج ما زال قائما ومستمر، بحيث يهدف إلى تحويل المدن المغربية إلى مدن ذكية تعتمد على التهيئة المجالية والحضرية واعتماد التكنولوجيا الحديثة لتحسين الخدمات العامة والرفع من جودة الحياة للمواطنين والمواطنات. يركز البرنامج على مخططات للتنمية داخلة لتحسين الخدمات العامة وتعزيز الاستدامة، ودعم الاقتصاد الرقمي. الأمر كان حاضرا بشكل قوي في تصورات وتوجيهات جلالة الملك، حيث أكد في رسالة ملكية موجهة إلى المشاركين في أشغال المنتدى الوزاري العربي الثاني للإسكان والتنمية الحضرية، قال: "كما ندعوكم إلى التفكير في اعتماد آليات جديدة ومبتكرة، لصياغة منظومة حضرية جديدة، نتوخى تمكين مواطنينا من مقومات العيش الجيد، بما يعنيه من سكن لائق يحفظ الكرامة الإنسانية، وبيئة نظيفة تنسجم وضرورات النمو الاقتصادي، وتخطيط عمراني ذكي يكون الإنسان منطلقه وغايته".²

خاتمة:

إذا كانت وظيفة إمارة المؤمنين في المرجعية الشرعية، هي حراسة الدين وسياسة الدنيا، فإن عنوان هذه الوظيفة في عهد أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، هو «الإصلاحات الاجتماعية والتنمية الكبرى» في مختلف تجلياتها ومجالاتها - والتي استعرضنا بعضها في هذه المقالة على وجه الإيجاز والاختصار - انطلاقا من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، وتأسيس مؤسسة محمد الخامس للتضامن، ثم تأسيس نظام المساعدة الطبية (راميد)، وإقرار المساعدات المباشرة خاصة خلال الفترات الاستثنائية، لا سيما

1- مقتطف من الخطاب الملكي بمناسبة الذكرى الخامسة والأربعين للمسيرة الخضراء، بتاريخ 6 نونبر 2020م.

2- مقتطف من الرسالة الملكية الموجهة إلى المشاركين في أشغال المنتدى الوزاري العربي الثاني للإسكان والتنمية الحضرية، الرباط 2017/12/21م.

خلال جائحة كوفيد - 19 ... ثم الورش الكبير الذي يتمثل في تعميم التغطية الاجتماعية. والذي أعرب جلاله الملك محمد السادس، منذ أول خطاب للعرش، عن عزمه «مواصلة مسيرة التطور والنماء» لفائدة المغاربة كلهم بجميع فئاتهم الاجتماعية، وخاصة الفئات المحرومة التي يستأثر مصيرها باهتمام صاحب الجلالة، والتي يوليها عطفه السامي. وهو التزام ملكي مستمر تحملاً للمسؤولية التي قلده الله تعالى إياها، ووفاء بالالتزام الذي قطعه على نفسه تجاه شعبه بمواصلة مسيرة النماء، وتحقيق التنمية البشرية والعدالة المجالية، تحقيقاً للعيش الكريم لجميع المواطنين، وحمايةً للحقوق والحريات في إطار ما يكفله القانون، وإقامة الأمن، وإشاعة خلق التعاون والتعاقد القائم على وحدة العقيدة، والمصالح العليا المشتركة.

التأصيل الشرعي والتقصيد الحضاري لاحتفال المغاربة بذكرى عيد العرش المجيد

ذ. محمد البخاري

أستاذ بكلية الشريعة، فاس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، واهب النعم وخالق العباد، نحمده تبارك وتعالى ونستعينه فهو الرحيم الودود، ونعوذ بنور وجهه الكريم من فكر محدود، وقلب مسدود، وأشهد أن لا إله إلا الله ذو العرش المجيد، الفعال لما يريد، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ذو الخلق الحميد، والرأي الرشيد، والقول السديد.
أما بعد؛

فقد دأب المغاربة منذ ثلاثينيات القرن الماضي على الاحتفال بعيد العرش المجيد، وستحل هذه الذكرى العظيمة بعد أيام معدودة على الشعب المغربي الذي يتأهب بكل مكوناته للاحتفال بها، حيث سيخلد هذا الوطن المصون خلال سنة 2025م الذكرى السادسة والعشرين لاعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله عرش أسلافه المنعمين بالمملكة المغربية، وهي مناسبة وطنية استثنائية تبرز بين التاريخ والهوية الوطنية، حيث يعد هذا العيد الذي يتكرر الاحتفال به كل سنة في 30 يوليوز رمزاً للوحدة الوطنية والتلاحم بين الشعب والعرش، ويتضمن فعاليات رسمية وشعبية تعكس عمق التراث المغربي وأهمية القيادة الحكيمة لجلالة الملك أيده الله ونصره.

إن المناسبات الوطنية تتيح للشعوب فرصة للتعبير عن وجودها، بإبراز ما لهذه الأمة من خصائص ذاتية تميزها عن غيرها وتبوءها المكانة اللائقة بها ضمن باقي الأمم، فالشعب المغربي من الأمم الضاربة بجذورها في أعماق الحضارة الإنسانية؛ لذا فمن حقه الوجودي والحضاري أن يعبر عن تضامنه فيما بينه وتلاحمه حول عرشه ومملكه، لأن ذلك يذكي بين أفرادها روح التعاون والأخوة، ويحارب أسباب التنافر والفرقة. ولعل هذا

الهدف من بين الأسباب التي أسهمت في ولادة فكرة الاحتفال بعيد العرش المجيد، التي جاءت في سياق الدفاع عن الوحدة الوطنية للمغرب الذي قسمه المستعمر إلى ثلاثة مناطق، والذي كان يعمل جاهدا على بث روح العنصرية والتمييز العرقي بين شعبه ليزداد تشتتا وتقسيمًا، فكان الاحتفال بالعرش والتعلق بالملك الشرعي من أبرز الأسلحة التي استعملها المغاربة للقضاء على فكرة التقسيم، والسعي إلى تحقيق الوحدة الوطنية التي عجز المستعمر حينها عن مواجهتها، ومازال أعداء هذا الوطن يزعمهم هذا الاحتفال الذي يعبر بكل وضوح عن تثبيت المغاربة قولاً وفعلاً بعرشهم وملكهم.

ويأتي هذا المقال، في سياق احتفال المغاربة بعيد العرش المجيد لسنة 2025م ليسهم بدوره في بيان الأصول الشرعية لهذا الاحتفال ومقاصده الحضارية، لذلك عنوانته بـ «التأصيل الشرعي والتقعيد الحضاري لاحتفال المغاربة بذكرى عيد العرش المجيد».

وقد حاولت تناول هذا الموضوع بالتحليل والمناقشة من خلال محورين اثنين:

المحور الأول: دلالة الحقائق اللغوية والشرعية على مشروعية الاحتفال بعيد العرش المجيد

المحور الثاني: المقاصد الشرعية والحضارية للاحتفال بعيد العرش المجيد

المحور الأول: دلالة الحقائق اللغوية والشرعية على مشروعية الاحتفال بعيد العرش المجيد

أولاً: دلالة مصطلح العيد على مشروعية الاحتفال بعيد العرش المجيد

من خلال البحث عن الحقيقة اللغوية لمصطلح العيد في المعاجم اللغوية، وربطها بالاستعمال القرآني والنبوي والعربي لها، نجد أنها تحمل في ثناياها ما يدل على مشروعية الاحتفال بمطلق العيد كيفما كانت أسبابه، ما دام أن هذا الاحتفال لا يعارض مقاصد الشريعة، مما يدل على أن تقعيد الاحتفال بالعيد بما حددته الشريعة من أعياد دينية دون غيرها لا سند له من الناحية اللغوية، لأن لفظ العيد لا يسعف على هذا التقيد؛ بل دلالاته اللغوية تؤيد الإطلاق وتعارض التقيد، فقد استعملت العرب لفظ العيد مفرداً وجمعه أعياد.¹ والياء في لفظ (عيد) منقلبة عن واو، قال الجوهري: «والعيد: واحد الأعياد، وإنما جمع بالياء وأصله الواو للزومها في الواحد، ويقال للفرق بينه وبين أعواد الخشب وقد عيدوا، أي شهدوا العيد»² ولو لم يلزم لقليل وأعواد، كريح

1- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط، 1، 1429 هـ - 2008م، ج2، ص: 1572.

2- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ت: 393هـ)، تح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407 هـ / 1987م، ج2، ص: 515.

وأرواح، لأنه من عادَ يعود.¹ قال ثعلب: وأصل العيد عود فقلبت الواو ياء ليفرقوا بين الاسم الحقيقي وبين المصدر.² وفي مجمل اللغة لابن فارس «والعيد: ما اعتادك من هم أو غيره»³. قال ابن الأعرابي: «سمي العيد عيداً؛ لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد»⁴. قال الليث: «العيد: كل يوم مجمع»⁵. ومن خلال هذه المعاني اللغوية المختصرة فإن مصطلح العيد يدل على ثلاثة معانٍ؛ الزمن الذي يقع فيه العيد، والمكان الذي يقام فيه الاحتفال، والاجتماع الذي يحصل من الناس للتعبير عن شعورهم بمظاهر اجتماعية مختلفة يحكمها العرف والعادة، وبناء على هذه الاستعمالات اللغوية الثلاثة يمكننا الوقوف عند كل معنى على حدة لبيان دلالة اللغوية على مشروعية الاحتفال به في المناسبات الوطنية العظيمة، ومن هذه الاستعمالات:

أ - استيعاب مصطلح العيد لزمن الاحتفال به

استعمل العرب العيد ليدل على الزمان نفسه، قال الأزهري: «والعيد عند العرب الوقت الذي يعود فيه الفرح والحزن»⁶، فقولنا هذا يوم عيد أي وقته وزمانه، فشاع في الألسن هذا يوم الفطر ويوم الأضحي، فعوضت كلمة العيد باليوم، ومن هذا القبيل قولنا هذا يوم الجمعة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)⁷، وفي السنة قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ جَعَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِيدًا لِلْمُسْلِمِينَ»⁸، والمقصود به يوم الجمعة، فأطلق صلى الله عليه وسلم عليه عيداً وعبر عنه بالزمان وهو يوم، ومما يؤيد هذا المعنى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: «مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟» قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ

1- أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (ت: 1205هـ)، تح، مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج8، ص: 438.

2- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ) تهذيب اللغة، تح، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م، ج3، ص: 85.

3- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت: 395هـ)، مجمل اللغة، تح، زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، 1406هـ، 1986م، ص: 639.

4- المصدر نفسه، ج3، ص: 319.

5- الأزهري، تهذيب اللغة، مصدر سابق، ج3، ص: 84.

6- أبو الفضل، جمال الدين بن منظور (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ، ج3، ص: 319.

7- سورة الجمعة، الآية: 9.

8- موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري، باب ما جاء في السواك، رقم: 452. والموطأ رواية محمد بن الحسن، باب الاغتسال يوم الجمعة، رقم: 59.

أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يوم الأضْحى، ويوم الفطر»¹، فاستعمل بدل مصطلح العيد كلمة اليوم، وهو بعد زماني وظفه القرآن الكريم أيضا في قوله تعالى: (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضُحًى)²، قال الرازي: «ذكر المفسرون في يوم الزينة وجوها. أحدها: أنه يوم عيد لهم يتزينون فيه»³، فأطلق القرآن عليه لفظ اليوم. وفي هذا السياق أيضا قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾⁴، قال ابن عاشور: «أيام ظهور بطشه وغلبه من عصوا أمره، وتأييده المؤمنين على عدوهم، فإن ذلك كله مظهر من مظاهر عزة الله تعالى. وشاع إطلاق اسم اليوم مضافا إلى اسم شخص أو قبيلة على يوم انتصر فيه مسمى المضاف إليه على عدوه»⁵.

ولا شك أن تمسك المغاربة بالاحتفال بعيد العرش يدل على الأمرين معا:

الأمر الأول: أنه يدل على نصر الله وتأييده للشعب المغربي وعلى رأسهم ملكهم الذي قاد معركة التحرير ضد المستعمر، فأيدهم الله بنصره على عدوهم.

الأمر الثاني: أنه يدل على تذكير المغاربة بهذه النعمة التي أفاضها الله عليهم بهلاك عدوهم وباستمرار قيادة العرش العلوي الشريف لبلدهم، فالنعمة قائمة والاحتفال واجب من باب شكر المنعم على نعمه.

وعليه فالدلالة اللغوية لمصطلح العيد على الزمان كما ثبت في القرآن والسنة، يستفاد منها أن العيد له ارتباط بالأحداث العظيمة التي تقع للأمة في أي زمان كان، وأن المحدد الزمني من حيث التعلق به - أي بعيد العرش - والارتباط بدلالته الرمزية، يستوجب تخليده بالابتهاج والفرح من خلال تجديد الشكر لله تعالى على نعمة الاستقرار والأمن، الذي ينعم بهما المغرب بسبب تلاحم المغاربة واجتماعهم قاطبة حول العرش الملوي السامي الذي يوحد كلمتهم، ويزيل كل بذور الفرقة بينهم، كما يستوجب تخليده أيضا بالتعبير عن تجديد الولاء والطاعة للملك البلاد نصره الله، ليدوم ويخلد شعور المحبة والمودة والوفاء والإخلاص بين الشعب ومملكته،

1- سنن أبي داود، باب صلاة العيدين، رقم: 1134.

2- سورة طه، الآية: 59.

3- أبو عبد الله الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط 3، 1420هـ، ج 22، ص: 64.

4- سورة إبراهيم، الآية: 5.

5 محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف، الدار التونسية للنشر - تونس 1984هـ، ج 13 ص: 189.

وفي ذلك تشبث بحبل الله المتين، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾¹، وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي الْأَنْصَارِ تُغْنِيَانِ بَمَا تَقَاوَلَتِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بَعَاثَ، قَالَتْ: وَلَيْسَتَا بِمُغْنِيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمْرَ امِيرِ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَلِكَ فِي يَوْمٍ عِيدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَهَذَا عِيدُنَا»².

ب - تضمن مصطلح العيد لمعنى الاجتماع

تحيل كلمة الاجتماع على ضرورة الوحدة قال ابن فارس: «العيد كل يوم تجمع»³، وأكد هذا المعنى ابن تيمية بقوله: «العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد»⁴، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضَحًى﴾⁵، قال الرازي: «وإنما قال يحشر فإنهم يجتمعون ذلك اليوم بأنفسهم من غير حاشر لهم... في الجمع العام ليكثر المحدث بذلك الأمر العجيب في كل بدو وحضر ويشيع في جميع أهل الوبر والمدن»⁶، ومنه قول ابن عباس رضي الله عنه: «شَهِدْتُ الْعِيدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَكُلُّهُمْ كَانُوا يَصْلُونَ قَبْلَ الْخُطْبَةِ»⁷، فقله شهدت أي حضرت العيد الذي يجتمع فيه الناس لأداء الصلاة. والناظر في هذا المعنى يدرك ما في عيد العرش من اجتماع للناس على المحبة والأخوة ووحدة الصف التي تعد من المقاصد الربانية والكونية، حيث يستحضر المواطن المغربي شمول رحمة الله لهذا البلد الذي أريد به شر فنجاه الله من المكائد والتشتت، ويستحضر أيضا أن هذه الرحمة ما زالت قائمة ومستمرة بما يحققه هذا البلد من تقدم حضاري بحكمة قيادة الجالس على عرشه جلالة الملك محمد السادس أدام الله عزه وبقائه، وفي ذلك الاحتفال بعيد العرش يتحقق مقصد كوني باجتماع المغاربة على كلمة رجل واحد، فيتحد كفاحهم وتوحد أهدافهم، وهذا من السنن الكونية الضامنة للتقدم والريادة، فعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه»⁸.

1- آل عمران، الآية: 103.

2- صحيح البخاري، أبواب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام، رقم: 952.

3- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ات: 395هـ)، مقاييس اللغة، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج4، ص: 183.

4- ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، تح، ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب بيروت لبنان، ط7، 1419هـ، ج1- ص: 496.

5- سورة طه، الآية: 59.

6- مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج22، ص: 64.

7- صحيح البخاري، أبواب العيدين، باب الخطبة بعد العيد، رقم: 962.

8- صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، رقم الحديث: 2446.

ج - شمول مصطلح العيد لمكان الاحتفال

أما البعد المكاني لكلمة العيد فقد ورد في السنة النبوية، قال صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً؛ وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»¹، فكلمة القبر تدل على مكان الاجتماع للاحتفال وقد نهي عن ذلك، وفي هذا المنحى أيضاً ورد في حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، قال: «نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوانة، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال رسول الله ﷺ: «هل كان فيها من أوثان الجاهلية يُعبد؟» قالوا: لا. قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا، قال رسول الله ﷺ: «أوف بنذرِكَ، فإنه لا وفاء بالنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»².

فالحديث دال على الوفاء بالنذر في المكان المحدد له، بعد ما تبين للرسول صلى الله عليه وسلم أنه ليس فيه ما يدل على الشرك، والشاهد في الحديث أنه تساءل عن وجود مكان للعيد فيما عينه الناذر فقال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟» فدل ذلك على أن الأصل في المنع ما كان دالاً على الشرك، فإذا خلا من ذلك كان الاحتفال جائزاً. وفي قوله تعالى: (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى)³، قال ابن عاشور: «فقوله يوم الزينة تعيين للوقت، وقوله وأن يحشر الناس تعيين للمكان، وقوله ضحى تقييد لمطلق الوقت»⁴.

ومما سبق يظهر أن هذه الأبعاد الثلاثة حاضرة في الاحتفال بعيد العرش المجيد، والأصل فيه الجواز إن لم يرق إلى مرتبة الوجوب حسب الأهداف المقصودة من وراء هذا الاحتفال تبعاً لمصلحة البلاد، فهو قائدها والعالم بأحوالها في السياق الدولي، فاجتماع المغاربة في مكان معين وفي زمان محدد لإظهار ولائهم وطاقاتهم للملكهم فيه تأكيد لوحدة الصف، وتجديد للعزم على مواصلة البناء الحضاري، وتخليد للنعم التي أسبغها الله عليهم بالتححرر من الاستعمار والبقاء على دين الإسلام، وفي كل ذلك خدمة للشريعة الإسلامية التي تحت المسلمين على الوحدة وإظهار القوة والتحدث بنعم الله، وهذه المعاني فيها تعبد حقيقي يتجلى في شكر المنعم على نعمه التي أفاضها على الأمة المغربية ملكاً وشعباً.

1- سنن أبي داود، حديث صحيح، باب في الصلاة على النبي ﷺ وزيارة قبره، رقم: 2042.

2- سنن أبي داود، باب ما يؤمر بوقائه من النذر، رقم: 3313.

3- سورة طه، الآية: 59.

4- ابن عاشور مصدر سابق، ج 16 ص: 246.

ثانيا: دلالة مفهوم العيد على مشروعية الاحتفال بعيد العرش المجيد

إن الباحث عن الحقيقة الشرعية لمصطلح العيد يجدها في الكتب التي اهتمت بتعريفه اصطلاحا لا تبتعد كثيرا عن المعنى اللغوي له، بيد أن المعرفين للعيد انقسموا إلى طائفتين:

الطائفة الأول: ركزت في تعريف العيد على المعنى العام له باعتباره سببا لاجتماع الناس، وإظهار ما يدل على فرحهم وسرورهم دون الالتفات إلى المعاني الدينية لهذا الاحتفال، ومن التعريفات التي جاءت في هذا السياق:

تعريف معجم لغة الفقهاء حيث قال: «وم الاحتفال بمناسبة ذكرى حدث هام»¹ وجاء في معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية أن العيد هو: «اسم للوسم المعهود يحتفل به الناس سنويا فيتراورون ويتهادون ويتذكرون فيه حادثا سعيداً»²، وعرفه القاموس الفقهي أيضا: «كل يوم يحتفل فيه بذكرى، كريمة، أو حبيبة»³، ولا شك أن هذه التعريفات أطلقت معنى العيد ولم تقيده بأي معنى ديني أو غيره، وهو ما يؤكد القول بأن الاحتفال بعيد العرش المجيد يدخل ضمن الدلالة الاصطلاحية لمفهوم العيد، وقد حاول البعض أن يجعل مدلولها قاصرا على المعنى الديني دون الدنيوي، وفي ذلك تقييد دون دليل وتضييق لواسع.

الطائفة الثانية: ركزت على الجانب الوصفي للعيد فقيدته بالمعنى الديني، ومن ذلك ما جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية؛ بأن العيد: «يوم الفطر من رمضان، وهو أول يوم من شوال، ويوم الأضحي وهو اليوم العاشر من ذي الحجة، ليس للمسلمين عيد غيرهما»⁴، ولعل هذا التعريف راعى جانب الاختصاص الموضوعي؛ لأنه يتحدث عن العيد من خلال التشريع النبوي، حيث يفهم منه أنه لا يمكن إضافة عيد آخر يضاهي عيد الفطر والأضحي من الناحية الشرعية، وهذا محل اتفاق بين المسلمين إذا كان هذا هو المقصود، لكن هذا لا ينافي أن يكون للمسلمين أعياد تخدم مصالحهم الدنيوية، ويسمح بهذا المعنى التعريفات السابقة لمصطلح العيد، وهذا ما يفهم من نصوص الوحي أيضا فقد ورد في القرآن الكريم أن بني إسرائيل كانوا يحتفلون بنزول المائدة عليهم حيث قالوا: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنْكَ﴾⁵، قال ابن عاشور: «ومعنى تكون لنا عيدا أي يكون

1- محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408 هـ - 1988 م، ص: 325.

2- محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، ج2، ص: 559.

3- سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي، دار الفكر دمشق - سورية، ط2، 1408 هـ - 1988 م، ص: 266.

4- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، ط1- مطابع دار الصفاة، ج31، ص: 114.

5- سورة المائدة، الآية: 114.

تذكر نزولها بأن يجعلوا اليوم الموافق يوم نزولها من كل سنة عيداً...والعيد اسم ليوم يعود كل سنة، ذكرى لنعمة أو حادثة وقعت فيه للشكر أو للاعتبار»¹، ومن ذلك ما جاء في قصة موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضَحِيًّا﴾²، قال ابن عاشور: «ويوم الزينة كان يوم عيد عظيم عند القبط، وهو يوم كسر الخليج أو الخلجان، وهي المنافذ والترع المجهزة على النيل لإرسال الزائد من مياهه إلى الأرضين البعيدة عن مجراه للسقي، فتنتطق المياه في جميع النواحي التي يمكن وصولها إليها ويزرعون عليها»³، فلاستعمال القرآني يؤيد المعنى الاصطلاحي للعيد الذي يدل على مشروعية الاحتفال بالعيد الوطني للأمة ومن ذلك عيد العرش.

ثم إن الحقيقة الشرعية للعيد تدل على الإطلاق لا التقييد، ومن قيد فقد أول، ومن أول دون دليل واضح فقد خالف الأصل، فكأن الشرع جعل عيد الفطر والأضحى من بين أسباب الفرح والسرور، وليس في ذلك ما يدل على حصر الاحتفال فيهما قطعاً، ولا يوجد مخصص لذلك، ومن هذا القبيل أيضاً نجد السنة اعتبرت أن يوم الجمعة عيد، ورتبت على ذلك أحكاماً فقهية منها؛ عدم جواز إفراجه بالصوم لما في ذلك من تعارض مع معنى العيد، وحثت على الاغتسال والتطيب، وإفراجه بلباس خاص يتميز به المسلم فيه عن سائر الأيام، واختصت الأمة الإسلامية بيوم الجمعة تمييزاً لها عن اليهود والنصارى الذين اتخذوا يومي السبت والأحد خاصاً بهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيَّدَ عَنْهُمْ أَوْتُوا الْكُتُبَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعُ الْيَهُودِ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»⁴، ومما يدل على إطلاق العيد وعدم تخصيصه بعيد الفطر والأضحى أن السنة جعلت يوم عرفة وأيام التشريق أيام عيد للأمة الإسلامية، فقد جاء في الحديث: «يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ هُنَّ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، هُنَّ أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشُرْبٍ»⁵، قال ابن حجر: «واستنبط من تسمية أيام منى بأنها أيام عيد مشروعية قضاء صلاة العيد فيها لمن فاته»⁶، ومما يرد القول بالتقييد أيضاً ما ذهب إليه السنة من إطلاق العيد على الشهر برمته فلم تخصص فيه أياماً بعينها، فعن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن أبيه رضي الله عنه،

1- ابن عاشور، مصدر سابق، ج 7 ص: 108.

2- سورة طه، الآية: 59.

3- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، مصدر سابق، ج 16، ص: 246.

4- صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، رقم: 876.

5- صحيح ابن حبان، فصل في صوم أيام التشريق، باب ذكر العلة التي من أجلها نهى عن صيام هذه الأيام، رقم: 3603.

6- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت 1379 هـ، ج 2، 442.

عن النبي ﷺ قال: «شَهْرَانِ لَا يَنْقُصَانِ شَهْرًا عِيدٌ: رَمَضَانُ، وَذُو الْحِجَّةِ»¹، فهذا الإطلاق الواسع للعيد يدل بما لا مجال فيه للشك على أن الأمة الإسلامية يمكنها أن تتخذ لنفسها أعيادا تحتفل بها لموجبات دنيوية حباها الله بها في أيام معينة، كما هو حال المغاربة في الاحتفال بعيد العرش المجيد، ويؤيد هذا المعنى أن الأعياد الدينية شرعت لغايات معقولة، ومصالح مقصودة، فكلمها وجد مثل هذه المعاني المعقولة وتحقق مثل تلك المصالح المنشودة يكون الاحتفال مشروعاً بدعوة من الوحي نفسه.

وفي هذا السياق نجد موسى عليه السلام أمر بأن يذكر بني إسرائيل بأيام الله تعالى لما في ذلك من غايات دينية وأهداف دنيوية، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾²، قال القرطبي: «الأيام بمعنى الوقائع، يقال: فلان عالم بأيام العرب أي بوقائعهم»³، والإشارة هنا واضحة في كون التذكير متعلق باستحضار نعم الله تعالى، فيكون الموجب حلول نعمة الله على عباده، ففتى حلت وجب الاحتفال من باب شكر الخالق قال الرازي: «والتذكير بأيام الله لا يحصل إلا بتعديد نعم الله تعالى»⁴. وفي احتفال المغاربة بعيد العرش المجيد تعداد لكثير من النعم التي منحهم الله إياها، لهذا قال الطبري: «وعظهم بما سلف من نعمي عليهم في الأيام التي خلت، فاجتزئ بذكر «الأيام» من ذكر النعم التي عناها، لأنها أيام كانت معلومة عندهم، أنعم الله عليهم فيها نعماً جليلاً، أنقذهم فيها من آل فرعون بعد ما كانوا فيما كانوا فيه من العذاب المهيّن، وغرق عدوهم فرعون وقومه، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم»⁵. والمغاربة أنقذهم الله بالتحامهم حول العرش الملوي السامي من بطش الاستعمار الذي عاث فساداً في أرضهم، وحاول تشتيت شملهم لولا عناية الله بهم وتخطيط جلالة الملك بقيادته السامية، ولهذا ختمت الآية بقوله تعالى: (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)، جاء في التفسير الوسيط: «أي إن في المذكور من أيام الله لدلائل على وحدانية الله وقدرته وفضله ورحمته، لكل صبار في المحنة والبلية شكور في المنحة والعطية، قال قتاده: نعم العيد، إذا ابتلى صبر وإذا أعطى شكر»⁶.

1- صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب: شهرا عيد لا ينقصان، رقم: 1912.

2- سورة إبراهيم، الآية: 5.

3- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ، ج8، ص: 386.

4- مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج3، ص: 506.

5- أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000م، ج16، 519.

6- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة للشئون المطابع الأميرية، ط1، (1393هـ - 1973م) ج5، ص: 464.

ونعم العيد إذا كان فيه ما يذكر بالحنّة المدفوعة والمنحة الباقية، فله الحمد والمنة أن عيد العرش المجيد يذكرنا بمنحة الاستعمار المدفوعة، ومن وسائل دفعها إقرار جلالة الملك والشعب المغربي الاحتفال بعيد العرش منذ وجود المستعمر في البلاد، وقد شكل ذلك بداية نهاية المستعمر، فقد فهم من خلال احتفال المغاربة بمناسبة اعتلاء ملكهم لعرشه أن أيام المستعمر باتت معدودة، وأن النصر آت لا محالة، فأرغمت سلطة المستعمر الغاصب على الاعتراف رسمياً بمبادرة الشعب المغربي وملكه بتاريخ 31 أكتوبر 1934م، فعمل المستعمر على إصدار قرار للصدر الأعظم المغربي محمد المقري أشّر عليه المقيم العام «هنري بونصو» يعلن فيه يوم 18 نونبر من كل سنة عيداً وطنياً للمغاربة، ويعتبر ذلك الإعلان بمثابة الاعتراف بنهاية المستعمر الغاشم، فالتحم المغاربة حول ملكهم وعرشهم، ليعبروا للمستعمر أنهم لن يتخلوا عنهما مهما حاول المستعمر بكل أساليبه المكشوفة التفريق بينهم؛ لأن المعركة يقودها ملكهم وهم جنود من ورائه إلى أن حقق الله النصر.

فالاحتفال بعيد العرش المجيد هو احتفال ببداية النصر العظيم للمغاربة، وهو احتفال بمنحة الله لهم حيث هيا لهم ملوكاً قادة محنكين، يضمنون استقرارهم ووحدتهم، ويسهرون على نهضتهم وصناعة حضارتهم بيد مغربية خالصة، وبحلة مغربية متميزة، وبإبداع ملكي عظيم يتفرد المغاربة به عن غيرهم، فمن باب شكر الله على هاتين النعمتين العظيمتين وغيرهما كثير، يجب علينا من الناحية الشرعية إظهار ما يدل على شكر المنعم بإحياء عيد العرش المجيد بالاحتفال والفرح والسرور والتعبد لله، والتوجه إليه بالدعاء فرادى وجماعات ليديم علينا نعمة الوحدة والاستقرار، تحت قيادة جلالة الملك محمد السادس نصره الله، ومن موجب هذا الاحتفال تجديد تقديم الولاء والطاعة لجلالة الملك، والدعاء له بالنصر والتمكين، والصبر والتسديد، فهذا واجب شرعي، فقد أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالتزام الجماعة وطاعة أولي الأمر، كما أمرنا بالدعاء لمن صنع لنا معروفاً، وأكبر معروف وأفضل إكرام هو ما يقدمه جلالة الملك للشعب المغربي من خدمات جليلة عظيمة جبا في شعبه ووطنه دون كلل أو ملل، وهذا كله يدفعنا إلى الاحتفال بعيد العرش واعتباره تاجاً فوق رؤوسنا، وبالسهر على تحقيق مصالحنا، فهذا أقل ما يمكننا القيام به تجاه ما يبذله من جهد، وما يتجشمه من عناء في سبيل تحقيق الأمن والاستقرار والرفه للشعب المغربي قاطبة، فأسال الله أن يديم على ملكنا المفدى موفور الصحة وتمام العافية.

المحور الثاني: المقاصد الشرعية والحضارية للاحتفال بعيد العرش المجيد

أولاً: المقاصد الشرعية للاحتفال بعيد العرش المجيد

أ - شكر الله تعالى: فشكر الله من أفضل العبادات التي يتقرب بها المسلم إلى خالقه وقد حثنا الشرع على أدائها فقال تعالى: ﴿بَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾¹، وقال تعالى: ﴿إِعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾²، عن معاذ بن جبل: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ بيده وقال: «يا معاذ والله إني لأحبك» فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»³، وفي جمع الجوامع: «وشكر المنعم واجب بالشرع»⁴، فالشكر عند حدوث نعمته، عبادة أمرنا بها كما أمرنا بالصلاة والصيام وغيرهما من العبادات. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم كيف تؤدي عبادة الشكر، بفعله فقال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»⁵، وعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «... ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»⁶ ولا خلاف بين العقلاء في كون الاحتفال بعيد العرش من أهم مظاهر التحدث بنعم الله على الشعب المغربي الذي نصره الله على أعدائه بتحريره من الاستعمار الذي تسلط على خيراته ظلماً وعدواناً، وهذا النوع من الاحتفال بالنصر والتمكين سنة الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرنا المؤرخ الكبير ابن جرير الطبري (ت 310هـ/922م) - في تاريخه - أن رسول الله ﷺ بعث «عند الفتح عبد الله بن رواحة (ت 8هـ/630م) بشيراً إلى أهل العالية (ضواحي المدينة الجنوبية) بما فتح الله على رسوله ﷺ وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة (ت 8هـ/630م) إلى أهل السافلة (ضواحي المدينة الشمالية)⁷. وقد احتفل أهل المدينة بهذا النصر العظيم بما فتح الله عليهم ويسر لهم من التمكين، وهو احتفال رسمي كما يظهر من الرواية التاريخية حيث شارك فيه وجهائهم وعامتهم.

1- البقرة، الآية: 152.

2- سبأ، الآية: 13.

3- سنن أبي داود، باب في الاستغفار، رقم الحديث: 1522.

4- حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت: 1250هـ)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، د. ط. د. ت. ج 1 ص: 85 و 87.

5- سنن أبي داود، باب ما يقول الرجل إذا طعم، رقم الحديث: 3850.

6- سنن أبي داود، باب عطية من سأل بالله عز وجل، رقم الحديث: 1672.

7- أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، دار التراث - بيروت، ط 2، 1387هـ، ج 2، ص: 458.

وتناول المقرئ (ت 845هـ/1441م) بإسهاب ذلك الاحتفال في كتابه 'إمتاع الأسماع' تحت عنوان خاص سماه «بشرى أهل المدينة بنصر رسول الله» فتحدث عن الفرح والسرور والابتهاج الذي عاشه أهل المدينة، حيث يقول: «قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة من الأثيل (قرية الحسينية 130 كم غرب المدينة) إلى المدينة، فجاء.. شدَّ الضحى (قبيل الزوال) فنادى عبد الله: يا معشر الأنصار، أبشروا بسلامة رسول الله وقتل المشركين وأسره! ثم اتبع دور الأنصار فبشروهم، وقدم زيد بن حارثة على ناقة رسول الله ﷺ «القُصواء» يبشر أهل المدينة؛ فلم يصدق المنافقون ذلك وشنعوا»¹ وما احتفال المسلمين بهذا النصر والفتح المبين إلا مظهر من مظاهر شكر الله على نعمه، والمغاربة قد فتح الله عليهم بإجلاء المستعمر واستمرار ملك بلادهم على عرشه يقدم لأمته التوجيه والنصح والإرشاد بقيادته الحكيمة، وهذا مما يستوجب الشكر عند مناسبة عيد العرش.

ب - تقديم الولاء: يحيل مفهوم البيعة على معنى العهد والعقد والالتزام الشرعي الذي ينشأ بين ولي أمر المسلمين والذين بايعوه على الطاعة والاستجابة له في كل وقت وحين؛ فهي ميثاق ديني يستمد شرعيته من الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: «﴿لَا الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يَكْفُلُ الْوَفَاَ﴾»² وبناء على هذا الميثاق تصبح السلطة لولي أمر المسلمين شرعية دينية. وقد أخرج أصحاب السنن وغيرهم عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: «وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا يا رسول الله، كأنها موعظة مودع، فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»³، وقال صلى الله عليه وسلم: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»⁴.

وقد أجمعت الأمة على وجوب تنصيب إمام للناس يقول ابن خلدون: «إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته، بادروا

1- تقي الدين المقرئ (المتوفى: 845هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح، محمد عبد الحميد النيسي، دار الكتب العلمية - بيروت ط 1، 1420 هـ - 1999 م، ج 1، ص: 117.

2- الفتح، الآية: 10.

3- أخرجه الإمام أبو داود رقم: 4607. والترمذي رقم: 2676 وغيرهما.

4- صحيح مسلم كتاب الإمارة رقم الحديث: 58.

إلى بيعة أبي بكر، وتسليم النظر إليه في أمورهم، وهكذا في كل عصر من بعد ذلك»¹، وقال الإمام ابن حزم: «اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة»².

وبناء على ما سبق من نصوص وغيرها كثير، يتأكد أن الاحتفال بعيد العرش مناسبة لتحقيق هذا البعد الديني المتمثل في تجديد البيعة لأمر المؤمنين، وبذلك تتجدد أيضا الصلة الروحية والشرعية بين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وبين أفراد شعبه، فتزداد المحبة وتقوى أواصر الطاعة ليتحقق الخضوع التعبدي الناشئ عن معنى عقدي، إذ الطاعة لأمر المؤمنين ليست تعبيراً باللفظ فقط بل هي عقيدة تملأ على المغربي فكره ووجدانه، ولا غرابة أننا نجد مبحث الإمامة العظمى من مباحث علم العقيدة، ومعنى ذلك أن البيعة ارتباط عقدي بين الملك وشعبه يحصل به التقرب إلى الله تعالى، ومن خلال هذا الارتباط يتحقق التكليف العملي الذي يتجسد في العمل بمقتضيات عقد البيعة من الانقياد والطاعة والقيام بما يجب على كل فرد تجاه ملكه ووطنه، فهذه الأبعاد العقدية الدينية للاحتفال بعيد العرش المجيد من مميزات المملكة المغربية حفظها الله من كل مكروه.

ثانيا: المقاصد الحضارية للاحتفال بعيد العرش المجيد

أ- التخطيط الاستراتيجي لاختيارات الدولة السياسية: دأب جلالة الملك حفظه الله ونصره عند الاحتفال بعيد العرش المجيد أن يوجه خطاباً للشعب المغربي، وهو خطاب قائد حكيم يتسم بالتوجيه السديد لسياسة بلده، حيث يذكر فيه جلالة الملك الشعب المغربي بما أنجزه وحققه من جهة، ويرسم أهم أهداف سياسته في الأمور الاستراتيجية لتوجيه مؤسسات الدولة من جهة ثانية، وكمثال على ما قلناه جاء في خطابه السامي بتاريخ 29 يوليوز 2024م قوله: «وخلال هذه السنوات، حققنا، والحمد لله، العديد من المكاسب والمنجزات، في مجال الإصلاحات السياسية والمؤسسية، وترسيخ الهوية المغربية. كما أطلقنا الكثير من المشاريع الاقتصادية والتنموية، والبرامج الاجتماعية، لتحقيق التماسك الاجتماعي، وتمكين المواطنين من الولوج للخدمات الأساسية.» وهذا تذكير من جلالاته للشعب المغربي بما تم تحقيقه على مستويات متعددة، وبذلك يتخذ جلالة الملك مناسبة الاحتفال بعيد العرش ليكشف للمغاربة عن ثمرات جهده وكفاحه لتحقيق التمكين الحضاري للمغرب، وهذا

1- ابن خلدون، عبد الرحمن (732-808هـ): المقدمة، حققه عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب دمشق الطبعة الأولى 2004م، ص: 131.

2- ابن حزم. الفصل في الملل والنحل، مكتبة الخانجي - القاهرة، ج4، ص: 472.

يدل على أن جلالته يتعامل مع شعبه بكل وضوح وثقة، فتقديم الخطاب لشعبه يلخص فيه الإنجازات الكبرى يدل بوضوح على أن المؤسسة الملكية تسعى جاهدة لتكون قدوة لباقي المؤسسات الدستورية داخل الدولة، وهذا ما أكدته نصرته الله في أول خطاب له يوم 30 يوليوز 1999م، حين قال: «فيما يتعلق بالمؤسسات الدستورية سينحصر همنا في تقديم التوجيهات والنصائح الثمينة، ولعب دور الحكم، الذي هو فوق كل انتماء»، لجلالته يضع المبادئ الكبرى للمؤسسات الدستورية ويتخذ مناسبة عيد العرش للتذكير بها والحث على الوفاء بها.

كما أنه نصرته الله لا يكتفي بالكشف عن المنجزات بل يتخذ الاحتفال بعيد العرش مناسبة لتحديد أولويات وطنه، ويرسم لذلك خطة استراتيجية واضحة المعالم، ليوجه من خلالها كل مؤسسات الدولة وكل أفراد الشعب للعمل عليها والاجتهاد في تحقيقها، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في خطابه السامي بتاريخ 29 يوليوز 2024م حين قال: «ونظرا لتزايد الاحتياجات والإكراهات، نلج على ضرورة التحيين المستمر لآليات السياسة الوطنية للماء، وتحديد هدف استراتيجي، في كل الظروف والأحوال، وهو: ضمان الماء الشروب لجميع المواطنين، وتوفير 80 في المائة على الأقل، من احتياجات السقي، على مستوى التراب الوطني، «فالحاجة إلى الماء جعلت جلالة الملك يخصص معظم خطابه لتوجيه كل الشعب المغربي للحفاظ على الماء كل من زاويته وحسب قدرته، وهو هدف كبير يحقق للمغاربة الأمن المائي، وفي نفس الخطاب يوجه جلاله عنايته السامية لمشروع آخر لا يقل أهمية عن الماء ليكون مخططا مغربيا استراتيجيا يجب القيام به حيث قال: «ويبقى التحدي الأكبر، هو إنجاز المحطات المبرمجة، ومشاريع الطاقات المتجددة المرتبطة بها، في الآجال المحددة، دون أي تأخير». وإذا كان الاحتفال بعيد العرش يحقق هذا البعد السياسي الداخلي فإن جلالته نصرته الله يتخذ هذه المناسبة فرصة مهمة للإعلان عن تصوره تجاه القضايا الدولية التي تهم العرب أو الأفارقة أو المسلمين أو الجميع حسب سياق الأحداث الدولية، ومن ذلك أيضا على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في خطابه السامي بتاريخ 29 يوليوز 2024م، حيث قال: «إن الاهتمام بالأوضاع الداخلية لبلادنا، لا ينسينا المأساة التي يعيشها الشعب الفلسطيني الشقيق. وبصفتنا رئيس لجنة القدس، عملنا على فتح طريق غير مسبوق، لإيصال المساعدات الغذائية والطبية الاستعجالية، لإخواننا في غزة. وبنفس روح الالتزام والمسؤولية، نواصل دعم المبادرات البناءة، التي تهدف لإيجاد حلول عملية، لتحقيق وقف ملهوس ودائم لإطلاق النار، ومعالجة الوضع الإنساني». فهذه النماذج وغيرها كثير من الخطاب الملكي السامي تظهر ما أشرنا إليه من مقاصد حضارية تتحقق بمناسبة الاحتفال بعيد المجيد، مما يجعلنا نؤكد مرة أخرى على أن الاحتفال بعيد العرش في المغرب يخدم أهدافا وغايات كبرى تجمع بين ما هو ديني وما هو مدني.

ب - حفظ الأمن وتحقيق الاستقرار: إن الاحتفال بعيد العرش المجيد يعزز الشعور لدى أفراد الشعب المغربي بالأمن والاستقرار الناتجين عن استقرار الحكم، وهو من أهداف ومقاصد الاحتفال بعيد العرش منذ

أن كان فكرة إلى أن أصبح واقعا مخلدا، فالشعب المغربي يتابع احتفالات بلده بهذه المناسبة العظيمة ويتلقى اطمئنانا روحيا وماديا من ملكه الذي يستثمر خطبة عيد العرش ليشارك المواطنين مشاكلهم، ويعبر عن احتياجاتهم وعن شعور جلالة الملك بمطالبهم، فيشعرون بالأمن والسكينة؛ نظرا لثقة الشعب المطلقة بملكه؛ إذ لا يأمن المواطن المغربي إلا في ظل نظام حكم مستقر، وهذا ما تحقق مع إمارة المؤمنين واختياراتها الفقهية والعقدية والسلوكية، إذ وجود الاضطراب والفتن يرعب الناس وينشر الخوف بينهم فتتعدم البيئة الآمنة؛ لذلك كان أمير المؤمنين حريصا في احتفالاته بعيد العرش أن يبرز مكانة الثوابت الدينية للمغاربة من خلال المراسم الرسمية التي يقوم بها جلالتة وعلى رأسها مراسم البيعة التي تحيي نفوس المغاربة بحبهم لإمارة المؤمنين.

ومن أجل استمرار هذا الأمن والاستقرار فقد تبنى الشعب المغربي المذهب المالكي مرجعا فقهيا له لتفادي التنازع والتشتت والاختلاف، وهذا ما أكدّه في خطابه السامي الذي ألقاه بتاريخ يوم 10 ربيع الأول 1425هـ، الموافق لـ 30 أبريل 2004م بالدار البيضاء، أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية، حيث قال نصره الله: «وإذا كان من طبيعة تدبير الشؤون الدنيوية العامة الاختلاف، الذي يعد من مظاهر الديمقراطية، والتعددية في الآراء لتحقيق الصالح العام، فإن الشأن الديني، على خلاف ذلك، يستوجب التثبت بالمرجعية التاريخية الواحدة للمذهب المالكي السني، الذي أجمعت عليه الأمة، والذي نحن مؤمنون على صيانتة، معتبرين التزامنا دينيا بوحدته المذهبية، كالتزامنا دستوريا بالوحدة الترابية الوطنية للأمة، حريصين على الاجتهاد الصائب، لمواكبة مستجدات العصر». ومن موجبات العمل بمذهب المالكية الالتزام بموقفهم الشرعي من إمارة المؤمنين حيث أفتوا بتحريم الخروج عن الإمام¹ مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾² وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يَفْرِقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»³.

بالإضافة إلى ما سبق فإن الاحتفال بعيد العرش المجيد مناسبة وطنية لتذكير المغاربة بأهمهم الفكري، الذي هو عبارة عن سلامة فكر الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمر الديني والسياسية والاجتماعية؛ مما يؤدي إلى حفظ النظام العام، وتحقيق الأمن والطمأنينة والاستقرار وغيرها من مقومات

1- القرافي، الذخيرة، تح، محمد ججي، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط 1، 1994م، ج 13، ص: 234.

2- النساء، الآية: 59.

3- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، رقم الحديث: 1852.

الأمن المجتمعي.¹ وقد خصص جلالة الملك نصره الله خطابه السامي بمناسبة الاحتفال بعيد العرش المجيد بتاريخ 30 يوليوز 2003م ليؤكد للمغاربة أن المغرب ينعم باستقرار فكري منذ قرون عديدة، حيث قال نصره الله : «فمنذ أربعة عشر قرنا، ارتضى المغاربة الإسلام ديناً لهم، لقيامه على الوسطية والتسامح، وتكريم الإنسان والتعايش مع الغير ونبد العدوان والتطرف والزعامة باسم الدين. وفي ضوء هذه التعاليم السمحة شيد أسلافنا حضارة إسلامية ودولة مغربية مستقلة عن الخلافة المشرقية متميزة بالعمل في ظل وحدة إمارة المؤمنين، وبالسماحة الدينية وبوحدة المذهب المالكي» فالأمن الفكري يعد من أهم ركائز البناء المعنوي الصحيح للإنسان؛ إذ سلامة الفكر من الانحراف وسيره في ركاب الوسطية والاعتدال أساس تحقق الأمن بكل صورته، ولاشك أن العقيدة الاشعرية وطريقة الجنيّد من أهم الركائز المحققة للأمن الفكري للشعب المغربي. ومن أجل سد الباب أمام أي محاولة لتهديد أمن المغاربة روحياً ومادياً فقد استثمر جلالة الملك إيداه الله ونصره، مناسبة الاحتفال بعيد العرش ليؤكد على أنه الوحيد الذي يمثل المرجعية الدينية للمغاربة باعتباره أميراً للمؤمنين، حيث نص في خطابه السامي بتاريخ 30 يوليوز 2003م على أنه «وباعتبار أمير المؤمنين مرجعية دينية وحيدة للأمة المغربية، فلا مجال لوجود أحزاب أو جماعات، تحتكر لنفسها التحدث باسم الإسلام أو الوصاية عليه فالوظائف الدينية هي من اختصاص الإمامة العظمى المنوطة بنا، بمساعدة مجلس أعلى ومجالس إقليمية للعلماء نحن مقبلون على تأهيلها وتجديدها وتنشيط أساليب عملها»، وبذلك يكون جلالة الملك قد وضع حداً لكل التأويلات المغرضة باسم الدين لزعزعة استقرار البلاد والنيل من أمنها.

خاتمة:

من أهم النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي:

- يدل مصطلح العيد من حيث استعمال الوحي له على جواز الاحتفال بالأعياد الوطنية وعلى رأسها ذكرى عيد العرش المجيد؛
- يحقق الاحتفال بعيد العرش المجيد مقصداً كونياً باجتماع المغاربة على كلمة رجل واحد، فيتحد كفاحهم وتوحد أهدافهم، وهذا من السنن الكونية الضامنة للتقدم والريادة؛
- الحقيقة الشرعية للعيد تدل على الإطلاق لا التقييد، ومن قيده بعيد الفطر وعيد الأضحي فقد خالف

1- ماجد بن محمد علي الهذيلي مفهوم الأمن الفكري - دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية الشريعة - شبكة الألوكة، ص: 23.

الأصل، فكأن الشرع جعل عيد الفطر والأضحى من بين أسباب الفرح والسرور، وليس ذلك يدل على حصر الاحتفال فيهما قطعاً، ولا يوجد مخصص لذلك؛

• إن احتفال المغاربة بعيد العرش المجيد يجد سنده في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين الذين احتفلوا بفتح مكة وغيرها، فالمغاربة أيضاً فتح الله عليهم بخروج المستعمر وبقاء الشعب موحداً ملتفاً حول عرشه وملكه؛

• الاحتفال بعيد العرش المجيد تعبير من المغاربة عن شكرهم لله تعالى بنصرهم على عدوهم الذي اغتصب أرضهم، وبحفظ بلادهم من الانقسام والتشتت؛

• الاحتفال بعيد العرش المجيد تأكيد من المغاربة لدوام بيعتهم لملكهم، ومناسبة لتقديم الولاء والطاعة ليتجدد الكفاح ويستمر البناء؛ إذ الطاعة لأمر المؤمنين ليست تعبيراً باللفظ فقط بل هي عقيدة تملأ على المغربي فكره ووجدانه؛

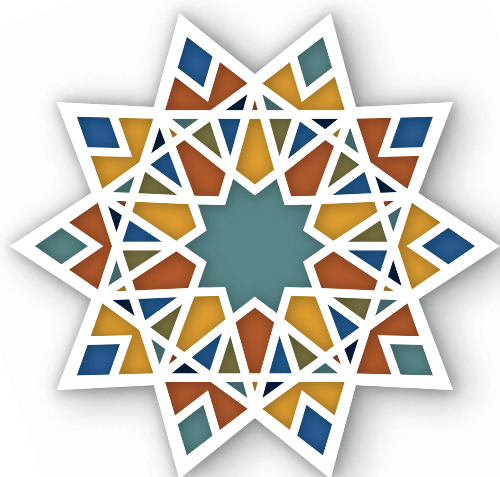
• الاحتفال بعيد العرش المجيد مناسبة لإعلان جلالة الملك للمغاربة عن التخطيط الاستراتيجي لاختيارات الدولة السياسية من خلال خطابه السامي الذي يقدمه لشعبه؛

• الاحتفال بعيد العرش المجيد يعزز الشعور لدى أفراد الشعب المغربي بالأمن والاستقرار الناتجين عن استقرار الحكم، وهو من أهداف ومقاصد الاحتفال بعيد العرش منذ أن كان فكرة إلى أن أصبح واقعاً مخلداً.

لائحة المصادر والمراجع

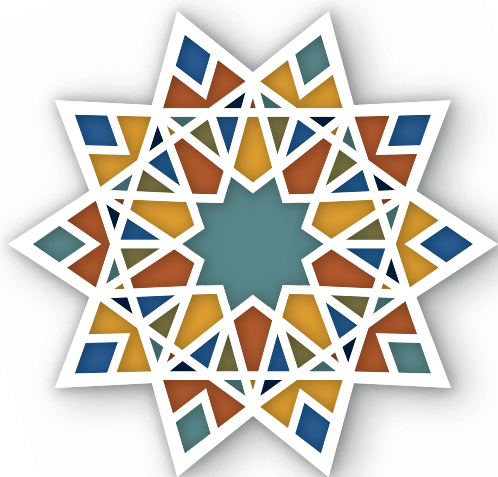
- ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، تح، ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب بيروت لبنان، ط7، 1419هـ.
- ابن حزم. الفصل في الملل والنحل، مكتبة الخانجي - القاهرة.
- ابن خلدون، عبد الرحمان (732-808هـ): المقدمة، حققه عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب دمشق الطبعة الأولى 2004م.
- أبو الفضل، جمال الدين بن منظور (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ.
- أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (ت: 1205هـ)، تح، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، دار التراث - بيروت، ط2، 1387هـ.
- أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، تح، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000م.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تح، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ.
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ت: 393هـ)، تح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407 هـ / 1987م.
- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت 1379هـ.
- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت: 395هـ)، مقاييس اللغة، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت: 395هـ)، مجمل اللغة، تح، زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، 1406هـ، 1986م.
- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط، 1، 1429 هـ - 2008م.
- تقي الدين المقرئ (المتوفى: 845هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح، محمد عبد الحميد النيسبي، دار الكتب العلمية - بيروت ط1، 1420 هـ - 1999م.
- حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت: 1250هـ)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، د.ط. د.ت.
- سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي، دار الفكر دمشق - سورية، ط2، 1408 هـ - 1988م.
- القرافي، الذخيرة، تح، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط1، 1994م.
- ماجد بن محمد علي الهذيلي مفهوم الأمن الفكري - دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام جامعة الإمام محمد بن سعود - كلية الشريعة - شبكة الألوكة.
- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الهيئة العامة للشئون المطابع الأميرية، ط1، (1393هـ - 1973م).
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف، الدار التونسية للنشر - تونس 1984هـ.
- محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ) تهذيب اللغة، تح، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م.
- محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408 هـ - 1988م.
- محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة.
- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، ط1- مطابع دار الصفو.





مقالات ذكرى ثورة الملك والشعب



زيارات الملك سيدي محمد بن يوسف لمدينة فاس: بين ترسيخ الشرعية ومواجهة الاستعمار

ذ. سمير بوزوينة

عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس - فاس

عكفت هذه الدراسة على الحديث عن لقاءات الملك سيدي محمد بن يوسف بإسكنة فاس خلال الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين، وذلك بهدف إبراز المنهج الذي سلكه بطل الاستقلال في صنع أحداث ووقائع أصبحت نبراسا يقتدى ومعلبة تحتذى.

فزيارة الثلاثينات التي قام بها الملك محمد بن يوسف إلى فاس، والاستقبال الشعبي الذي خصص له من طرف سكان هذه المدينة، بدعم وتنظيم ناشطي وقيادي الحركة الوطنية، أظهرت أنها تبلورت ضمن آليات فرض تحكم السلطة المركزية في مجالها السياسي بالمغرب. وقد ترجم ذلك من خلال إطلاق صفة سلطان الشباب على الملك سيدي محمد بن يوسف، خلال هذه الزيارات، عكست منذ ذلك الوقت عزم الملك الشاب على تكثيف التواصل واستمراره مع الشعب عبر آلية الزيارات الملكية. وبذلك وسعت هذه الآلية مجال تحركاته أمام القيود التي كانت تفرضها عليه سلطات الحماية، وفرضت بذلك قناة التواصل السياسي المباشر بين الملك وبعض مختلف مكونات مجالته السياسي، حيث أصبحت هذه الزيارات أداة من أدوات فرض أمر الواقع بالنسبة لسلطات الحماية.

إن سياسة الزيارات الملكية التي ابتكرها الملك سيدي محمد بن يوسف من أجل إلهاب حماس شعبه وتقوية وطنيته، تؤكد بأنه ملك ملهم، حيث فهمت هذه السياسة من قبل شعبه وترجمتها على أرض الواقع. كما استوعبت الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب خطورتها، حيث كانت تريد أن يبقى الملك منعزلا في قصره، بعيدا عن شعبه،

لكنه -وعلى العكس من ذلك- بادر إلى زيارة مدينة فاس سنة 1931م، وقد فصل في هذه الزيارة الباحث جواد الفرخ في أطروحة الدكتوراه الموسومة بفاس في مواجهة الاستعمار الفرنسي 1912- 1944م، دراسة في الحركة الوطنية وأشكال المقاومة، حيث يقدم صورة استقبال السلطان بمدينة فاس نورد مقتظفا من تغطية الزيارة التي قام بها سيدي محمد بن يوسف إلى فاس سنة 1931م ومما جاء فيها: «...وسيرا على عادة أسلافه، خرج السلطان من قصره على الساعة 8 من صباح يومه، وانضم إليه موكب الوزراء وأعيان المخزن. وتوجه الجميع إلى المدينة الإدريسية، على طريق شارع أبي الجنود، فشارع الطالعة، فقنطرة أبي رؤوس، فرأس التالين، فالدلّالين، فشارع النجارين، حيث منه قصد ضريح المولى إدريس. وكان في مقدمة الموكب باشا المدينة محمد بن البغدادى وخليفته محمد التازي والمهدي بن شقرون وقائد المشور. وفي باب الضريح وجد السلطان في استقباله الشرفاء الأدارسة، ودخل الضريح للتبرك، حيث وضع صلة سنّية في صندوق التبرعات. وخرج في موكبه من باب البراطيلين، فسوق الشماعين، ومنه دخل القرويين، حيث استقبله أعضاء المجلس العلمي وفي طليعهم الرئيس سيدي أحمد بن الجيلالي الأمغاري. وبعد زيارة الكلية والخزانة خرج من باب السبطين وسط العديد من الخلائق على شارع الصفارين، فالمشاطين إلى أن وصل إلى ضريح مولاي أحمد الصقلي، حيث وضع الصلة بصندوقه. وبعده زار ضريح سيدي علي الجمال، وبعده ضريح سيدي أحمد التجاني. وبعد مغادرته مر على ضريح سيدي أحمد بن يحيى بزقاق الرمان، ومنه إلى ضريح سيدي أحمد الشاوي. ومن هناك مر على طريق السياج، فالدوح قاصدا ضريح الشيخ أبي بكر بن العربي خارج باب الشريعة، ثم قصد ضريح جده مولاي عبد الله، حيث يوجد ضريح والده مولاي يوسف، وبه ختمت الزيارة الملكية، وعاد إلى قصره»¹.

أما الزيارة الملكية لفاس سنة 1933م، فقد دشن عبرها الملك سيدي محمد بن يوسف حضوره القوي في القيام بدور الموجه والمهم للحركة الوطنية، وقد فطنت الإقامة العامة لخطورة «سياسة الزيارات» بصفة خاصة على إثر استقبال منقطع النظر خصمه الوطنيون لجلالته بمناسبة الزيارة التي قام بها سنتي 1933 و1934م لمدينة فاس،² والتي نعتبرها مؤسسة لمرحلة جديدة من تاريخ انخراط القصر والحركة الوطنية في صف المقاومة والنضال من أجل الحرية والاستقلال.

1- زيارة الملك محمد بن يوسف لفاس سنة 1933

دشن الملك سيدي محمد بن يوسف زيارته إلى مدينة فاس منذ توليه العرش في 18 نونبر 1927م، وكان يلتقى بها دوما كل الترحيب، انطلاقا من أول زيارة له بعد بيعته سلطانا في 18 يناير 1928م.³ لكن زيارة فاس

1- قصارة محمد، «زيارة الجلالة الشريفة لأضرحة فاس»، جريدة السعادة، العدد 3697، 16 يونيو 1931م، ص. 1.

2- التازي عبد الهادي، «ثمان لقاءات مع المغفور له محمد الخامس»، مجلة دعوة الحق، العدد 4، السنة 10، مارس 1967م. ص. 64.

3- "L'entrée du Sultan à Fez", Le Temps, 16 Janvier 1928, P. 2.

سنة 1933م، كان لها وقع خاص، إذ خلف خبر تأهب الملك سيدي محمد بن يوسف لزيارة مدينة فاس سنة 1934م اضطرابا عميقا لدى الكي دورساي خاصة وأنها كانت سبابة لطرح بدائل لتخفيف وتلطيف الجو بالمدن المغربية التي ثارت ضد ظهير 16 ماي 1930م، القاضي بتشطير المجتمع المغربي إلى فئة البربر وفئة العرب. حيث تم وفق ذلك إعفاء المقيم العام، «سان لوسيان» وتغييره، بمقيم عام جديد مدني أيضا، سبق أن شغل منصب مقيم عام لفرنسا في سوريا، وهو السيد «هنري بونصو» سنة 1933م، وقد كلف أساسا بإدخال تعديلات على ظهير 16 ماي 1930م، وتعويضه بظهير 8 أبريل 1934م.⁽¹⁾

لقد كانت مبادرة زيارة فاس مُنطلقة بخلفية التأشير على تدشين عهد جديد من المواجهة بين القصر والإقامة العامة بالمغرب، خاصة وأن الأمر يتعلق برمزية فاس التي أجبر فيها السلطان المولى عبد الحفيظ على التوقيع على عقد اتفاقية الحماية يوم 30 مارس 1912م. حيث قبلت السلطات الفرنسية على مضض الزيارة الملكية لفاس، وذلك بحجة تلطيف الأجواء المشحونة بين الوطنيين والسلطات الفرنسية. فما إن وصل خبر الزيارة الملكية لفاس وحل يوم 8 ماي 1934م حتى انقلبت المدينة رأسا على عقب، وخرج سكان فاس عن بكرة أبيهم، وما كاد يظهر السلطان لهم حتى تعالت صيحات الجماهير هاتفة «عاش السلطان، عاش سيدي محمد، عاش المغرب عاش الإسلام، ولتسقط فرنسا، فليحررنا الله، وليساعدنا السلطان»⁽²⁾ وازدانت شوارع المدينة، ورفعت الأعلام الوطنية فوق أقواس النصر في طول المدينة وعرضها.⁽³⁾

وفي هذا الصدد بادر الشباب المتنور من طلبة القرويين إلى استغلال مناسبة الزيارة والتحضير لجعلها حدثا وطنيا يلهم مختلف شرائح المجتمع المغربي، ويعبرون من خلالها على قدسية الارتباط بين القصر والشعب، وبذلك تم تنزيل مبادرة الزيارة الملكية لفاس من احتفال شعب بملكه إلى ترسيخ فكرة الاحتفال بعيد العرش، وترجم محمد بن الحسن الوزاني هذه المبادرة بـ: «... أما لماذا أردنا عيدا للعرش، وذكرى الجلوس الملكي...بالإضافة إلى إيجاد عيد وطني سياسي يضاف إلى أعيادنا الإسلامية، تكوين وحدة متينة قوية ثابتة بين الأمة والعرش وبين الملك والحركة الوطنية... كما نرى بسعينا ذاك إلى إحباط سياسة الاستعمار القائمة على تحطيم وحدة البلاد...وطبيعي أن لا يرام تحقيق هذا كله يومئذ إلا عن طريق الاتحاد المتين بين العرش والأمة، وبين الملك والحركة الشعبية الوثابة...»⁴.

1- Spillmann Georges, Du protectorat à l'indépendance du Maroc, (1912- 1925), Paris, Plon, 1967, P.64 -

2- LADREIT DE LACHARRIÈRE, "Les événements de Fès", Revue l'Afrique française ; Année 1934, N° 5, Mai. P.267 -

3- بن سلامة عبد الرحيم، كفاح المغاربة من أجل الحرية والديمقراطية، مكتبة السلام، الرباط، الطبعة الأولى 2006م، ص 153.

4- الوزاني محمد حسن، حرب القلم، نشر مؤسسة محمد بن الحسن الوزاني، مؤسسة جواد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1984م. الجزء 1. صص. 92-93.

بطبيعة الحال رفضت سلطات الحماية فكرة الاحتفال بعيد العرش، مما دفع بثلة من الشباب الوطني بفاس إلى تشكيل لجنة مهمتها التواصل مع الجهات المسؤولة من أجل إقناع أصحاب القرار بقبول هذه المبادرة،¹ وكانت اللجنة تتكون من الأعيان والشبان، هم: إدريس برادة تاجر بالمدينة، ومحمد بن العباس جسوس تاجر ورئيس جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الثانوية الإسلامية سابقا، وعبد العزيز بوطالب مدير المطبعة الجديدة، والهادي السنتيسي تاجر بالمدينة، وعلي العراقي طالب بجامعة القرويين، والطيب بوعياذ نائب رئيس جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الثانوية سابقا.² وقامت ابتداء من يوم الأربعاء 15 نونبر 1933م بالعديد من الاتصالات والمقابلات مع رئيس البلدية، ونائب رئيس الاستعلامات، ثم الجنرال حاكم الناحية الذي استقبل عضو اللجنة محمد جسوس.³



طائفة من الشباب الفاسيين الذين اعانوا على اقامة العيد

وأمام تعنت سلطات الحماية التي رفضت بالمطلق تحقيق هذا المبتغى، انتهى الأمر بحل هذه اللجنة.⁴ لكن الشباب الفاسي أبى إلا أن يواصل تنفيذ مبادرة الاحتفال بعيد العرش من أجل تدشين عهد وطني جديد برئاسة الملك محمد بن يوسف، فقرر تنظيم حفلة كبيرة بحديقة جنان السبيل. ولإنجاح ذلك اتخذت جميع الإجراءات والتدابير والترتيبات التنظيمية. وخلال يوم الاحتفال، أغلقت المدارس الحرة، وتوقفت الدراسة بالقسم العالي لجامعة القرويين، كما أغلقت أهم الأسواق بالمدينة القديمة، وحجج إلى الحديقة العمومية جنان السبيل عشية يوم 18 نونبر 1933م سكان فاس، حتى ضاق المكان بالحضور.⁵

1- «عيد 18 نوفمبر بفاس»، مجلة المغرب، السنة 2، العدد 14، نونبر 1933م، ص. 21.

2- نفسه، ص. 21.

3- الوزاني محمد حسن، مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، مرحلة الانطلاق والكفاح 1930 - 1934م، نشر مؤسسة محمد حسن الوزاني، مؤسسة جواد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى. الجزء 1984م، ص. 475.

4- «عيد 18 نوفمبر بفاس»، مجلة المغرب، م. س، ص. 21.

5- نفسه، صص. 21-22.

ورفع العلم الوطني لأول مرة¹، مع صور السلطان²، وبعدها نظم مهرجان خطابي، أعلن في الناس أنهم دعوا بمناسبة (18 نوفمبر) الذي هو يوم بيعة جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف نصره الله وذلك للاحتفال بذكرى جلوسه على عرش أسلافه الكرام...³.

وفي ختام الحفل، حرر المنظمون بعين المكان برقية بهذه المناسبة إلى السلطان، تم تسليمها يوم 20 نونبر 1933م إلى خليفته بفاس مولاي المامون من طرف وفد من الشبيبة الوطنية ضم كلا من: محمد بن إبراهيم الكتاني، ومحمد بن الهاشمي الفيلاي، وإدريس بن الماحي الإدريسي، وعبد الحميد الصفريوي. وقد رد السلطان ببرقية مماثلة أرسلها الصدر الأعظم نيابة عنه. كما بعثت إدارة جريدة (L'Action du Peuple) برقية إلى السلطان وقعها محمد بن الحسن الوزاني، إضافة إلى برقيات أخرى رفعها أساتذة القرويين الشبان أمضاها: ابن إدريس بن عبد الله، والكتاني، والغربي، والدردقاي، والشرابي، وأعضاء جمعية قدماء تلاميذ ثانوية مولاي إدريس الإسلامية بتوقيع رئيس الجمعية المنيعي، وأخرى من طلبة جامعة القرويين⁴. وقد لقيت برقيات فاس وغيرها من البرقيات التي توصل بها السلطان سيدي محمد بن يوسف، وهو وقتئذ بمراكش في رحلته الخريفية، كل القبول والاستحسان⁵.

كانت هذه إذن هي أجواء الاحتفال بعيد العرش المنظم من طرف الشباب الوطني بفاس، الذي تحدى مناورات سلطات الحماية، واحتفل بأول ذكرى رغم أن الحركة الوطنية لم تستطع أن تجعل من الاحتفال الأول عيداً رسمياً، فإنه على الأقل كان حدثاً مهد لترسيم هذا العيد الذي تم في السنة الموالية⁶.

2- زيارة الملك سيدي محمد بن يوسف لفاس سنة 1934م.

علمت سلطات الحماية بفاس برغبة بعض الحركات استغلال زيارة الملك محمد بن يوسف لتنظيم التظاهرات بمشور المكنة، وهذه الأماكن توجد في طريق القصر الملكي، حيث اقترب مجموعة من الشباب من السيارة التي تقل السلطان، غير أن الحراسة المشددة عليه أرغمت المتظاهرين على التراجع، إلا أنهم ظلوا يهتفون ويصرخون،

1- العلوي محمد بن هاشم، من وراء السدود، أو الحركة الوطنية بفاس سنة 1937 و1944م، دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة الثانية 1980م. ص. 79.

2- بوطالب عبد الهادي، ذكريات شهادات ووجوه، الجزء 1، م. س، ص. 268. الجزء 1، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1992م.

3- الوزاني محمد لحسن، حرب القلم، الجزء 1، م س، ص. 95.

4- «عيد 18 نوفمبر بفاس»، مجلة المغرب، م. س، ص. 22.

5- بن زيدان عبد الرحمان، الدرر الفاخرة بآثر الملوك العلويين بفاس العامرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1937م. ص. 224.

6- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة السابعة، الرباط 2010. ص. 163.

ولم تتراجع انتفاضتهم بل استمرت¹ في الوقت الذي كان فيه السلطان متجها إلى مسجد مولاي إدريس، وما أن علم السيد هيلو مستشار المقيم العام حتى غادر الرباط متوجها إلى مدينة فاس من أجل ضبط الأمور هناك، وبناء على تعليمات من جلالة الملك، أعلن الوزير الأول في الليلة الثانية من الأحداث عن الاستقبال الرائع الذي قام به سكان فاس، والذي ينم عن مشاعر الاحترام والتفاني.²

وجاء لتحتيته جميع السلطات في المدينة والسلك القنصلي، حيث استقبل في قصره عدداً من الشخصيات³ تضم عددا من القناصل وممثلي السلطات الخارجية، وكذا السلطات المدنية، والعسكرية فضلا عن عدد من الأعيان المغاربة واليهود.⁴ وقد تزامنت زيارة الملك سيدي محمد بن يوسف لفاس سنة 1934م مع استصدار قرار وزيري في شأن اتخاذ اليوم الثامن عشر من شهر نونبر عيداً رسمياً، ونشر في الجريدة الرسمية، ومضمونه كالتالي:⁵

فقد ورد في تغطية جريدة (Le Petit Marocain) لأجواء الاحتفال بعيد العرش لسنة 1934م أن المناسبة مرت في مدينة فاس في أجواء طغى عليها الفرح والسرور، حيث قام الحرفيون والصناع بتزيين محلاتهم والأزقة والشوارع، وأقيمت التجمعات الاحتفالية. وفي المساء تم تنظيم حفل استقبال رسمي ترأسه الجنرال ماركي حاكم الناحية والباشا محمد التازي.⁶ وفي اليوم الثاني من الاحتفال، كان موعد زيارة الملك سيدي محمد بن يوسف للقرويين وبعض الأضرحة وفقاً للتقاليد المتبعة:⁷ وهي ضريح مولاي إدريس، وضريح سيدي أحمد التيجاني، وضريح سيدي أحمد الشاوي، وضريح سيدي أبي بكر بن العربي خارج سور المدينة، وضريح والدته بزاوية الصقليين بالبلدة.⁸ وكان من عادة زيارة الأضرحة أن تكون ذات طابع مدني، أي أن السلطان لا

«- A la suite d'incidents S.M. le Sultan abrège son séjour à Fès et regagne Rabat» Le petit marocain, N. -1
5960, 11mai 1934

A la suite d'incidents S.M. le Sultan abrège son séjour à Fès et regagne Rabat, Le petit marocain. 5960, -2
11mai 1934

Ibid -3

LE Sultan à Fès , Le petit marocain , N. 5959, 10-mai -1934 -4

5- «قرار وزيري يؤسس بموجبه عيد التذكار»، الجريدة الرسمية للدولة المغربية الشريفة المحمية، السنة 23، العدد 1149، 2 نونبر 1934م، ص. 1580.

6- «La première fête du trône a été célébrée avec faste», Le petit Marocain, N° 5690, 19 novembre 1934, p. 3

7- علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، الطبعة الخامسة 1993م، مطبعة النجاح، ص 184.

8- الوزاني محمد حسن، مذكرات حياة وجهاد، م. س، ج الرابع، ص 24، التازي عبد الهادي، «ذكرى زيارة السلطان سيدي محمد يوسف لفاس» دعوة الحق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد 279، سنة 1990م، ص 60.

يصحب فيها غير الوزراء والكتاب وبعض الحجاج والحشم، في غياب تام لكل ما يمت بالمظاهر العسكرية حفاظا على حرمة الأمكنة المقدسة، لذلك استغل الشباب الفاسي ذلك، ونظم مظاهرات حاشدة¹ أذهلت سلطات الحماية، والتي تبين لها مدى عمق الارتباط الذي يجمع الملك بالشعب، ومدى خطورة الزيارة، لذلك قررت سلطات الحماية بفاس التدخل بشكل فظ في برنامج الزيارة، فقد استغلت سلطة الحماية الشعارات التي رفعها أهل فاس ضد فرنسا، وإنزال العلم الفرنسي وطرحه أرضا والدوس عليه، فأصدر السيد «هللو Hello» نائب المقيم العام، أوامره لسلطة فاس بمنع الملك سيدي محمد بن يوسف من تأدية صلاة الجمعة بجامع القرويين، والاقتصار على الصلاة بمسجد مولاي عبد الله بالقصر السلطاني لئلا تقترب منه الجماهير بحجة الخشية على حياته،² وإذا ما تقرر الصلاة بالقرويين فعلى السلطان أن يسمح لهم بإحاطته بالحرس الفرنسي وبوضع صفين من جنود الحماية في الطريق من القصر إلى المسجد لحفظ النظام وصيانة الأمن.³

وجاء جواب الملك صبيحة العاشر من مايو 1934م، بعدما عقد اجتماع مع مجلس الوزراء، وعرض الموضوع على وزرائه، فاتفق الجميع على أن يغادر جلالته في صباح يوم الجمعة من فاس، احتجاجا على تصرف الحماية بتدخلها في برنامج الزيارة الملكية، لأنه لا يمكن لجلالته «أن يعدل عن أداء الصلاة في القرويين، وإذا ما سمح للجنود الفرنسيين بحراسته ربما انتهزت الفرصة للتنكيل بالأهالي»⁴.

وبعد خروج الملك من فاس، صدر بلاغ مساء 10 مايو 1934، باسم الصدر الأعظم يقول: «بعد الاستقبال الرائع البهيج الذي خصته مدينة فاس، لصاحب الجلالة سيدي محمد، الذي تأثر تأثرا خاصا بمشاعر الاحترام والوفاء من لدن السكان، اغتنم بعض مثيري الفتنة زيارة السلطان لضريح مولاي إدريس في اليوم الثالث من وصوله، ليتظاهروا في نهاية الزيارة أمام الناحية مقر القيادة العسكرية والسياسية الفرنسية بمشاعر مستنكرة ضد الحكومة الفرنسية، وإن جلالته السلطان الذي يريد أن يظل صديقا لفرنسا، ليعبر عن استنكاره لأعمال مؤسفة كهذه، وليظهر غضبه، غادر فاس اليوم نفسه ليلتحق بالرباط»⁵.

استنكر المغاربة هذا البلاغ،⁶ وجاء رد الملك سيدي محمد بن يوسف يكذب مضمون البلاغ، حيث استدعى على إثر ذلك، كتلة العمل الوطني لحضور مجلس وزرائه، وعبر لهم عن السرور الذي خالجه أثناء

1- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية ... م. س، ص 184.

2- Spillmann Georges, *Du protectorat à l'indépendance*...op.cit., P. 69.

3- الوزاني محمد حسن، مذكرات حياة وجهاد، م. س، ج 4، ص 28.

4- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية ... م. س، ص 185.

5- *Les événements de Fès* ...op.cit. P.268, LADREIT DE LACHARRIÈRE

6- Ibid. P 268

زيارته لمدينة فاس بالقول¹. «لقد غادرت المدينة مغتبطا مسرورا لما أتيح لي مشاهدته أثناء مشاركتكم وما عشته بجانبكم، كما أؤيد كل ما جاءت به شعاراتكم ومطالبكم، وسنعمل بحول الله على تحقيقها وإنجازها»² فما كان رد سلطات الحماية إلا أن أمرت بتوقيف جريدة عمل الشعب بفاس، ومنعت مجلة مغرب التي كانت تصدر بباريس، من الدخول إلى المغرب، ومنعت مجلة السلام وجريدة الحياة اللتين تصدران بتطوان من الدخول إلى المنطقة الخاصة للحماية الفرنسية،³ ممهدة لمعركة ستدخل طورا آخر، بين الوطنيين وبين الإدارة الاستعمارية.⁴

إن قطع السلطان لزيارته الرسمية لفاس، جاء احتجاجا على تحايل الإدارة الفرنسية الاستعمارية ومنع جلالته من أداء الصلاة في «جامع القرويين» بدعوى الخوف على أمنه وسلامته من شغب المشاغبين كما ادعت الإدارة الفرنسية، وهي العارفة بمدى التواصل المباشر الذي كان بينه وبين طلبة وأساتذة جامع القرويين. وفي هذا الصدد، يتحدث أبو بكر القادري عن هذه الزيارة في الجزء الثاني من كتابه مذكراتي في الحركة الوطنية، حيث يقول: «...حيث طاف بأرجاء القرويين وأنصت إلى علمائها في حلقات دروسهم المختلفة، فاستمع إلى درس الفقيه العالم السيد محمد العلمي في علم التوقيت والتنجيم، وإلى درس العلامة جواد الصقلي في مختصر خليل وإلى درس العلامة السيد العباس بناني في علم الأصول»⁽⁵⁾ وكان جلالته كما يتحدث عن ذلك صحيفة المغرب اليومية، يهتم كل الاهتمام بما يلقى الأستاذ، ويتابع طريقة إلقاء الدرس، ويستفسر عن المواد المدروسة إلى غير ذلك من الملاحظات التي كان يتابعها بكامل الاهتمام، وقد استدعى السلطان محمد بن يوسف العلماء للحضور في الدار العالية ليراجع ويتباحث معهم حول النظام العلمي الجاري به العمل، وضرورة مراجعته وإصلاح ما يجب إصلاحه فيه»⁽⁶⁾، وألقى في هذا الجمع خطابا بمناسبة زيارته للقرويين المعاصرة.⁽⁷⁾

لقد كان لقرار منع الزيارة الملكية الصدى الكبير خارج المغرب، إذ استنكرت جريدة لو بوبليير Le Populaire ذات التوجه الاشتراكي هذا القرار واعتبرته قعاً لحرية التعبير، وبذات اللهجة استنكرت تشديد

1- العلوي علي منير، محمد الخامس ورأياه في القمر، الطبعة الأولى 2003م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 44.

2- العراقي الغالي، الملك محمد الخامس، سياسة التحرير بين فن الممكن والمستحيل، منشورات المندوبية السياسية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير الطبعة الأولى 2003م، مطبعة فضالة، المحمدية، ص 48.

3- LADREIT DE LACHARRIÈRE, "Les événements de Fès ...op.cit., PP. 269- 270".

4- الشرايبي عبد الهادي، ثمن الحرية، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1978-1398م. ص 58.

5- القادري أبو بكر، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من سنة 1941م إلى سنة 1945م، الطبعة الأولى 1997، الجزء الثاني، ص 62.

6- نفسه، ص 62.

7- «نص خطاب الجلالة الملك المعظم الذي فاه به أمام علماء القرويين وطلبتها»، جريدة المغرب، العدد 1280، بتاريخ 5 يوليوز 1943م، ص 1-2.

الرقابة والمنع لمجلة Maghreb الاشتراكية،¹ وكان للجرائد المناصرة لقرار المنع رأي مؤيد لذلك، ومن ضمنها جريدة لوطان Le Temps.²

لقد سجلت زيارة فاس منعظا جديدا بين الإقامة العامة الفرنسية وبين الملك الذي كسر الطوق الحديدي الذي حاول تقييد تحركاته، وخلق هوة بينه وبين شعبه، لكن الوطنيين أدركوا بأن عاهلهم ليس رمزا للسيادة المقيدة فحسب بل هو شخصية قادرة، بحكم موقعها ومكانتها على توحيد المغاربة حول الأهداف الوطنية. وكانت سلطات الحماية وجميع المتعاملين، مغاربة وأوربيين مدنيين وعسكريين، يراهنون على تدني شعبية الملك وضرب علاقته بالقوى الحية في البلاد خاصة بعد إصدار ظهير 16 ماي 1930م، حينما حاولت تحميله مسؤولية الظهير القاضي بفصل المناطق الأمازيغية عن الجسم المغربي، غير أن الشبيبة الوطنية والنخبة المثقفة سرعان ما انتبهت إلى أن هذه المؤامرة الاستعمارية، تخدم أجندتها فقط. وبالمقابل قابل المغاربة ذلك بالاحتفال بملكهم وكأن شيئا لم يحدث، وخلصت إلى أن تعبئة الساكنة إلى جانبها رهينة بجلب الملك إلى جانبها، ومن المحتمل أن يكون محمد بن العربي العلوي قد قام بدور الوسيط بين السلطان والشبيبة³. وختاما يمكن القول إن الشباب الوطني سجل خلال الأحداث، التي واكبت زيارة الملك سيدي محمد بن يوسف إلى فاس، نقطتين في مرمى سلطات الحماية: فقد تمكن لأول مرة من تحريك كتلة الصناع التقليديين بفاس، وهي كتلة هامة سيكون لها الدور الكبير في أحداث مستقبلية، كما أنه دبر بذكاء وقوع أحداث لم يستنكرها الملك «سلطان الشباب» كما كانوا يطلقون عليه⁴، لأنها اقترنت بزيارته إلى فاس وبأجواء الاستقبال الكبير الذي نظم على شرفه.

تعد الزيارة التاريخية لفاس إحدى الإشارات التي التقطها الملك الشاب والتي جدد لها رجال الحركة الوطنية، ولهجت بها حناجر سكان مدينة فاس، في جو حماسي لم يسبق له مثيل، جعل بعض الباحثين يقول بأن «الملك الشاب» قد ذاق لأول مرة شعبية كانت موجهة ليس إلى الشريف... ولكن إلى الملك الشاب سيدي محمد، الذي أطلق عليه أحد المواطنين «سلطان الشباب»⁵.

3- زيارة الملك محمد بن يوسف لفاس سنة 1940م

قام الملك سيدي محمد بن يوسف بزيارة فاس يوم تاسع أبريل 1940م فاهتزت المدينة عن بكرة أبيها وخرجت لاستقبال العاهل في يوم لم ينسه أهل فاس، كانت السيارة الملكية تخترق الجماهير في مشقة لا تخلو

1 - "Maghreb" est à nouveau interdit au Maroc", Le populaire, N° 4117, 19 Mai 1934, p. 2

2 - "Maroc revues et journaux interdits", Le Temps, N° 26558, 18 Mai 1934, p. 2

3 - LE TOURNEAU Roger, *Histoire du Maroc moderne*, Publications de l'université de Provence, 1992. P.193

4 - Ibid, P. 194

5 - محمد خير فارس، تنظيم الحماية بالمغرب 1932-1939م، دمشق، 1972م. ص. 467.

من التوقف في كثير من الأحيان. وبمقدار ما استعد المواطنون استعد المستعمرون أيضاً، وبحسب عبد الهادي التازي الذي حضر هذه الزيارة، فإن أهل فاس كانوا على دراية باستعداد الفاسيين، فإذا عن نوع استعداد سلطات الحماية هذه المرة؟ لقد أوعزت السلطات الاستعمارية لباشا المدينة لكي يعمل على جمع «هدية» للملك بمناسبة زيارته هذه، وكان القصد من ذلك خلق جو من الإحراج والإرهاق للرعية حتى يأخذ بعض الناس على الأقل في الحساب للزيارات المقبلة!! ويحكي عبد الهادي التازي تفاصيل التحاقه بمشور فاس صباح اليوم الموالي 10 - 4 - 1940م، ودخل على الملك ضمن سكان فاس، وكان باشا المدينة قد قدم سلفاً بين يديه «الهدية». وعندما مثل الجميع أمامه وتقبل ترحيب الحاضرين التفت يمينته وأمسك بلفافة بحجمها الكبير وفي لونها الأبيض وقال في لهجته العلية السنية مقدماً هكذا:

أمس دخلت مدينة فاس ولا أخفي عليكم أنني كنت لا أملك دموعي من كثرة التأثر الذي كنت أشعر به وأنا أخترق الجماهير، وأنا أسمع وأرى تلك العواطف التي تنبعث من الرعية شيوخاً وكهولاً وشباباً وصبية، ولكني لا أخفي عليكم أنني في هذا الصباح تأملت كثيراً عندما توصلت بهذه «الرزمة»! وبهت الحاضرون إذ أنهم لم يكونوا يترقبون هذه المباغته، وسادت لحظات صمت قطعها الباشا الذي استجمع أنفاسه ليقول: «أن ما قدمه أهل فاس لجلالة الملك ليس إلا تعبيراً عن حبهم» فرد جلالته: «لو أن أهل فاس جمعوا الدنيا بخذافيرها ووضعوها في غلاف لما بلغت عندي تلك العواطف التي قرأتها بالأمس على وجوههم كبيراً وصغيراً...»، وتقدم أحد تجار المدينة¹ ليقول: «إنها هدية من فاس إلى صاحبي السمو الأميرين الجليلين بمناسبة إعدارهما المنتظر»، لكن الملك الهمام عاد ليقول: «إن الأميرين إذ يشكران لكم حسن نيتكم يعبران لكم عن رغبتهما في أن ترجعوا هذه الأمانات لأصحابها». وفي هذه الأثناء سمع (عبد الهادي التازي) جلالته يستشهد حاجبه بما يشعر به من سرور وانشرح كلما اقترب من مدينة فاس وبما يشعر به من مضاضة وهو يفاجأ بتقديم اللفافة!! وأطرق الحاضرون وعلى رؤوس الملأ ناول جلالته الباشا السيد محمد التازي اللفافة آمراً إياه أن يبحث بالضبط عن كل الذين أسهموا ليرجع إليهم ما أعطوا مع إبلاغهم رضى سيدنا نصره الله... وهكذا تنجر التناور إلى هباء، وازدادت العلاقات تمكناً من الملك وبين أهل فاس².

يستخلص من هذه اللقاءات الوطنية بين الملك سيدي محمد بن يوسف وأهل فاس أنها تعطي فكرة عن التدرج الصاعد الذي كانت تتسم به سياسة الزيارات واللقاءات الوطنية، ومدى قوتها في التفاف مختلف شرائح المجتمع الفاسي حول القضية الوطنية التي يناضل من أجلها ملك البلاد سيدي محمد بن يوسف، والتي تدعو إلى التلاحم في صف واحد مع الوطنيين من أجل المطالبة بالحرية واسترجاع الاستقلال.

1- التازي عبد الهادي، «ثمان لقاءات مع المغفور له محمد الخامس»، دعوة الحق، العدد 4، السنة 10، مارس 1967م، ص. 65.

2- نفسه، ص. 66.

من إعلان الاستقلال إلى إعلان الوحدة رحلة جلالة الملك محمد الخامس إلى إسبانيا يوم 4 أبريل 1956م

د. محمد الأندلسي

باحث في التاريخ-تطوان

تقديم:

يشهد تاريخ المغرب -عبر حقبه المختلفة- على الدور الذي اضطلع به سلاطين الدولة المغربية العريقة، في الذود عن حوزة البلاد واستقلالها ووحدة ترابها، قياماً منهم بواجب البيعة الشرعية التي هي أساس التعاقد بين الحاكم والرعية. ولم يحد سلاطين الدولة العلوية المجيدة عن هذا التوجه، فقد كانوا وما يزالون يناخون عن حوزة البلاد ووحدتها الترابية، ويبدلون -في سبيل تحقيق هذه الغاية- كل الجهود العسكرية والدبلوماسية المتاحة، ويقدمون الأمثلة الحية في نكران الذات، والتضحية بالنفس والمال والسلطان في سبيل وحدة البلاد وعزتها.

وهذا جلالة الملك سيدي محمد الخامس طيب الله ثراه، محقق الاستقلال وبطل الوحدة، ضحى بمُلْكِهِ وعرشه دفاعاً عن حقوق الشعب المغربي المشروعة في الاستقلال والحرية والكرامة. فبالرغم من محنة المنفى التي ابتلي بها، وعاش تجربتها القاسية، هو وعائلته الملكية الشريفة، بسبب مواقفه الراسخة، ومبادئه الثابتة، المُنَافِعة عن حقوق المغاربة، ومواجهته للإقامة العامة الفرنسية وتيارها الاستعماري الراديكالي، دفاعاً عن تلك الحقوق المشروعة، وثباته على موقفه من مسألتي العرش واستقلال المغرب ووحدته، خلال المفاوضات التي باشرتها معه الحكومة الفرنسية -بشكل غير مباشر- في منفاه بمدغشقر، ثم بشكل مباشر بعد نقله إلى العاصمة باريس، ووقوفه راسخاً رسوخ الجبال الشامخة أمام مناوراتها، لم تجد الحكومة الفرنسية بُدّاً من إعادة الملك الشرعي إلى عرشه يوم 16 نونبر 1955م، تطبيقاً لاتفاق سيل سان كلو (6 نونبر 1956م)، ثم فتح مفاوضات الاستقلال

مع الحكومة المغربية، التي توجت بالإعلان عن التصريح المشترك المغربي- الفرنسي يوم 2 مارس 1956م، الذي أكد على اعتراف فرنسا باستقلال المغرب، واحترام وحدة ترابه المضمونة بالمعاهدات الدولية¹، كما نص البروتوكول الملحق به، على أن السلطات التشريعية يباشرها -بسيادة تامة- جلالة الملك، وعلى الحق في تكوين جيش مغربي، بالإضافة إلى تشكيلات انتقال السلط التنفيذية إلى الحكومة المغربية². وكنيجة لهذه التطورات السريعة، أصبحت إسبانيا في وضع غير مريح، وفي موقف صعب. ومن أجل الخروج بالسياسة الإسبانية من حالة الجمود السليبي، وجه رئيس الدولة الإسباني الزعيم فرانكو دعوة رسمية إلى السلطان محمد الخامس لزيارة إسبانيا، وفتح مفاوضات إسبانية-مغربية ببناءة، على أساس الاعتراف باستقلال المغرب ووحدة ترابه.

فبدأت الاستعدادات الدبلوماسية الإسبانية بشكل مكثف من قبل وزير الخارجية مارتن أرتاخو (Martin Artajo)، والقنصل الإسباني العام المفوض في الرباط السيد ألكويبر (José Felipe de Alcover)، الذي أجرى لقاءً مع السلطان محمد الخامس يوم 31 مارس 1956م، وسلمه دعوة رسمية من الرئيس فرانكو، كما التقى بعدد من المسؤولين المغاربة، وعلى رأسهم رئيس الحكومة السيد مبارك البكاي، من أجل الإعداد للزيارة الملكية المرتقبة. وبالتزامن مع تلك الاستعدادات، أخذت تصريحات المسؤولين الإسبان في كل من مدريد وتطوان، تناسل بشكل سريع ومتواتر، مؤكدة على عزم الحكومة الإسبانية الاعتراف باستقلال المغرب ووحدة ترابه، وتقديم كل التسهيلات والمساعدات له من أجل بناء مؤسساته الجديدة، ومن ذلك تصريح الجنرال فرانكو لجريدة نيويورك هيرالد تريبيون، الذي نقلته أيضا جريدتي أ. ب. ث (ABC) الإسبانية، وجريدة الأمة المغربية، جاء فيه: «إن الوصول إلى اتفاق سلمي في شمال إفريقيا، يقضي بزوال منطقة الإدارة الإسبانية في المغرب، وإنشاء مغرب موحد مستقل، تحت تاج صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس [...] إن معاهدة الحماية قد اعترفت بوحدة التراب المغربي وبسيادة الملك، وكل ما يجري الآن هو جعل وحدة التراب المغربي وسيادة ملك المغرب حقيقة ملهوسة. أما تقسيم القطر إلى مناطق كما هو الأمر الآن، فإن ذلك لن يتجاوز تقسيما إداريا سينمحي وتحل الوحدة محله»³.

في هذا السياق جرت رحلة السلطان محمد الخامس إلى الديار الإسبانية يوم 4 أبريل 1956م، من أجل الإشراف -بمعية رئيس الدولة الإسبانية الجنرال فرانكو- على افتتاح المفاوضات المغربية-الإسبانية. وقد عرفت

1- جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 777، السبت 20 رجب 1375 هـ الموافق لـ 3 مارس 1956م.

2- جريدة الأمة، العدد السابق.

3- Charles- André Julien : Le Maroc face aux impérialismes (1425- 1956), Éditions du Jaguar, Paris, 2011, p 484 -

ABC, ano cuadrage, simo noveno, número 15620, lunes 2 de abril de 1956 -

- جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 802، الثلاثاء 22 شعبان 1375 هـ / 3 أبريل 1956م.

هذه الرحلة الملكية نشاطا مكثفا لجلالة الملك محمد الخامس، الذي التقى بعدد من المسؤولين الإسبان وغيرهم، وزار عددا من المدن الأندلسية (غرناطة-قرطبة-إشبيلية)، وحظي باستقبال رسمي وشعبي منقطع النظير، جعل الصحافة الإسبانية تعلق على هذه الزيارة التاريخية، قائلة: «يجب أن نعترف بأن الإسبان يحسنون ضيافة ضيوفهم من العظماء، ويعرفون كيف يكرمونهم [...] إن الجميع يؤمل الوصول إلى اتفاق ودي سريع بين إسبانيا والمغرب من قضية استقلال هذا القطر وتوحيد ترابه»¹. وتوجت هذه الرحلة الملكية الميمونة، بالإعلان عن التصريح المشترك المغربي-الإسباني والبروتوكول الملحق به يوم 7 أبريل، ليعود جلالته الملك محمد الخامس إلى مدينة تطوان عاصمة المنطقة الشمالية، حاملا إلى الشعب المغربي قاطبة بشرى إعلان الوحدة، مشيدا بتضحيات أبناء هذه المنطقة ونضالهم من أجل استقلال المغرب؛ «إن السيادة المغربية كل لا يتجزأ، ولن تكون لها ثمراتها إلا إذا تمت لبلادنا وحدة ترابها، وانضوت تحت التاج الذي تلتف حوله البلاد كلها، وذلك ما نادينا به وضحينا من أجله في سبيل إنجازها، ولم نتوان بإثر رحلتنا الموفقة إلى فرنسا، في إعداد العدة للقيام برحلتنا الميمونة إلى الديار الإسبانية»².

نروم -من خلال هذه الورقة البحثية- الوقوف على حقيقة الموقف الإسباني من المفاوضات الفرنسية-المغربية، التي كانت سابقة للمفاوضات الإسبانية-المغربية، وتسليط الأضواء الكاشفة على حيثيات وتفاصيل الرحلة الملكية إلى الديار الإسبانية، واستجلاء دور الدبلوماسية الملكية في تحقيق الاستقلال ووحدة التراب المغربي، وإبراز حفاوة الاستقبال الذي خصّصته المنطقة الشمالية (تطوان-العرائش-القصر الكبير) لبطل التحرير وقائد الوحدة، جلالته الملك محمد الخامس طيب الله ثراه.

1- موقف إسبانيا من المفاوضات الفرنسية-المغربية في فبراير 1956م.

شهدت العلاقات الإسبانية-الفرنسية طيلة مرحلة الحماية (1912-1956م)، فترات مدّ وجزرٍ، وانفراج وتوتر، إلا أن أخطر فترات الصراع والتوتر، كانت بعد نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية في المغرب، فكان موقف إسبانيا الرسمي هو الوقوف إلى جانب المغرب في هذه المرحلة الحرجة، والدفاع عن العرش وعن صاحبه الملك الشرعي محمد الخامس، ولم تتوان إسبانيا في توجيه انتقاداتها اللاذعة إلى شريكها في حماية المغرب فرنسا، واتهامها بخرق المعاهدات والاتفاقيات الدولية وعلى رأسها معاهدة الحماية التي التزمت فيها بالدفاع عن العرش وحمايته. وقد ظل هذا الموقف الإسباني النبيل راسخا في الذاكرة

1- جريدة أ.ب. ث (ABC)، نقلا عن جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 805، الجمعة 25 شعبان 1375هـ/ 6 أبريل 1956م.

2- من نص خطاب جلالته الملك محمد الخامس بمدينة تطوان؛ جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 808، الخميس متم شعبان 1375هـ/ 12 أبريل 1956م.

التاريخية المشتركة المغربية-الإسبانية، ودينا في رقبة الشعب المغربي وملكه محمد الخامس، الذي قال في خطاب ألقاه عَشِيَّةَ سفره إلى إسبانيا: «وإنها لمرحلة من المراحل الآتية في تاريخ مستقبل بلادنا، وإذا كان لنا أمل قوي في إنجاح المساعي، فما ذلك إلا لأننا نؤمن بصداقة الشعب الإسباني، تلك الصداقة التي ظهرت في السنين الأخيرة في الموقف النبيل الذي وقفته حكومة إسبانيا دفاعاً عن العرش المغربي والسيادة المغربية. كما لا ننسى تضامن رجالها المسؤولين سواء في إسبانيا أو في المغرب حيال القضية الكبرى التي آمن بها الشعب المغربي، وليس هذا إلا من أجل ما تربطنا به أواصر التاريخ وتجمعنا معه حضارة مشتركة»¹. كما أكد جلالته على الهدف الرئيس من هذه الزيارة قائلاً: «فقد كان حرصنا على الظفر بالاستقلال مقدمة لبغيتنا في الوحدة الترابية، التي لا تتصور للمغرب العزيز وجوداً بدونها؛ ذلك لأن الوحدة هي ضمانة الاستقلال وهي عماده»².

قبل انطلاق الجولة الثانية من المفاوضات المغربية-الفرنسية في شهر فبراير 1956م، بادرت الحكومة الإسبانية إلى المطالبة بإشراكها في تلك المباحثات، التي ينبغي أن تكون -حسب رأيها- ثلاثية؛ إسبانية فرنسية مغربية، وبهذا الصدد قدم السفير الإسباني في باريس الكوندي كاسا روخاس (El Conde Casa Rojas) مذكرة إلى سكرتير الدولة في الشؤون الخارجية الفرنسية، تطالب فيها مدريد باحترام استقلال وسيادة السلطان والاتفاقيات المبرمة بخصوص المغرب، وبضرورة إشراكها في تلك المفاوضات بإدراج المنطقة الشمالية³، كما طالبت بإخبارها بكل تطورات سير المفاوضات في باريس⁴. لقد أدركت إسبانيا النوايا الفرنسية الحقيقية من عدم إشراكها في تلك المفاوضات، والمتمثلة في رغبة فرنسا في لعب الدور الأول في استقلال المغرب، مثلما فعلت خلال المراحل التي سبقت فرض الحماية عليه⁵، لكسب مزيد من الهيبة في العالم العربي، والاستفادة من السيطرة على الاقتصاد والدفاع والأمن الإقليمي والشؤون الخارجية للمغرب⁶. وهذا ما دفع إسبانيا -التي جُرِّحت في «كبريائها الإمبراطوري»- إلى رفض الاعتراف بالإجراءات أو الإصلاحات المعلنة في التصريح

1- جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 803، الأربعاء 23 شعبان 1375هـ / 4 أبريل 1956م.

2- جريدة الأمة، العدد نفسه.

3- عبد الرحيم برادة: إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية (1931-1956)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007، ج2، ص. 318.

4- M.^a Concepción Ybarra Enríquez de la Orden: España y la descolonización del Magreb (Rivalidad Hispano-Francesa en Marruecos (1951-1961), Madrid, 1998, p 256.

5- عبد الرحيم برادة: إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية، ج2، ص. 318.

6- M.^a Concepción Ybarra Enríquez de la Orden: España y la descolonización del Magreb, P 253.

المشترك المغربي-الفرنسي¹، وقدمت مذكرة احتجاجية، من خلال سفيرها في باريس الكوندي كاسا روخاس، إلى وزارة الخارجية الفرنسية، عبرت فيها عن قلقها بخصوص المعنى الدقيق الذي يحيط بعبارة «ستدافع الحكومة الفرنسية عن وحدة تراب المغرب»، المتضمنة في الفقرة الثالثة من التصريح المشترك²، والتي يفهم منها إدراج المنطقة الخليفية ضمن المغرب الجديد المستقل الفرنسي. وأعاد السفير الإسباني التأكيد على موقف إسبانيا، مبدياً «التحفظات الأكثر وضوحاً وتعبيراً حول حرية إسبانيا في التصرف بشأن كل ما يمكنه أن يؤثر في منطقة حمايتها»³، فلم يكن أمام الكاتب العام لوزارة الشؤون الخارجية الفرنسية -لخفض مستوى التوتر- من خيار سوى تطمين الجانب الإسباني؛ «بأنه يتفهم أن أي تعديل للنظام القائم في المنطقة الإسبانية يستدعي بالضرورة إشراك إسبانيا في الاتفاق»⁴.

وقد بدا هذا التردد في الموقف الإسباني -بشكل واضح- في تعاظم السلطات الإسبانية مع المظاهرات الشعبية التي اندلعت في المنطقة الإسبانية بتطوان والعرائش والقصر الكبير يومي رابع وخامس (4-5) مارس، والتي أسفرت عن قتل عشرين شخصاً وجرح مائة آخرين⁵. وأمام الدعم الأمريكي لاستقلال المغرب، وتأييد الولايات المتحدة الأمريكية للتصريح المشترك المغربي-الفرنسي، اضطرت إسبانيا إلى الاعتراف بالأمر الواقع واتخاذ الإجراءات الكفيلة باستقلال المنطقة الشمالية وتحقيق وحدة التراب المغربي. وفي هذا الإطار تدرج زيارة الخليفة مولاي الحسن بن المهدي إلى إسبانيا يوم 17 مارس، ولقاؤه بوزير خارجيتها السنيور مارتين أرطاخو في قصر لامونكلووا، والجنراليسيمو فرانكو في قصر البردو، للتباحث حول الوضع العام الجديد بالمغرب وعلاقته بالمنطقة الشمالية، وكذلك الزيارة المنتظرة التي ينوي القيام بها إلى الديار الإسبانية جلالته المالك⁶. وفي السياق ذاته، حظي الأستاذ عبد الخالق الطريس وأعضاء اللجنة المركزية لحزب الاستقلال في الشمال (توحيد حزبي الاستقلال والإصلاح الوطني) بقاء جلالته الملك محمد الخامس بالرباط، حيث صرح الأستاذ الطريس

1- جان وولف: ملحمة عبد الخالق الطريس، حقيقة الحماية الفرنسية الإسبانية بالمغرب، تعريب محمد الشريف، مراجعة جعفر ابن الحاج السلي، منشورات جمعية تطاون أسمير، الطبعة الأولى، 2003م، ص. 305.

2- المصدر نفسه.

3- Diario de África, año 12, n° 3188, Tetuán, sábado 3 de marzo de 1956.

4- Ibid.

5- Charles- André Julien : Le Maroc face aux impérialismes, P 485.

- ينظر -أيضاً- جان وولف: ملحمة عبد الخالق الطريس، ص. 305-307.

6- جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة الثانية، العدد 787، الجمعة 4 شعبان 1376هـ/ 16 مارس 1956م.

- جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 790، الثلاثاء 8 شعبان 1376هـ/ 20 مارس 1956م.

-بعد هذا اللقاء- قائلا: «أحسست للمرة الثانية في حياتي أنني على حق في جميع ما اعتقدته فيه، وأنني كنت على حق في جميع ما عملته من أجل عودة جلالة الملك من منفاه، لأنني كنت واثقا دائما وأبدا أنه الذي وهبه الله للأمة المغربية ليقودها إلى عظمتها وحريتها واستقلالها وسعادتها [...] أنا نفور بهذه الزيارة، وأعتقد أن الشعب المغربي من أقصاه إلى أقصاه نفور بأن يكون على رأسه وأن يكون قائد سفينته محمد الخامس نصره الله»¹. وعن رأيه في الزيارة الملكية المنتظرة لجلالة الملك محمد الخامس إلى الديار الإسبانية، صرح الطريس قائلا: «أعتقد أن الحكومة الإسبانية تعلم حق العلم أن جلالة الملك يريد أن تكون زيارته للبلاد الإسبانية زيارة يترتب عليها نفع كبير للبلاد المغربية، فجلالة الملك على علم تام بالرغبة الشعبية في أن تتحقق في القريب العاجل وحدة البلاد، تلك الوحدة الفعلية العملية التي لا يطيق الشعب المغربي صبرا دون تحقيقها. فإذا تم هذا لجلالة الملك، فأنا واثق بأننا سنرى بحول الله في القريب العاجل جلالة الملك يزور البلاد الإسبانية ليعود بوثيقة الوحدة بعد أن عاد من الديار الفرنسية بوثيقة الاستقلال»².

كما شهدت هذه المرحلة سفر الأستاذ علال الفاسي إلى إسبانيا، ولقائه بالمسؤولين الإسبان، وتباحثه معهم حول الزيارة المرتقبة لجلالة الملك محمد الخامس إلى إسبانيا، وآفاق العلاقات المغربية-الإسبانية بعد إعلان الوحدة، فصّح -لجريدة إسبانيا- بخصوص هذا الشأن قائلا: «إن المفاوضات قد تقدمت كثيرا في الأيام الأخيرة، فتم الوصول إلى اتفاق، وقد وصلت هذه المفاوضات إلى لحظة هامة للغاية، وتزداد أهميتها بسفر صاحب الجلالة إلى إسبانيا، وسينشر في إسبانيا تصريح مشترك، وبعد عودة محمد الخامس إلى الرباط ستجرى المفاوضات حول العلاقات المقبلة بين البلدين، والآن وقد قبلت إسبانيا استقلال المغرب ووحدته، فإنه لا يبقى إلا وضع الصيغة للعلاقات الجديدة بين المغرب وإسبانيا، وهذا هو موضوع المفاوضات، وأنا أرى مستقبل العلاقات بين إسبانيا والمغرب يقوم على التعاون الصريح على أساس الاحترام التام المطلق لسيادة الجانبين»³.

وعن شعوره إزاء إسبانيا، قال الأستاذ علال الفاسي: «إنني قد استطعت الوقوف أثناء اتصالي بالإسبانيين، أنهم شعب شهم ذو معاملة إنسانية طيبة، كما تمكنت من الوقوف على أنه شديد الاهتمام بالقضية المغربية، وخاصة أثناء الأزمة التي تكبدها وطني، والتي لم يستر فيها الإسبان عطفهم على قضية الشعب المغربي، وقد كان هذا الشعور مشتركا بين رجال السلطة والشعب؛ وإذ أذكر على الخصوص الجنرال غرسيا

1- جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 798، الخميس 17 شعبان 1376هـ / 29 مارس 1956م.

2- جريدة الأمة، العدد نفسه.

3- نقلا عن جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 802، الثلاثاء 22 شعبان 1375هـ / 3 أبريل 1956م.

باليينو، الذي عرف أثناء محنة المغرب كيف يفصح عن إرادة إسبانيا وعطفها، ولنا الآمال الحسنة في أن يكون السفر القادم لصاحب الجلالة إلى إسبانيا أحسن أساس لعلاقات الصداقة والتعاون الجديدة بين شعبينا»¹.

كانت هذه هي أبرز التطورات التي شهدتها العلاقات الإسبانية-الفرنسية قبل انطلاق المفاوضات الإسبانية-المغربية، التي تم التمهيد لها بسلسلة من اللقاءات بين المسؤولين المغاربة ونظرائهم الإسبان، وبزيارة الخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي إلى إسبانيا في أواسط شهر مارس، ثم زيارة الزعيم علال الفاسي ولقائه بصناع السياسة الخارجية الإسبانية. لقد أسهمت هذه الاتصالات والمباحثات الدبلوماسية المكثفة في نجاح زيارة جلالة الملك محمد الخامس إلى الديار الإسبانية التي أثمرت الاتفاق على التصريح المشترك المغربي-الإسباني يوم 7 أبريل 1956م، واعتراف إسبانيا باستقلال المنطقة الشمالية والوحدة الترابية للمملكة المغربية.

2 -الزيارة الملكية إلى إسبانيا: حفاوة الاستقبال وتحقيق الأهداف.

2-2-برنامج الزيارة الملكية إلى إسبانيا:

انطلقت الرحلة الملكية المظفرة إلى الديار الإسبانية يوم الأربعاء 4 أبريل 1956م، حيث غادرت الطائرة الملكية «سوبر كونستلايشن» (Superconstellation) التابعة لشركة «إيبيريا» (Iberia) الإسبانية، مطار سلا على الساعة الثانية عشرة صباحا، وخرج جلالة الملك محمد الخامس في موكب ملكي بهيج، وسط هُتافات وتصفيقات الجماهير الغفيرة، التي احتشدت على طول الطريق الممتد على عشر كيلومترات. وعند وصول جلالته إلى المطار، وجد في توديعه عديد الشخصيات؛ من الوزراء وبعض العمال والقواد والباشوات وأعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، وعلى رأسهم الأمين العام الحاج أحمد بلافريج والأستاذ عبد الخالق الطريس. وبعد دخول جلالته إلى قاعة الاستراحة بالمطار، ألقى الكلمة الآتية: «يسرنا ونحن على أهبة السفر لتتميم استقلال بلادنا، بتحرير القسم الشمالي، وتوحيد تراب الوطن، ورفع الحواجز المصطنعة بين أطراف مملكتنا، أن نُعرب عن آمالنا أن تُتوج مُفاوضاتنا مع إسبانيا، التي تربطنا وإياها روابط متينة، بمثل النجاح الذي كُلِّتَ به مُفاوضاتنا في فرنسا، التي أظهرت من حسن الاستعداد ومن سعة الفكر، ما تستحق من أجله كل ثناء وتقدير، حتى صارت الصداقة المغربية الفرنسية أمرا واقعا محسوسا [...] ومما يُقوّي آمالنا في الحصول على النتيجة المرجوبة مع الدولة الإسبانية، ما كان لحكومتها ولرئيسها الجنرال فرانكو من مواقف شريفة في قضيتنا لا ينساها التاريخ»².

1- جريدة الأمة، العدد نفسه.

2- جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 804، الخميس 24 شعبان 1375هـ/ 5 أبريل 1956م.

وقد كان جلالة الملك محمد الخامس -في هذه الرحلة- مرفوقاً بوفد رسمي؛ يتصدره ولي العهد ورئيس أركان القوات المسلحة الملكية سمو الأمير مولاي الحسن، وصنوه سمو الأمير مولاي عبد الله، وأعضاء الحكومة المغربية؛ السيد مبارك البكاي رئيس الوزراء، والسيد محمد الزغاري نائب رئيس الوزراء، ووزراء الدولة؛ بوعبيد وكديرة والمحمدي والشرقاوي، ووزير الشغل محمد الدويري، كما كان بين أفراد الوفد الملكي خمسة أشخاص إسبانيين على رأسهم السنيور ألكوبيير القنصل العام لإسبانيا بالرباط¹.

نزلت الطائرة الملكية -بعد ثلاث ساعات وست وثلاثين دقيقة من الطيران- بمطار براخاس (Barajas) بالعاصمة الإسبانية مدريد، على الساعة الواحدة وثمان وأربعين دقيقة، حيث وجد جلالة الملك في استقباله الخنراليسمو فرانكو، الذي صرح للصحافة قائلاً: «إنني سعيد جداً بتقديم التحية إلى جلالة الملك»².

وفي داخل مطار براخاس، فقد كان ينتظر جلالة الملك، الخنراليسمو فرانكو على رأس الوزراء الإسبانين، وأعضاء مجلس الوصاية على العرش، وأعضاء البرلمان الإسباني، كما كان من بين الحاضرين الطنيطي خنرال غرسيا بالينيو المقيم العام الإسباني بالمغرب. وعلى مقربة من الوفد الإسباني، وقف الوفد المغربي، يرأسه الخليفة الأمير مولاي الحسن بن المهدي، وصنوه الأمير مولاي محمد، ونجلا الخليفة الأميران مولاي المهدي ومولاي إسماعيل، ورئيس الديوان الخلفي السيد أحمد بن البشير الهسكوري، وحاجب سمو الخليفة السيد عبد الواحد بريشة، وباشا تطوان السيد اليزيدي بن صالح، وباقي أفراد الحاشية. وكان في استقبال جلالة الملك بالمطار -أيضاً- أعضاء حزب الاستقلال يتقدمهم الأستاذ علال الفاسي.

وعلى طول الطريق من مطار براخاس إلى مدريد (14 كيلومتراً)، احتشدت الشخصيات، وكثر ازدحام السيارات (8000 سيارة)، وبلغ عدد المغاربة الذين وفدوا على مدريد لاستقبال العاهل الكريم وتحيته، أكثر من ثلاثة آلاف شخص، كانوا يركبون الحافلات. وكانت الجالية المغربية -المكونة أساساً من الطلبة- بالمطار، تحمل لافتات مكتوب عليها بالعربية والإسبانية: «ليحيا المغرب»، «لتحيا إسبانيا»، «ليحيا محمد الخامس»، «تحيا الصداقة الإسبانية المغربية». وخصّصت بلدية مدريد -في ساحة ديل ماركيس (Del Marqués)- استقبالا كبيرا لضيف شرف رئيس الدولة، جلالة الملك محمد الخامس والوفد المرافق له، وبهذا الصدد كان رئيس البلدية كوند دي مجالدي (Conde de Mayalde) قد وجه نداء إلى سكان المدينة بالخروج لاستقبال ضيف إسبانيا الكبير، جاء فيه: «وإني متيقن بأن شعب مدريد سيخصص استقبالا ودياً رائعاً، مقدماً بذلك

1- تألف الوفد الملكي خلال هذه الزيارة من خمسة وستين عضواً. للمزيد من التفاصيل ينظر:

- ABC, año cuadrage, sino noveno, número 15621, martes 3 de abril de 1956 -

- Ibid -2

البرهان مرة أخرى عن ضيافته التقليدية. وإني أشكر سلفا سكان مدريد الذين سيحضرون استقبال هذا الضيف الكريم، وأطلب منهم أن يزينوا شُرفات منازلهم، كما أطلب من جميع المنشآت؛ كدور التجارة والصناعة، أن يمنحوا كامل التسهيلات، ليتسنى للعملة والمستخدمين حضور هذه الحفلات»¹.

بعد انتهاء مراسيم الاستقبال الحار الذي خُصّت به السلطات الإسبانية بطل الاستقلال وقائد الوحدة، توجه جلالة الملك محمد الخامس والزعيم فرانكو إلى قصر مونكلوا (Moncloa) حيث الإقامة الملكية. وفي عَشِيَّة اليوم نفسه، بدأت المحادثات بين قائدي البلدين بقصر باردو (El Pardo)، حيث وُشِّحَ الجنرال فرانكو صدر جلالة الملك بأكبر وسام إسباني (La Orden del Yugo) وهو يقول: «يا صاحب الجلالة إن هذه أسعد فرصة، وإنه لشرف عظيم لنا بأن نقدم لجلالتكم هذا الوسام تخليدا لهذه الزيارة التاريخية، وأن نعبر به كذلك عن شعورنا العميق وترحيبنا الكبير بزيارتكم لإسبانيا»². فقال صاحب الجلالة: «سنحتفظ بهذا الوسام كبرهان على الصداقة التي تجمع بين الشعبين المغربي والإسباني»³. ومن عادة الملوك رد الهدية بهدية أفضل منها، فقدم جلالة الملك إلى الجنرال فرانكو هدية عبارة عن سيف مصنوع في المغرب، كتبت عليه هذه العبارة بالعربية: «من جلالة ملك المغرب محمد بن يوسف إلى رئيس الدولة الإسبانية» كما قلده حمالة الوسام العلوي الأكبر⁴.

في 5 أبريل قام جلالة الملك محمد الخامس والجنرال فرانكو بزيارة إلى مدينة طليطلة (Toledo)، التي تبعد عن العاصمة مدريد بنحو 70 كيلومترا، فزارا أهم الآثار، خاصة القصر (Alcázar) الذي كان قد خرب خلال الحرب الأهلية الإسبانية، ثم توجه رجلا الدولة إلى الأكاديمية العسكرية للمشاة⁵.

وفي يوم 7 أبريل، ذهب جلالة الملك -بالبطائرة- لزيارة مدينة غرناطة (Granada)، وقبل صعوده إليها، صرح قائلا: «يسعدنا في هذه اللحظة التي نغادر فيها العاصمة الإسبانية، أن نعبر عن رضانا عن الضيافة الكبيرة التي تم تقديمها لنا، والعواطف الحارة التي أظهرت لنا، سواء من قبل صاحب السمو رئيس الدولة الإسبانية وحكومته، أو من قبل جميع سكان هذه العاصمة الذين استقبلونا بحرارة غير عادية، دون تمييز بين الطبقات، حيث أظهروا بذلك، الحب والتقدير الذي يكنه هذا الشعب الإسباني تجاه مغربنا العزيز. لذلك، نعبر للجميع عن

1- جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 803، الأربعاء 23 شعبان 1375هـ / 4 أبريل 1956م.

- ABC, año cuadrage, sino noveno, número 15621, martes 3 de abril de 1956.

2- جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 804، الخميس 24 شعبان 1375هـ / 5 أبريل 1956م.

3- جريدة الأمة، العدد نفسه.

4- جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 805 الجمعة 25 شعبان 1375هـ / 6 أبريل 1956م.

5- ABC, año cuadrage, sino noveno, número 15623, jueves 5 de abril de 1956.

شكرنا العميق للأمة الإسبانية التي نتمنى لها حياة كريمة ومزدهرة»¹. وبقرطبة، تناول جلالة الملك الغداء في قصر الحمراء، وتجول في جنان العريف. وفي المساء توجه بالسيارة إلى إشبيلية عاصمة الأندلس، فوصلها بعد الغروب، وأقيمت له مأدبة عشاء بفندق ألفونس الثالث عشر، وفي صباح الغد، زار صومعة الخيرالدة والمسجد الإسلامي الكبير والقصر العظيم. وبعد ذلك توجه بالسيارة إلى قرطبة عاصمة الخلفاء، فزار المسجد ومدينة الزهراء، ثم عاد إلى إشبيلية حيث زار بعض أحيائها، قبل أن يتوجه منها إلى تطوان².

2-2-المفاوضات المغربية-الإسبانية وإعلان الوحدة.

عشية يوم 5 أبريل، افتتحت المفاوضات الرسمية المغربية-الإسبانية بقصر باردو، بحضور كل من جلالة الملك محمد الخامس والوفد المرافق له، ورئيس الدولة الإسبانية والوفد المرافق له، وقد ألقى قائدا البلدين كلمة بمناسبة حفل الافتتاح، ركزا فيها على وشائج الصداقة التي تربط بين الشعبين المغربي والإسباني، وعلى الروابط التاريخية المشتركة بين البلدين في إطار التفاعل الحضاري والثقافي. ومن جانبه، أكد جلالته الملك محمد الخامس على أن مستقبل العلاقات المغربية-الإسبانية سوف يبني على أسس متينة، خاصة بعد تجاوز المشاكل والصعاب التي نتجت عن تجزئة المغرب وتقسيمه خلال فترة الحماية، بإقرار إسبانيا بوحدة المغرب وسيادته التامة. كما أشاد جلالته بالموقف التاريخي النبيل لإسبانيا خلال أزمة العرش سنة 1953م، وقدم كافة التطمينات التي تضمن حقوق المواطنين الإسبان المقيمين في المغرب ومصالحهم. ومما جاء في ذلك الخطاب الملكي: «يا نخامة الرئيس، إن هذه اللحظات السعيدة التي نعيشها سويا، كانت مرحلة من تاريخ العلاقات بين بلدينا. وقد كانت رغباتهما في أن نزور إسبانيا، علما منا بأن هذه الزيارة سينتج عنها خير للشعبين الإسباني والمغربي. ونشكركم على ترحيبكم النبيل، وعلى عواطفكم النبيلة التي أظهرتموها نحونا، بعد ما رأينا منكم قبل اليوم، المواقف الجريئة في صالحنا والتي لن ننساها، فنشكركم عليها. ونود أن تكون هذه الرحلة التي نقوم بها إلى إسبانيا مقدمة للعلاقات الطيبة بين البلدين، ونجدد القول مرة أخرى بأنها علاقات ضرورية، وإننا نهتم كثيرا بأن تسود الصداقة بين القطرين، وأن ينشأ بينهما تعاون حقيقي يعود بالخير على إسبانيا والمغرب الجديد. وهذا ما دفعنا إلى الرغبة في فتح مفاوضات تنظم هذا التعاون داخل إطار السيادة بين القطرين. ومما لا شك فيه أن تحقيق وحدة التراب المغربي سيكون تلبية لمطامح شعبنا، وتنفيذا للعاهدات الدولية التي ضمنت وحدة الشعب المغربي، وأنتم لا تجهلون أن هناك صعوبات مادية ونفسانية تنشأ عن تقسيم القطر إلى مناطق مختلفة، ونحن واثقون بأن إسبانيا النبيلة سوف تعرف كيف تحقق مطامح الشعب المغربي، الذي ينشد وحدة ترابه، ورفع الحواجز بين أطرافه، وإنهاء عهد

1- ABC, año cuadrage, sino noveno, número 15625, sábado 7 de abril de 1956

2- جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 807، الاثنين 28 شعبان 1375هـ / 9 أبريل 1956م.

الوصاية التي كانت مفروضة عليه [...] إن الاعتراف بوحدة تراب المغرب داخل استقلاله، لا يتناقض مطلقاً مع ما لإسبانيا وإسبانيين المقيمين في المغرب من مصالح، وإذا كانت سيادتنا مصونة، فنحن على استعداد لإعطاء الضمانات الضرورية لمصالح الإسبانيين وإسبانيا، ضمانات تهيئ لها مساكنة ودية مع الشعب المغربي»¹. ومن جانبه، أكد رئيس الدولة الإسباني الخنراليسمو فرانكو، على دور إسبانيا في نشر الأمن والحضارة والتقدم بالمغرب الشمالي، مستحضراً الروابط التاريخية التي تجمع بين الأمتين الإسبانية والمغربية. ثم تعرض إلى فكرة التعاون في دائرة الاستقلال والوحدة، فقال بهذا الصدد: «فإن الأمة الإسبانية تضع إرادتها وروح المعونة، لتجعل ذلك الاستقلال استقلالاً فعلياً. وقد كانت رغبة الشعب المغربي دائماً أن يرى موحداً ما جزأه الأقوياء في ساعة شقية، وعلينا أن نُقرَّ بأن تلك التجزئة لم تكن إلا إدارية؛ لأن المغرب لم يفقد أبداً وحدته الدولية، ولأن تلك التجزئة قد مكنت الشعب المغربي والأمة الإسبانية في ساعة صعبة من إظهار إخلاصها للسلطان ونبذها لنقض الأوفاق والتعدي على الحقوق، وعليه فنحن لن نكون مخلصين لمشاعر الأخوة نحو المغاربة، إذا نحن لم نُجدد -في هذه الفرصة- عزمنا على احترام وحدة الإمبراطورية، وتقديم الوسائل حتى تصبح الوحدة وحدة فعلية. إن حكومتي تؤمل أن تتم سيادة السلطان الفعلية على جميع التراب، وأن تتمكن الشعب المغربي من أن يعود إلى الهيمنة على مصائره، وإن الاستقلال الذي لا يكون مصحوباً بالسيادة الحقة، استقلال لا يستجيب لروح الأوفاق التي وردت فيها وحدة الإمبراطورية والسيادة المغربية شيئاً واحداً»².

بعد هاذين الخطابين الساميين، انطلقت المفاوضات الرسمية بقصر سانطا كروز (Santa Cruz) بين الوفد المغربي الذي تكون من رئيس الحكومة امبارك البكاي، ونائب رئيس مجلس حفظة العرش محمد الزغاري، ووزير الأشغال العمومية إدريس محمدي، ووزير الدولة والمالية أحمد كديرة، ووزير الدفاع الوطني والطيران، وكوزراء الدولة ممثلين لوزراء بلا حقيبة؛ محمد الشرقاوي وعبد الرحيم بوعبيد. أما الوفد الإسباني فقد تشكل من وزراء؛ الشؤون الخارجية مارتن أرتاخو (Martin) Artajo والدفاع الطنيني خرنال مونيوس كرانديس (Teniente general Muños) Gandes وكتب الرئاسة كيريو بلانكو (Carrero Blanco) والعدل إيتورماندي (iturmendi) والكتب العام للحركة أريس (Arrese). وبعد سلسلة من الاجتماعات المطولة، توصل الوفدان المفاوضان إلى الصيغة النهائية للتصريح المشترك المغربي-الإسباني والبروتوكول الإضافي الملحق به، والذي وقعه من الجانب الإسباني وزير الشؤون الخارجية أرتاخو ومن الجانب المغربي رئيس

1- جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 804، الخميس 24 شعبان 1375هـ / 5 أبريل 1956م.

- ABC, año cuadrage, sino noveno, número 15624, viernes 6 de abril de 1956.

2- جريدة الأمة، العدد نفسه.

- ABC, El mismo número -

الحكومة امبارك البكاي وذلك صبيحة يوم 7 أبريل 1956م. وتم الإعلان عنه في الحفل الختامي الذي أقيم في قاعة Tapices بوزارة الخارجية الإسبانية.

ونص التصريح المشترك المغربي-الإسباني، الذي تضمن ثلاث نقاط، على إلغاء الاتفاقية الفرنسية-الإسبانية ليوم 27 نونبر 1912م، وعلى اعتراف الحكومة الإسبانية باستقلال المغرب وسيادته المطلقة، وعلى احترام الوحدة الترابية للمملكة المغربية واتخاذ التدابير الضرورية التي تجعلها وحدة فعلية. وعلى ضمان جميع الحريات والحقوق للإسبانيين المستقرين بالمغرب والمغاربة المقيمين بإسبانيا، في ميادين الاقتصاد والثقافة والاجتماع والحالة الشخصية، على أساس التبادل واحترام سيادة كل منهما¹.

أما البروتوكول الإضافي الملحق فقد تضمن ست نقاط، حددت إطار العلاقات المغربية-الإسبانية خلال الفترة الانتقالية، ونص على مباشرة جلالة الملك للسلطة التشريعية مباشرة تامة، وعلى نقل السلطات الإدارية إلى الحكومة المغربية مع المحافظة على الضمانات للموظفين الإسبان، والمحافظة على الحالة الراهنة للبسيطة الإسبانية إلى حين عقد اتفاق جديد بشأنها، وعلى إلغاء التأشيرات وجميع الإجراءات الإدارية المتعلقة لتجول الأشخاص بين منطقة وأخرى. وعلى تولى الحكومة الإسبانية في الخارج حماية مصالح المغاربة الذين يكون أصلهم من المنطقة المعنية في اتفاق 27 نوفمبر 1912م وذلك إلى أن تتكفل حكومة جلالة السلطان بتلك المهمة.

بإعمال مقارنة أولية بين نص التصريح المشترك المغربي-الفرنسي، ونص التصريح المشترك المغربي-الإسباني، يتضح -بشكل جلي- التشابه الكبير بينهما إلى حد التطابق، مع بعض الاختلافات فيما يتعلق بالبروتوكول الإضافي.

3- رحلة العودة من إسبانيا (إشبيلية) إلى تطوان.

بمجرد الإعلان عن التصريح المشترك المغربي-الإسباني، انطلقت الاحتفالات والأفراح في جميع ربوع المنطقة الشمالية، وأخذت مدينة تطوان تستعد لاستقبال محقق الاستقلال وبطل الوحدة.

وفي صبيحة يوم الاثنين 9 أبريل 1956م، وصل جلالة الملك محمد الخامس إلى مدينة تطوان، في رحلة انطلقت من مدينة إشبيلية الإسبانية. وقد حطت الطائرة الملكية بمطار سانية الرمل على الساعة الحادية عشر والربع، وكان جلالته مرفوقا بنجليه؛ سمو الأمير مولاي الحسن ولي العهد ورئيس أركان القوات المسلحة

1- ورد نص التصريح المشترك المغربي-الإسباني، باللغتين العربية والإسبانية، في عدد من الجرائد والصحف المغربية والإسبانية، نذكر منها تلك التي اعتمدها في هذه الدراسة:

- جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 807، الاثنين 28 شعبان 1375هـ / 9 أبريل 1956م.

- Diario de África, año 12, n° 3217, Tetuán, sábado 7 de abril 1956 -

- ABC, ano cuadrage, simo noveno, número 15615 sábado 7 de abril de 1956 -

الملكية، وسمو الأمير مولاي عبد الله، بالإضافة إلى أعضاء الوفد المغربي. وقد وجد جلالته في استقباله بالمطار، الخليفة الأمير مولاي الحسن بن المهدي، وعدد من الوزراء والمستشارين، وأعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، والمقيم العام الإسباني الجنرال غارسيا بالينيو، وعدد من الشخصيات المغربية والإسبانية، المدنية والعسكرية.

وبشرفه قصر المشور بتطوان، ألقى جلالة الملك محمد الخامس خطابا تاريخيا زَفَّ فيه بشرى تحقيق وحدة التراب المغربي، باعتراف إسبانيا -رسميا- باستقلال المنطقة الشمالية؛ قال فيه: «وبالأمس عدنا من ديار فرنسا ووجهتنا عاصمة مملكتنا رباط الفتح، لنزَفَّ منها إلى رعايانا بشائر الاستقلال. واليوم نعود من رحلتنا من الديار الإسبانية ووجهتنا تطوان قاعدة نواحي مملكتنا في الشمال، وتحت سماء هذه المدينة، قصدنا أن يَرِنَ صوت الإعلان بوحدة التراب إلى رعايانا في جميع المملكة، وذلك رمزا إلى تميم هذه الوحدة وثبيتها في الحال»¹.

وقد تضمن الخطاب الملكي جملة من القضايا والأفكار، التي تعكس رؤية جلالته لمغرب الغد، مغرب فجر الحرية والاستقلال، مغرب البناء والتشييد والنهضة الشاملة؛ «وخليق بمن خاض الصعاب، وأبى ضمير الحجر والانقسام، أن يقدر حق التقدير هذه النعمة، نعمة الاستقلال ووحدة التراب، ويعمل جاهدا مخلصا للمشاركة في ترميم ما تصدع، وجبر ما انكسر، واسترداد ما فوته علينا عهد التقسيم من الانتفاع بالمقدرات وبمواهب وكفاءات جميع أبناء البلاد، ومن تبادل المنافع والمصالح بين الجنوب والشمال. وبفضل ذلك يتاح لنا أن نعبئ لنهضتنا كل قوانا واستعداداتنا، ونحقق بين جميع عناصر السكان ذلك الانسجام الذي تقتضيه نهضة شاملة، ننشدها ونعقد العزم على بلوغها بحول الله، ولنا أمل فيما ستنال بلادنا من خير بفضل مواهب سكان هذه الناحية الشمالية، تلك المواهب التي طالما برهنوا عليها بأعمال جليلة في صالح الدولة قديما وحديثا، وبفضل حوزة هذه الأوطان»².

كما استحضر جلالته التضحيات الجسام التي بذلها العرش والشعب من أجل الوصول إلى هذه اللحظة التاريخية؛ حيث قال: «ولقد قطعنا -ونحن في طليعة شعبنا- ما يزيد على ربع قرن في معاناة أطوار هذا النضال، فاقترضنا جهودا وتضحيات، وتحملنا في مضايق ما كان الخروج منها يستطاع، لولا أنا تدرعنا لها بالجد والصبر والإيمان، وبتفانيينا في المصلحة العامة ونسيان الذات، وهكذا انتهى بنا الصراع المرير، بمجرد رجوعنا من منفانا السحيق، إلى القضاء على عهد الحجر والحماية، وإلى إعلان عهد الحرية والاستقلال في التصريح الصادر في اثني من شهر مارس سنة 1956م».

1- جريدة الأمة، السنة الخامسة، السلسلة 2، العدد 808، الخميس متم شعبان 1375هـ/ 12 أبريل 1956م.

2- جريدة الأمة، العدد نفسه.

كما أشاد جلالته بتضحيات أبناء المنطقة الشمالية في سبيل استقلال المغرب وعزته وكرامته؛ فقال: «إنها منة من الله وفضل عظيم، أن نقف اليوم بينكم في هذه المدينة ذات المجد التاريخي، وأحد معاقل الحضارة المغربية الأندلسية، وفي هذا الشطر من مملكتنا، عرين الأبطال، ومرتع الصناديد من رجال الريف الأبرار، أولئك الذين كان لهم ذكر وما زال في تاريخ بلادنا قديمه وحديثه، وسيظل باقيا زاهرا على مرّ الأعصار، ولقد شهدت هذه الناحية من مملكتنا الشريفة نفس المراحل التي اجتازها باقي المغرب في تاريخه، ونالها من خيرها وشرها ما ناله»¹.

وفي اليوم العاشر من أبريل، زار جلالة الملك محمد الخامس مدينتي العرائش والقصر الكبير، وتوجه إلى الحدود الوهمية بين الجنوب والشمال في منطقة عَرَبَاوَة، حيث قام جلالته بقطع الشريط الذي يرمز إلى الحدود بين المنطقتين في وسط هتافات وزغاريد ملأت الفضاء الرحب في ذلك الصعيد، الذي كان رمزَ التفرقة ورمز البغي على سيادتنا ووحدتنا².

خلاصة:

شكلت مرحلة المفاوضات بين المغرب من جهة، وفرنسا وإسبانيا من جهة ثانية، من أجل الاستقلال وتحقيق الوحدة، محطة هامة ودقيقة في التاريخ النضالي الطويل الذي خاضه المغرب ضد الهيمنة الاستعمارية الإمبريالية؛ إذ يمكن اعتبارها لحظة الحسم، ونقطة الفصل، والقطع مع مرحلة خضع فيها المغرب للحماية المزدوجة الفرنسية-الإسبانية، وبداية مرحلة الاستقلال وما يرتبط بها من مسؤولية بناء الدولة الحديثة وتحقيق النهضة الشاملة. وقد اضطلعت الدبلوماسية الملكية المتبصرة بدور طلائعي في هذه اللحظات الحاسمة، واستطاعت الوصول بالمغرب إلى بر الأمان. وإذا كان جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، قد وضع لبنة الاستقلال والوحدة في صرح المغرب الجديد، فإن خلفه جلالة الملك الحسن الثاني قدس الله روحه، قد استكمل المسير بتحقيق الوحدة الترابية واسترجاع الأقاليم الصحراوية المغربية، وفتح أورش التنمية فيها، لِيُسَلِّمَ المشعل إلى وريثه جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده، ليُكْمِلَ مسيرة البناء والتنمية، والعروج بالمغرب في مدارج الرقي والازدهار، وتحصين الوحدة الترابية للمملكة المغربية الشريفة وتأكيد لها، بفضل رؤيته الدبلوماسية المتبصرة، التي أثمرت اعتراف القوى العظمى في العالم -فضلا عن باقي الدول- بسيادة المغرب على صحرائه، وبمصادقية المقترح المغربي للحكم الذاتي في الأقاليم الجنوبية، باعتباره الحل الوحيد والأوحد الواقعي للنزاع المفتعل من قبل خصوم المغرب وأعدائه.

1- جريدة الأمة، العدد نفسه.

2- محمد بن محمد الخطيب: صفحات من تاريخ الحركة الوطنية في الشمال، جمع وتصحيح وإعداد ذ. محمد زين العابدين الحسيني، مراجعة ذ. محمد العربي المساري، الطبعة الأولى، تطوان، 2022م، ص. 608.

قضية استقلال المغرب خارج أسوار الحماية

د. جواد الفرخ

باحث في التاريخ- فاس

تزامنت نهاية مرحلة المقاومة المسلحة في المغرب بانطلاق مقاومة سياسية قادتها طبقة مثقفة تأثرت بالتيارات الإصلاحية، ووقفت في وجه المخططات الاستعمارية التي كانت تهدف إلى طمس الهوية الوطنية والدينية للشعب المغربي إلى جانب الاستحواذ على خيارات البلاد الفلاحية والاقتصادية، الأمر الذي ولد لدى هذه الطبقة شعورا بضرورة حماية وطنها والعمل من أجل استقلاله.

لقد جربت الحركة الوطنية المغربية كل الأساليب السلمية في تعاملها مع قوى الاحتلال، فمن تقديم العرائض، والمطالبة بالإصلاحات، وصولا إلى تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، إلا أن الرد الاستعماري لم يكن بنفس السلوك، فقد أقدمت الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب على الزج بالوطنيين في السجون والمعتقلات والمنافي، وقمعت المظاهرات في أبشع صور العنف، وخنقت حريات التعبير، وأجهضت كل محاولات التفاوض والحوار، الأمر الذي دفع رجال الحركة الوطنية للبحث في الخارج عن سند لتدعيم الرغبة المغربية في التحرر والاستقلال، والتعريف بالقضية الوطنية وآلام وآمال الشعب المغربي، فتم التنسيق بداية مع بلدان الجوار المغاربيين، وبعدها مع الجامعة العربية التي كان لها أثر مهم في التعريف بالقضية المغربية وإيصالها إلى أروقة الأمم المتحدة.

من هذا المنطلق يأتي هذا المقال للبحث في السياق التاريخي لمسار عرض القضية المغربية، والتعريف بها في مختلف الأروقة المغاربية والعربية والدولية، ودراسة الأحداث التي صاحبت مسألة تدويل الملف المغربي. فما هي إذن الخطوات التي اتخذتها الحركة الوطنية المغربية للترويج للقضية المغربية؟ وما هي المراحل التي قطعتها

المشكلة المغربية في أروقة الجامعة العربية والأمم المتحدة؟ وما هي الخطوات التي قام بها المغرب وأصدقائه لحشد التأيد الدولي داخل المنتظم الأممي؟

إرهاصات التعريف الدولي بالقضية المغربية:

بدأت الإرهاصات الأولى للتعريف بالقضية المغربية خارج أسوار الحماية في أواسط العشرينات من القرن الماضي وداخل الدولة الحامية نفسها، حيث انعقد في 7 دجنبر سنة 1924م مؤتمر مغاربي لتدارس أوضاع هذه الأقطار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، والتعريف بتجاوزات الاستعمار. وقد توجت أشغال هذا الاجتماع بالمطالبة بحرية التعبير، ودعم التعريف بالقضية المغربية، وتهنئة المغاربة بالانتصار على القوات الإسبانية¹.

كما كانت حرب الريف مناسبة أيضا للتعريف بقضية المغرب في العالم بأسره، وهي القضية التي لاقت تضامنا كبيرا من لدن العديد من الدول العربية والإسلامية، وأصبحت قدوة للحركات التحريرية. ودعما لحركة الريف، أجرى شكيب أرسلان اتصالات مع عصبة الأمم وبعض الشخصيات من أجل إيجاد حل للقضية الريفية. ووجه رسالة في أوائل يونيو 1925م إلى أحد أعضاء الهيئة الأممية. كما راسل في 14 أكتوبر 1925م في برقية مطولة رئيس الولايات المتحدة ورئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي، شرح فيها المشاكل التي يعاني منها المغرب والمصائب التي حلت به جراء الاستعمار، داعيا إلى اتخاذ إجراءات للخلاص من تلك المآسي².

وفي هذه الأثناء أيضا، كان للمغاربة حضور على الصعيد الإسلامي، حيث شاركوا في حركة الجامعة الإسلامية. وكان للشيخ محمد العتابي خريج جامعة القرويين دور كبير في إسماع صوت المغرب خارجيا، حيث جاب العديد من البلدان، وانتقل إلى إستانبول عاصمة الدولة العثمانية، وانضم لرجال المؤتمر الإسلامي، الذي كان يضم ممثلين عن جميع البلاد الإسلامية المحتلة. وبفضل المجهودات التي بذلها هو ورفقاؤه قررت تركيا وحزب الاتحاد والترقي دعم مطلب استقلال المغرب. وبعدها توجه ممثلا للمغرب بمعية الوفد، الذي بعثه المؤتمر إلى بعض الأقطار الأوروبية المحايدة. وحاضر في العديد من الملتقيات، موضحا حقيقة الأوضاع بالمغرب الأقصى. كما شارك سنة 1917م في المؤتمر الذي نظمه الوفد الإسلامي بعاصمة السويد والذي خرج بتوصيات مهمة، منها الدعوة إلى استقلال المغرب، ومطالبة الدول المحايدة بمساعدته في هذا المسعى³.

1- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الخامسة، الدار البيضاء، 1993م، ص. 13.

2- أحمد الشرباصي، شكيب أرسلان داعية العروبة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1964م، صص. 128.

3- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية، م. س، صص. 147-149.

وفي مطلع الثلاثينات طفا على مسرح الأحداث بالمغرب حدث شكل نقلة نوعية في تاريخ الحركة الوطنية المغربية، ألا وهو حدث ظهير 16 ماي 1930م التمييزي، الذي كان مناسبة جسدت أشكالاً متنوعة من التضامن العربي، وظهور البوادر الأولى للرغبة في خلق إطار وحدوي مناهضة كل المحاولات الرامية إلى تقويض الوحدة العربية. وقد خلقت حركة مناهضة هذا الظهير، وربطها بالبعد القومي والعربي والإسلامي عدة مشاكل للحركة الوطنية مع الإدارة الاستعمارية، خاصة بعد الضجة الكبيرة التي واكبت هذا الحدث بالبلدان المغاربية والمشرق العربي وبعض الدول الإسلامية وحتى في الدولة الحامية، بقيادة متعاطفين مع القضية الوطنية من قبيل شكيب أرسلان وبعض الشخصيات العربية والإسلامية كعبد الحميد بك سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين، ومحب الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح، والشيخ محمد رشيد رضا، وكذا شيخ جامعة الأزهر¹.

وقد شكل ظهير 16 ماي 1930م فاتحة عهد جديد لانفتاح الحركة الوطنية المغربية الناشئة على العالم العربي والإسلامي، والتعريف بنفسها ونضالها في مواجهة المخططات الاستعمارية. وشنت حملة إعلامية واسعة النطاق، مكنتها من كسب العديد من الأنصار والمتعاطفين. وتدعيماً لهذه الجهود، انبرت الصحافة العربية والإسلامية للتنديد بالظهير ودعوة المسلمين إلى التصدي له، الأمر الذي جعل البعض يؤكد بأن حدث 16 ماي 1930م شكل التاريخ الفعلي لبداية التحرك والعمل المغربي بالمشرق².

وتتويجاً لهذه الجهود، شهدت سنة 1931م انعقاد مؤتمر إسلامي في مدينة القدس، كان مناسبة للحركة الوطنية المغربية الناشئة للتعريف بقضيتها، والتشهير بظهير 16 ماي 1930م. وقد شارك في هذا المؤتمر وفد مغربي، ضم محمد بنونة ومحمد المكي الناصري³، في حين لم يسمح لأعضاء آخرين بالسفر إلى مدينة القدس. وكان شكيب أرسلان قد اقترح على عبد السلام بنونة مشاركة وفد مغربي من تسعة أشخاص⁴، وتدخل لدى المنظمين لإدراج القضية المغربية في جدول أعمال هذا الملتقى الإسلامي إلى جانب الموضوع الرئيسي، غير أن السلطات الاستعمارية لم تكن لترخص بمشاركة من هذا الحجم. وقامت بتدخلات عدة لكي لا يتم طرح القضية البربرية في هذا اللقاء. واستعملت في ذلك العديد من الضغوط الدبلوماسية، غير أنها لم تنجح في مساعدتها⁵.

1- مجلة نور الإسلام، الجزء 5، المجلد 1، جمادى الأولى 1349هـ، الطبعة الثانية، مطبعة يوسف كوي، مصر، ص، 342.

2- الفاسي علال، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، تصحيح ومراجعة المختار باقة، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الطبعة الثالثة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2010م، ص. 142.

3- المساري محمد العربي، المغرب خارج سياج الحماية- العلاقات الخارجية للحركة الوطنية، منشورات عكاظ، الرباط، 2012م، ص. 136.

4- بنونة الطيب، نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة، مطبعة دار أمل، طنجة، الطبعة الأولى، 1980م، ص. 276.

5- JUNG Eugène, Le réveil de l'islam et des arabes, Chez l'auteur, Paris, 1933, p. 16

وقد شارك في أشغال المؤتمر الإسلامي العام، الذي التأم في الفترة ما بين 7 إلى 17 دجنبر 1931م، إلى جانب الوفد المغربي، ممثلون عن العديد من الدول العربية والإسلامية بلغ عددهم حوالي 150 مندوبا من 22 دولة¹، حضروا رغم العراقيل التي وضعتها الدول الاستعمارية². وخلال جلسات المؤتمر، قدم ممثلا الحركة الوطنية المغربية تقريرا إلى المؤتمر حول الأوضاع بالبلاد، وأجريا اتصالات ولقاءات مع العديد من الوفود، لتتوج هذه المشاركة بمصادقة المؤتمرين على قرارات يهمن المغرب، الأول متعلق بالظهير البربري تضمن شجبا صريحا لسياسة فرنسا الاستعمارية في المغرب، مطالبا رئيس عصبة الأمم باتخاذ التدابير الصارمة لمواجهة هذا المخطط التبشيري، وتمكين المغاربة من ممارسة شريعتهم الإسلامية³، فيما تعلق القرار الثاني بالسياسة الاستعمارية الفرنسية. وقد كلف الشيخ محمد أمين الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي العام برفع هذين القرارين إلى عصبة الأمم بتاريخ 24 مارس 1932م⁴. وعقب ذلك، وجه مكتب المؤتمر الإسلامي في القدس جميع القرارات إلى الوفد السوري بجنيف، وعهد إليه بإبلاغها إلى جمعية الأمم باسم المؤتمر الإسلامي العام⁵.

الحضور المغربي في جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين

انفتحت الحركة الوطنية المغربية منذ تأسيسها على محيطها الجهوي. وحاولت التقرب من مثيلاتها في الجزائر وتونس ومد جسور وعلاقات معها. وقد شكلت هذه التوجهات البذور الأولى لتأسيس هياكل مغربية لمواجهة السياسة الفرنسية في الأقطار الثلاثة. وكانت أولى هذه المحاولات انضمام مغاربة ممن كانوا مستقرين بفرنسا إلى جمعية نجم شمال إفريقيا، التي أصبحت في مارس 1926م⁶ جمعية سياسية تعمل للدفاع عن كيان المغرب العربي وتطلب حقوقه، و«بذلت مجهودا كبيرا في تنظيم العمال المغاربة بفرنسا وتربيتهم تربية سياسية واجتماعية»⁷.

1- "القضية المغربية في المؤتمر الإسلامي العام"، مجلة الفتح، العدد 296، السنة 6، 5 صفر 1351هـ، ص. 7.

2- JUNG Eugène, Le réveil de l'islam et des arabes, op. cit, p. 20.

3- تم نشر نص القرار بمجلة الفتح: "القضية المغربية في المؤتمر الإسلامي"، مجلة الفتح، م. س، ص. 14، وكذا بمجلة مغرب: - «Comment M. Saint sert la France», Revue Maghreb, N° 1, Juillet 1932, p. 36.

4- المساري محمد العربي، المغرب خارج سياج الحماية...، م. س، ص. 138.

5- "القضية المغربية في المؤتمر الإسلامي العام"، مجلة الفتح، م. س، ص. 7.

6- يرجع البعض تاريخ تأسيس النجم إلى سنة 1923م و 1924م.

7- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية...، م. س، ص. 14.

وبعدها نشط أفراد من الشبيبة الوطنية في جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا، التي كانت بحق حجر الأساس لبناء إطار وحدوي إقليمي، وناضلت ضمن هذا التنظيم ضد السياسة الفرنسية بالأقطار المغاربية خاصة في مجال التعليم. وقد دشت جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، التي تأسست في بحر سنة 1927م، نشاطها هناك بتنظيم مسامرات ولقاءات علمية، منها لقاءات كان يشارك فيها الطلبة المغاربة، من قبيل أحمد بلا فريج، ومحمد الفاسي¹، ومحمد بن الحسن الوزاني.

كما عملت الجمعية على مساعدة الطلبة الوافدين على فرنسا وخلق علاقات متينة بين ممثليها. وانفردت بمجال إصلاحي كان له تأثير مباشر على الاستراتيجية الاستعمارية وهو مجال التعليم. ومع مرور الوقت طورت نشاطها، وأصبحت بمثابة فضاء مغاربي للتربية السياسية، خاصة بعد أن استقطبت أطرا مغاربية خلال الفترة ما بين 1928م و1933م، ليس في فرنسا فحسب ولكن من داخل الدول المغاربية نفسها وحتى من أوساط النخبة الثقافية التقليدية، وهي الثلة التي ستولى لاحقا قيادة الحركات الوطنية المغاربية².

وسجلت الشبيبة الوطنية المغربية حضورا قويا في المجالس الإدارية لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين. وشغلت مهام رئاسية وتقريرية داخل المكاتب التي تعاقبت على تسيير الجمعية منذ تأسيسها. فقد انتخب محمد الفاسي مثالا عضوا في مكتب 1928م، ونائبا للرئيس في مكتب 1929م و1930م، ليصبح رئيسا للجمعية على التوالي سنوات 1932م و1933م، و1934م، كما نال العضوية محمد بن الحسن الوزاني، وأحمد بلا فريج، ومحمد الخلطي، وعبد القادر بنجلون، وعبد الخالق الطريس وأحمد الوزاني.

ودأبت جمعية الطلبة هاته انطلاقا من سنة 1931م على تنظيم مؤتمرات سنوية تناوبا بين الدول المغاربية الثلاث، بلغ عددها 7 مؤتمرات، لم يحتضن المغرب أيا منها نظرا لل منع الذي طال المؤتمرين اللذين كانا مقررين سنتي 1933م و 1936م من طرف سلطات الحماية الفرنسية.

وعلى العموم، فقد ساهمت جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بشكل كبير في تأثيث المشهد الجمعي السياسي ببلدان المغرب. وأحيت فكرة وحدة النضال المغاربي بحكم وحدة الدين واللغة والتقاليد إضافة إلى وحدة المصير. وبلورت خطة عملية للممانعة أساسها الاهتمام بالتعليم كأداة فاعلة وفعالة في مسيرة مواجهة

1- الأدغم الباهي، "بعض ذكرياتي مع الأستاذ الصديق محمد الفاسي"، ندوة تكريم الأستاذ محمد الفاسي في موضوع محمد الفاسي نضال الثقافة والسياسة، سلسلة أبحاث وأعلام، مطبعة فضالة، المحمدية 1999م، ص. 153.

2- Agéron Robert Charles, «L'association des étudiants musulmans nord africaines entre deux guerres», .Revue Française d'histoire d'outre-mer, TIXX, N° 258-259, 1983, p. 27

المحتل، والتشبث بالمشترك الثقافي العربي والإسلامي الذي يجمع أبناء المغرب العربي، إضافة إلى مساهمتها في إحداث تقارب مشرق مغربي كان له كبير الأثر في التعريف بالقضايا المغاربية.

القضية المغربية في الأروقة العربية:

سعت الحركة الوطنية منذ تأسيسها بالمغرب إلى تجسير علاقات وطيدة مع حركات التحرر في البلاد العربية المشرقية. وربطت علاقات مع جمعيات إسلامية كان لها حضور كبير في المشهد السياسي العربي بجمعية الشبان المسلمين، وجمعية الهداية الإسلامية¹. وقد توطدت صلات الحركة الوطنية المغربية بالمشرق العربي بفضل البعثات الطلابية، نذكر من بينها البعثة التي أرسلها عبد السلام بنونة سنة 1928م إلى نابلس²، والبعثات التي توجهت إلى مصر، والتي ربطت علاقات متينة مع الفعاليات الوطنية المصرية للتعريف بالقضية المغربية كما حدث بالقاهرة سنة 1939م³.

وفي إطار تتبعنا للمسار الدبلوماسي للحركة الوطنية المغربية، وبحثها عن فضاء خارجي وإطار قومي للدفاع عن استقلال الوطن والوقوف في وجه المخططات الاستعمارية، نتوقف عند سنة 1943م، تاريخ تأسيس رابطة الدفاع عن مراكش بمصر التي قامت بدور هام في الدفاع عن القضية الوطنية، وقدمت وثيقة لسلطات الحلفاء تطالب فيها باستقلال المغرب. ومن حسن الصدف أن هذا الطلب قدم في نفس التاريخ تقريبا الذي قدم فيه حزب الاستقلال وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944م، وقد ظلت الرابطة تعمل بجد وتنتصل بالسفارات العربية والمناضلين العرب للتعريف بالمسألة المغربية⁴.

وكان للتحركات والاتصالات التي باشرتها الحركة الوطنية خاصة في الأربعينات من القرن 20 أثرها في انفتاح الأقطار العربية والإسلامية على حقيقة السياسة الاستعمارية بالمغرب، انفتاح ستستغله الرابطة في مجال الدعاية للقضية الوطنية في الصحافة المصرية والعربية كذلك، الشيء الذي سيكسبها عطفاً وتأيداً كبيراً في الأوساط السياسية الفاعلة حتى إن الأمين العام لجامعة الدول العربية ألقى خطاباً مهماً في الاحتفال الكبير الذي أقامته بمناسبة عيد العرش المغربي لسنة 1946م دعا فيه صراحة إلى استقلال المغرب⁵.

1- غلاب عبد الكريم، قصة المواجهة، م. س، ص. 286.

2- غلاب عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية إلى بناء الجدار السادس في الصحراء، الجزء 1، مطبعة الرسالة، 1987م، ص 375.

3- نفسه، ص. 376.

4- نفسه، ص 380.

5- مالكي محمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه 20، الطبعة الثانية، بيروت، 1994م، ص. 452.

وأثناء الحرب العالمية الثانية، تأسس بيرلين الألمانية تنظيم سياسي مغاربي عرف باسم «هيئة الحزب الوطني المغربي»، غايته العمل من أجل استقلال المغرب العربي ووحدته في نطاق العروبة والإسلام. وقد توزع نشاط هذا التنظيم بين باريس وبرلين، وعالج الكثير من المشاكل التي تهم المهاجرين من عمال وطلبة وجنود وأسرى. وفي الربع الثاني من سنة 1944م أعيد النظر في تنظيم هذه الهيئة، حيث أطلق عليها بصفة رسمية اسم «مكتب المغرب العربي»¹، الذي أسس صحيفة ناطقة بلسان أبناء المغرب العربي أطلق عليها اسم «المغرب العربي»، صدر منها عددان فقط. كما أحدث محطة إذاعية مغربية مستقلة حملت اسم «إفريقيا الفتاة»². وأمام تدهور الأوضاع بأوروبا على إثر اتساع رقعة الحرب العالمية الثانية، وظهر بوادرنهيار الجيوش الألمانية في مختلف الجبهات، توقف نشاط المكتب في العاصمة برلين، ونقل الوطنيون من دول المغرب نشاطهم نحو المشرق العربي لمواصلة الكفاح المشترك من هناك.

وبعدها نقل الوطنيون المغاربة نشاطهم نحو المشرق العربي لمواصلة الكفاح المشترك من هناك. وتم تأسيس مكتب المغرب العربي في دمشق سنة 1946م، حددت مهمته في التعريف بالقضايا المغربية، وسرعان ما أصبح مركزا لاستقطاب قادة المغرب العربي. وكان لهذا الحضور المغربي وتفاعله مع الأوساط السياسية الأثر الكبير في تعميق البعد القومي عند الوطنيين المغاربة³.

دور جامعة الدول العربية في تدويل القضية المغربية:

تزامن نشاط مكتب المغرب العربي مع تأسيس جامعة الدول العربية في 22 مارس 1945م، حيث بدأ المغاربة العمل على هذه الواجهة الجديدة للتعريف بالقضية الوطنية والدفاع عنها في المحافل الدولية. وقد أولت الجامعة العربية منذ البداية اهتماما كبيرا بقضايا المغرب الكبير ومن ضمنها القضية المغربية. وكانت أول مشاركة مغربية في أشغال هذه المنظمة الإقليمية الفتية في الدورة التي التأم في مارس 1946م. وقد حظي الوفد المغربي الذي ضم كلا من: محمد بن أحمد ابن عبود، ومحمد بن عبد السلام الفاسي الحلفاوي، ومحمد بن عبود، باستقبال من الأمين العام للجامعة عبد الرحمان عزام باشا، غير أن مهمته لم تحقق نتيجة ملموسة في موضوع القضية الوطنية⁴.

1- داهش محمد علي، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، مركز الكتاب الأكاديمي، 2014م، ص. 53.

2- يوسف الروسي، نشاط مكتب المغرب العربي في برلين، المجلة التاريخية المغربية، عدد 7-8 يناير، 1997م، ص. 1.

3- داهش محمد علي، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، م. س، ص. 56.

4- الوزاني محمد حسن، مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، الجزء 6، ظهور الأحزاب والمطالبة بالاستقلال 1937-1946م، نشر مؤسسة محمد حسن الوزاني، مؤسسة جواد للطباعة والتصوير، صص. 190-192.

وبعدها تواصلت المشاورات والاتصالات مع الجامعة العربية، وزاد اهتمام هذه المنظمة العربية بقضايا دول المغرب، وقررت في اجتماعها بتاريخ 26 نونبر 1946م تأييد شعوب المغرب الكبير في مطالبتها بالاستقلال. وبعدها تراجع هذا الاهتمام ولم تعد القضية تعرض أمام مجلس الجامعة بسبب الانشغال بالقضية الفلسطينية، إضافة إلى الهدوء النسبي الذي شهده المغرب بعد تعيين إيريك لابون مقيما عاما لفرنسا بالمغرب وإطلاق سراح الوطنيين¹.

وبعد الرحلة التي قام بها السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى مدينة طنجة في 9 أبريل 1947م وخطابه التاريخي بها، تجدد اهتمام الدول العربية الأعضاء في الجامعة العربية بقضايا المغرب. كما استثمر الوطنيون بالشرق ومصر على الخصوص هذا الحدث في دعم نشاطهم ودعايتهم الوطنية. كما أصبح الخطاب الذي ألقاه السلطان في طنجة دليلا يستعملونه لدى جامعة الدول العربية ومع الشخصيات والقوى السياسية في المشرق للتأكيد على عروبة المغرب ورغبته في الانضمام إلى حظيرة الجامعة العربية².

وأمام تعنت إدارة الحماية وعدم تجاوبها مع القرارات التي كانت تصدرها الجامعة في شأن المغرب، قام الوطنيون المغاربة انطلاقا من سنة 1951م بمجهود حثيثة من أجل دفع الجامعة العربية إلى التدخل والضغط بغية عرض القضية المغربية أمام منظمة الأمم المتحدة وإقناعها بجدوى هذه المبادرة، خاصة وأن مناقشة المنظمة العربية للقضية المغربية كانت قد استنفذت أغراضها. وقد تجاوبت الجامعة العربية مع هذا التوجه الجديد وقررت في اجتماعها بتاريخ 17 مارس 1951م تقديم القضية إلى الأمم المتحدة.

وبغاية حشد الدعم للملف المغربي، قام علال الفاسي رفقة وفد من الحركة الوطنية المغربية في 22 غشت 1951م بجولة في عدد من الدول العربية، شملت العراق وسوريا والأردن ولبنان، طالب فيها حكومات تلك الدول ببذل الجهود لدعم القضية المغربية في الجمعية العامة للأمم المتحدة. وقد كللت مهمته هاته بالنجاح بعد أن وافقت حكومات تلك الدول على طلبه، ووعدت ببذل كل ما في وسعها من أجل الحصول على نتائج إيجابية لصالح القضية³.

1- غلاب عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية إلى بناء الجدار السادس في الصحراء، الجزء 2، مطبعة الرسالة، 1987م، ص 490.

2- بناني عثمان، النشاط السياسي للوطنيين المغاربة بالقاهرة في عام 1947م، ضمن كتاب في النهضة والتراكم دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية مهداة للأستاذ محمد المنوني، الطبعة الأولى، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986م، صص. 152-153.

3- الدليبي عزام محمد سليم، الإدارة الاستعمارية في المغرب 1939-1956م، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2016م، ص. 194.

وفي إطار المساعي الوطنية لدى الجامعة العربية من أجل تبني الملف المغربي، أرسل محمد بن الحسن الوزاني وعلال الفاسي في 28 غشت 1951م باسم الجبهة الوطنية برقية إلى أعضاء اللجنة السياسية التابعة للجامعة العربية من الإسكندرية تمت الدعوة فيها إلى رفع القضية المغربية إلى هيئة الأمم المتحدة¹. كما قدم محمد ابن الحسن الوزاني في فاتح شتنبر من نفس السنة عرضا حول الملف المغربي إلى اللجنة السياسية خلال دورتها الصيفية المنعقدة بالإسكندرية، طالب فيه من الجامعة العربية تبني القضية المغربية، وعرضها على اجتماع هيئة الأمم المتحدة. وخلال نفس الاجتماع قدم علال الفاسي عرضا عن نشاط حزب الاستقلال، مذكرا بأن عدم حل المشكلة المغربية سيؤدي إلى اندلاع حرب عالمية ثالثة. وفي يوم 2 شتنبر 1951م، قررت الجامعة العربية تقديم طلب لتسجيل القضية المغربية في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة².

وبعد حادثة نفي السلطان في 20 غشت 1953م دعا مجلس جامعة الدول العربية أعضائه لاجتماع عاجل لبحث التعسفات الاستعمارية، وأصدر بيانا شديد اللهجة استنكر فيه قرارات الحماية³. وبعدها واصلت الجامعة العربية دعمها ماديا ومعنويا للقضية المغربية. ففي جلستي 19 و 27 يناير 1954م تمت المصادقة على إنشاء صندوق لشمال إفريقيا. ولتحقيق هذه الغاية، أحدثت اللجنة السياسية للجامعة العربية لجنة فرعية برئاسة وزير خارجية مصر، وعضوية رؤساء البعثات السياسية في القاهرة للإشراف على هذا الصندوق، وجمع تبرعات الحكومات العربية والإسلامية والدول الصديقة والمنظمات والأفراد⁴.

وفي اجتماع التأم في شهر أبريل من سنة 1954م، استنكر الوفد المصري بالجامعة سياسة فرنسا بالمغرب وحملة الاعتقالات والإعدامات في حق الوطنيين المغاربة. وأصدر قرارا صادق عليه أعضاء مجلس جامعة الدول العربية، يقضي بإرسال مذكرة احتجاج باسم المجلس بتوقيع رئيس الجامعة عبد الخالق حسونة إلى الأمانة العامة لهيئة الأمم المتحدة، تنديدا واحتجاجا بالأعمال الإجرامية التي قامت بها إدارة الحماية الفرنسية في حق المقاومين المغاربة، ومطالبة الهيئة الأمية بالتدخل العاجل لوضع حد لهذه التجاوزات التي تنتافي وحقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة⁵.

1- الفاسي علال، حديث المغرب في المشرق، ص. 110.

2- الوزاني عز العرب محمد حسن، حدثني والدي المعركة من أجل الشورى والاستقلال 1946-1955م، منشورات مؤسسة محمد حسن الوزاني، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، صص. 275-276.

3- طربين أحمد، إنجازات جامعة الدول العربية في دعم الاستقلال السياسي للأقطار العربية، مجلة شؤون عربية، عدد 13 مارس 1982م، تونس، صص 362-363.

4- الديلمي عزام محمد سليم، الإدارة الاستعمارية في المغرب، م. س، ص. 191.

5- الجامعة العربية، المحاضر الختامية لجلسات دورة الانعقاد العادي 21 لمجلس جامعة الدول العربية لسنة 1954، مضبطة الجلسة الثانية المنعقدة في 3 نيسان 1954م. وردت عند: الديلمي عزام محمد سليم، الإدارة الاستعمارية في المغرب 1939م-1956م، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2016م، صص. 191-192.

كما وجهت الجامعة في 14 يوليوز 1954م مذكرة إلى الدول المنضوية لحثها مجددا على دعم مطلب عرض الملف المغربي أمام منظمة الأمم المتحدة، داعية إياهم إلى تقديم طلبات في الموضوع إلى الهيئة الأومية بغاية تحقيق هذا المبتغى¹. وفي 14 نونبر 1955م أصدر مجلس الجامعة العربية قرارا دعا فيه إلى الاستمرار في تأييد الشعب المغربي في مطالبه القومية، وبذل المساعي الدبلوماسية لكي يتحقق للشعب المغربي مطالبه في الحرية والاستقلال...². وكان لوجود محمد بن عبد الكريم الخطابي بمصر دور كبير في دعم المسألة المغربية، حيث أجرى العديد من الاتصالات بأعضاء الجامعة، ورفع مذكرة في 29 نونبر 1954م إلى مجلس الجامعة العربية³.

إسهام جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا ومكتب المغرب العربي

ودعما للجهود التي كانت تبذلها جامعة الدول العربية للتعريف بالقضية المغربية والدفاع عنها، تكونت بمصر تنظيمات أخرى بمبادرة من أبناء الدول المغربية ودعم من الفعاليات السياسية والفكرية المحلية. ففي 18 فبراير 1945م أسس رجال الحركات الوطنية بالقاهرة إطاراً جديداً، أطلقوا عليه اسم: «جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية» برئاسة محمد الخضر حسين، ضمت أعضاء من الأقطار الثلاثة، وحددت مهمتها الأساسية في العمل على استقلال إفريقيا الشمالية بالوسائل المشروعة، وتحقيق التضامن والوحدة المغربية، والانضمام إلى جامعة الدول العربية⁴.

وقد انكبت الجبهة منذ تأسيسها على التعريف بالقضية المغربية، ومعاناة شعوبها بكل الوسائل المتاحة، واجتهدت من أجل إيصال صوت المغاربة إلى المحافل الدولية خاصة جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة، حيث ربط أعضاء الجبهة اتصالات على أعلى مستوى بهاتين المؤسستين، وقدموا العديد من العرائض والمذكرات.

وكان أول اتصال بين الجبهة والجامعة العربية بواسطة مذكرة رفعت إلى المؤتمر الأول في شأن الأوضاع العامة بالمغرب العربي والاضطهاد الاستعماري بالبلدان المغربية، تم التأكيد فيها على مواصلة شعوب المغرب

1- الدليبي عزام محمد سليم، الإدارة الاستعمارية في المغرب، م. س، ص. 192.

2- الجامعة العربية، المحاضر الختامية لجلسات دورة الانعقاد العادي 24 لمجلس جامعة الدول العربية لسنة 1955 و 1956م، مضبطة الجلسة الثالثة المنعقدة في 14 تشرين الثاني 1955م، وردت عند: الدليبي عزام محمد سليم، الإدارة الاستعمارية في المغرب، م. س، ص. 193.

3- الورتلاني الفضيل، الجزائر الثائرة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2009م، صص. 222-223.

4- داهش محمد علي، دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، م. س، ص. 57.

العربي للكفاح لرفع الظلم عنها¹. كما عاودت في 6 ماي 1945م مخاطبة جامعة الدول العربية بمذكرة أخرى، ركزت فيها على بذل الجهود لتكون قضية شمال إفريقيا من أولى أولويات جامعة الدول العربية والدفاع عنها بكل الوسائل المتاحة². وعلى الصعيد الأممي، لم تفوت الجبهة فرصة انعقاد مؤتمر فرانكيسكو في أكتوبر 1945م، ورفعت برقية إلى رئيس المؤتمر في شأن استقلال أقطار شمال إفريقيا من الاحتلال والدعوة إلى عرض قضية تلك الأقطار على المؤتمر³.

ولم تتوان الجبهة في طرق جميع الأبواب التي كانت ترى فيها عضدا لقضية البلدان المغاربية. وتعددت مذكراتها ومراسلاتها إلى جهات مختلفة في مناسبات عديدة خلال الفترة ما بين 1945م و1946م. وأجرت اتصالات بالزعماء العرب وسعت لديهم من أجل التدخل لتعزيز جهودها دفاعا عن قضايا أقطارها، من قبيل المذكرة التي بعثتها إلى الملك عبد العزيز آل سعود⁴. كما عملت الجبهة على ربط علاقات متينة مع النخب الثقافية والفكرية والجمعيات بالشرق العربي. ونظمت اللقاءات والندوات والمحاضرات بمصر والشام، وأصدرت البيانات ونشرت المقالات والبلاغات في الصحف، التي أصبحت منابر لنشر تطورات القضية المغاربية ومعاونة شعوب هذه الدول في ظل التسلط الاستعماري الفرنسي.

من مؤتمر المغرب العربي إلى لجنة تحرير المغرب العربي

زاد الوعي بضرورة الوحدة المغاربية، وتقوت الرغبة في توحيد الجهود بين الأقطار الثلاثة لتشديد الضغط على الاستعمار. ولتحقيق المزيد من التقدم في هذا الاتجاه، عقد أعضاء رابطة الدفاع عن مراكش المغربية بتنسيق مع ممثل حزب الشعب الجزائري وممثل حزب الدستور التونسي في القاهرة مؤتمرا عاما لدراسة شؤون دول المغرب الكبير، وبحث أنجع الوسائل لتنسيق العمل، استمرت أشغاله من 15 إلى 22 فبراير 1947م، تم خلالها دراسة مختلف المشاكل القائمة واتخاذ قرارات في غاية الأهمية⁵.

وقد افتتح المؤتمر جلساته يوم 15 فبراير 1947م بالمركز العام للجمعيات الشبان المسلمين بحضور عبد الرحمان عزام، الأمين العام للجامعة العربية، وتضمن برنامج اللقاء كلمة افتتاحية ألقاها التونسي يوسف الرويسي، وبعده ألقى الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمان عزام خطابا ثمن فيه دعوة ممثلي الحركات الوطنية المغربية في

1- الورتلاني الفضيل، الجزائر الثائرة، م. س، صص. 274-277.

2- نفسه، صص. 288-289.

3- نفسه، ص. 340.

4- نفسه، صص. 279-281.

5- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، م، س، ص 375

الشرق العربي لهذا المؤتمر، مؤكداً تأييده التام لمطلب استقلال الدول الثلاث¹. وعقب ذلك، ألقى الكاتب العام للمؤتمر عبد الكريم غلاب كلمة بسط من خلالها الغاية من تنظيم هذا الملتقى العربي². وبعده توالى الكلمات المبرجة. وكانت قضية الاستعمار الفرنسي والإسباني في المغرب العربي من أهم النقاط التي حظيت بمباحثات عدة، حيث صدرت فيها قرارات وتوصيات ترفض الاحتلال وتطالب بإعلان الاستقلال. كما ناقش المؤتمر موضوع تنسيق عمل الحركات الوطنية³، وتقديم بمطالب للجامعة العربية من أهمها: إعلان بطلان معاهدتي الحماية المفروضتين على المغرب وتونس، إعلان عدم شرعية احتلال الجزائر، تعيين ممثلين عن المؤتمر في مجلس الجامعة، عرض القضية المغربية على الهيئات الدولية.

وبعدها، فتح ممثلو أحزاب الاستقلال والشعب والدستور مقرا لهم في القاهرة لتوحيد عملهم، أطلقوا عليه مكتب المغرب العربي. وتألف المكتب من ثلاثة أقسام تمثل البلدان المغاربية، وكان له مدير عام منتخب ولجن فنية. وبعد استكمال إجراءات التأسيس، أصدر المكتب عدة نشرات، وقام بعدة مبادرات للتعريف بالقضايا المغاربية⁴، وتكسير الحاجز الذي وضعته السلطات الاستعمارية على هذه البلدان، إضافة إلى تنظيم المحاضرات والمؤتمرات في مختلف العواصم العربية، وإرسال الوفود للتخابر مع مختلف الدول في شأن المسألة المغاربية، ليصبح بعدها مطمح أنظار كل المهتمين بشؤون هذه الدول ومحج الوافدين من شمال إفريقيا خصوصا بعد أن اجتمع فيه زعماء البلاد المغاربية⁵. وسرعان ما أصبح الناطق الرسمي باسم دول المغرب العربي ليس في القاهرة فحسب ولكن في عواصم أخرى مثل: دمشق، وبيروت، وبرلين، ونيويورك، التي أحدث بها فروعا له حددت مهامها في حشد التأييد الدولي للملف المغاربي والتشهير بالسياسة الاستعمارية.

وقد تزامنت هذه التحركات مع لجوء محمد بن عبد الكريم إلى مصر، ونزوله بها في شهر ماي سنة 1947م، حيث بذل بدوره جهودا كبيرة لتوحيد الحركات الوطنية المغاربية وإعطاء إشعاع خاص للقضية المغربية، والإسهام في إحداث لجنة تحرير المغرب العربي في 5 يناير 1948م. وقد تأسست لجنة تحرير المغرب العربي من جميع الأحزاب في دول المغرب. وتكون مكتبها من: محمد بن عبد الكريم الخطابي رئيسا بصفة دائمة، ومحمد الخطابي نائبا للرئيس بصفة دائمة أيضا، والحبيب بورقيبة أمينا عاما، ومحمد بن عبود أمينا للصندوق. ومثل

1- محمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، م. س، ص. 451.

2- مؤتمر المغرب العربي المنعقد بالقاهرة من 15 إلى 22 فبراير 1947م، مطبعة الحي الثقافي الدولي، الجزيرة، مصر، 1947م، ص. 13.

3- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، م. س، ص 376.

4- نفسه، ص. 379.

5- نفسه، ص 380.

المغرب في اللجنة حزب الاستقلال في شخص علال الفاسي وأحمد بن المليح، ومن حزب الشورى والاستقلال العربي العلمي، والناصر الكثاني، أما حزب الإصلاح فقد مثله عبد الخالق الطريس ومحمد بن عبود، فيما مثل حزب الوحدة المغربية محمد اليميني الناصري، إضافة إلى ممثلين عن الحزب الحر التونسي الجديد، والحزب الدستوري التونسي القديم، وحزب الشعب الجزائري¹.

منظمة الأمم المتحدة وتدويل القضية المغربية

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتأسيس منظمة الأمم المتحدة، وقعت العديد من الاتفاقات الدولية المتعلقة بحق تقرير المصير، وانصب اهتمام رجال الحركة الوطنية المغربية على تعريف الرأي العام العالمي بالقضية المغربية، والقيام بحملة واسعة ومساعي حثيثة لدى جميع الدول التي بإمكانها دعم المغرب بغاية عرض ودراسة الملف المغربي في المنتظم الأممي بصفة رسمية.

وكانت أول محاولة لإسماع صوت المغرب في هذا الاتجاه أثناء انعقاد مؤتمر سان فرانسيسكو، الملتئم عقب نهاية الحرب العظمى الثانية بعد لقاءات ومؤتمرات عدة عقدتها دول الحلفاء لبحث سبل تأسيس منظمة أممية تحقيقاً لأحد أهدافهم الحربية. وقد التأم هذا المؤتمر يوم 25 أبريل 1945م بحضور 50 وفداً من بينها فرنسا، ودول عربية كمصر والعراق وسوريا ولبنان والسعودية، ومشاركة دول أخرى من قارات أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا، برئاسة وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية، ليتوج بعد أشغال دامت لمدة شهرين بمصادقة المشاركين على ميثاق الأمم المتحدة في 26 يونيو 1945م. وقد استغل محمد اليزيدي انعقاد هذا المؤتمر ورفع رسالة في 8 مارس 1945م إلى رئيس المؤتمر، ورؤساء الحكومات الأمريكية والإنجليزية والروسية والصينية، وحتى الفرنسية للمطالبة بالحضور في المؤتمر مراعاة لمساهمة المغرب وتضحياته في الحرب، غير أن هذه الخطوة لم تجد الصدى المتوخى منها.

وبما أن مهمة المؤتمر كانت قانونية صرفة حددت سلفاً في وضع ميثاق للهيئة الأممية الجديدة، فقد كان من المستبعد بحث المشاكل السياسية وتسوية النزاعات الدولية كالقضية المغربية، كما كان من الصعب مشاركة المغرب في أشغاله خاصة وأن فرنسا كانت حاضرة بقوة. وبالرغم من ذلك، رفع محمد اليزيدي باسم حزب الاستقلال رسالة في 8 مارس 1945م إلى رئيس المؤتمر، ورؤساء الحكومات الأمريكية والإنجليزية والروسية والصينية، وحتى الفرنسية للمطالبة بالحضور في المؤتمر مراعاة لمساهمة المغرب وتضحياته في الحرب، غير أن هذه

1- المختار نزار، وحدة المغرب العربي: الفكرة والتطبيق 1918-1958م، المطبعة المغاربية للطباعة والإشهار، تونس، 2011م، صص. 99-101.

الخطوة لم تكمل بالنجاح. ولنفس الغاية أيضا فكر بعض الشبان المغاربة من تطوان في التوجه إلى سان فرانسيسكو لتمثيل المغرب في أشغاله، إلا أن محاولتهم باءت بالفشل¹.

وتوالى مساعي الحركة الوطنية المغربية لدى منظمة الأمم المتحدة وبعض الفاعلين فيها، غير أن فرنسا كانت تعرقل دوما التحرك المغربي، من مثل ذلك أنها رفعت في 15 شتنبر 1947م تقريرا عن منجزاتها في المملكة المغربية للجنة الوصاية التابعة لهيئة الأمم المتحدة، حاولت من خلاله أن تبرز إسهاماتها في تطور القطر المغربي، بيد أن حزب الاستقلال أجاب عن هذه المناورة الاستعمارية بمذكرة ثانية، وضح فيها مظاهر السيطرة الاقتصادية والسياسية والثقافية والقضائية والميز العنصري الذي يقوم عليه نظام الحماية².

وقد كان لهذه المذكرة صدى كبير في الأوساط الرسمية، إذ نشرتها الأمانة العامة للأمم المتحدة، وشكلت مادة صحفية تناولتها الجرائد الإنجليزية والأمريكية، معتبرة أنها خطوة أولى لعرض المسألة المغربية على الأمم المتحدة، ولبنية أساسية في سبيل الاستقلال. وتبعاً لذلك، أعلنت بولونيا أنها مستعدة لرفع قضية المغرب للأمم المتحدة³. وفي الوقت نفسه عبرت بعض دول أمريكا اللاتينية عن استعدادها لتأييد هذا الملف.

وتعصيذا لمساعي تدويل الملف المغربي، واصل حزب الاستقلال رفع الرسائل والمذكرات للأمم المتحدة بمناسبة انعقاد اجتماعات اللجن التابعة لها، واستثمار اللقاءات والمؤتمرات العالمية للتعريف بمشكلة المغرب، وتقديم الوثائق والتقارير المرتبطة بالموضوع. وفي هذا الصدد بعث الحزب وفدا ضم: عبد الله إبراهيم، وأحمد العلوي للاتصال بوفود الدول المشاركة في مؤتمر الأنباء، الذي انعقد في جنيف. كما بعث وفدا آخر للاتصال بوفود الدول المشاركة في المجلس الاجتماعي والاقتصادي للأمم المتحدة⁴. وكان حزب الاستقلال يركز في كل مذكراته ورسائله ومطالبه الموجهة إلى الأمم المتحدة على أن المغرب كان عبر التاريخ دولة ذات سيادة ظلت تتمتع بالاستقلال التام، كما اعترفت بذلك الدول الموقعة على مؤتمر الجزيرة الخضراء، وأن معاهدة الحماية الفرنسية نصت صراحة على صيانة استقلال المغرب وسيادته، غير أن الإدارة الفرنسية خرقت هذا الالتزام⁵.

1- الوزاني محمد حسن، مذكرات حياة وجهاد، الجزء 6، م. س، صص. 184-188.

2- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية، م. س، صص. 503-504.

3- نفسه، ص 506.

4- نفسه، ص. 507.

5- نفسه، صص. 509-511.

وفي ظرف خمس سنوات 1951م-1955م، عرضت القضية المغربية على الأمم المتحدة خمس مرات، حيث لم تخل دورة من دورات جمعيتها العامة من دراسة موضوع المغرب سواء من حيث الشكل أو من حيث الجوهر، ومهما كانت التوصيات والقرارات التي صدرت عنها، فقد تم تدويل القضية المغربية بالرغم من الجهود التي بذلتها فرنسا والدول الاستعمارية الحليفة لها حتى تظل القضية عبارة عن قضية فرنسية داخلية¹.

لقد أثارت قضية المغرب للمرة الأولى في الأمم المتحدة في الدورة السادسة المنعقدة في أكتوبر 1951م في باريس، حين قدمت عدد من الدول العربية شكوى إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة، اتهمت فيها فرنسا بخرق ميثاق الأمم المتحدة². وبالفعل فقد حظيت قضية المغرب بمناقشات مستفيضة ومرافعات طويلة. واستغرق موضوع تسجيل أو عدم تسجيل الملف المغربي في جدول الأعمال جلستين طويلتين يومي 13 نونبر و13 دجنبر 1951م، حيث تدخل العديد من مندوبي الدول وخاصة من البلاد العربية³، لشرح وجهة النظر المغربية وتسهيل الأضواء على ممارسات إدارة الحماية الفرنسية.

وقد أسفرت هذه المعركة الدولية الشرسة أمام الجمعية العامة⁴ عن كسب القضية المغربية اهتمام سائر الأعضاء. وردت فرنسا على مطالب الوفود المساندة للمغرب بأنها غير ملزمة بتقديم الحساب عن سياستها بالمغرب للأمم المتحدة، وأيدها في ذلك المندوب الأمريكي، الذي أكد أن نقاشا مفصلا لا يمكن أن يكون في صالح المغرب. وبعد أخذ ورد، قررت الجمعية العامة تأجيل النظر في القضية على إثر تبني اللجنة التوجيهية بها مشروع قرار تقدمت به كندا بدعم من الولايات المتحدة وبريطانيا بتأجيل النظر في القضية المغربية إلى دورة لاحقة، وهو القرار الذي صوتت لصالحه 28 دولة مقابل اعتراض 23 دولة وامتناع 7 دول عن التصويت، وبذلك خسرت الدول العربية هذه الجولة⁵، رغم الجهود التي بذلتها في سبيل تبني عرض الملف المغربي.

وقد بذل الوطنيون المغاربة جهودا كبيرة لكسب التأيد الدولي للملف المغربي، حيث قام علال الفاسي برحلات ل مختلف الدول العربية والأسيوية وأمريكا اللاتينية. وقبل موعد انعقاد الدورة السابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة، سافر أحمد بلا فرج الأمين العام لحزب الاستقلال، إلى نيويورك على رأس وفد هام

1- غلاب عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، الجزء 2، م. س، ص. 493.

2- خيرى حماد، قضايانا في الأمم المتحدة، الطبعة الأولى، بيروت، 1962م، ص. 106.

3- غلاب عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، الجزء 2، م. س، ص. 495.

4- غلاب عبد الكريم، قصة المواجهة، م. س، ص 342

5- روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة نقولا زيادة، مراجعة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، 1963م، صص. 442 - 443.

ضم: المهدي بنونة، والمهدي بن عبود، والمهدي المنجرة، ومحمد الغزاوي. وهناك أجرى اتصالات عدة بوفود إندونيسيا وباكستان، وبدعم من وزير خارجية هذه الأخيرة ظفر الله خان حصل على جواز سفر باكستاني، مكنه من الحضور، كعضو في الوفد الباكستاني، في اجتماعات الجمعية العامة واللجنة السياسية للأمم المتحدة رغم احتجاجات الوفد الفرنسي. ونجح بفضل ذلك في توجيه عمل الكتلة العربية الآسيوية في عرض القضية المغربية على الأمم المتحدة.

وقد أسفرت الاتصالات التي أجراها الوفد المغربي عن تزايد الاهتمام بالقضية المغربية في الدول الإسلامية والدول الاشتراكية في أوروبا والدول الإسكندنافية. وعندما اقترب موعد اجتماع دورة 1952م في نيويورك، طلب مندوب العراق محمد فاضل الجمالي، الذي انتخب نائبا لرئيس الجمعية العامة وعضوا في اللجنة التوجيهية¹، يوم 8 غشت 1952م من الأمين العام للأمم المتحدة إدراج قضية المغرب في جدول أعمال الدورة، مؤكدا أن وعود فرنسا بإدخال إصلاحات على سياستها بالمغرب لم تنفذ. وتعزيزا للموقف المغربي، أعدت الكتلة العربية الآسيوية التي كانت تضم 13 دولة ممثلة في الأمم المتحدة، تقريرا قدمته إلى الأمين العام لتوضيح حقيقة الأوضاع بالمملكة وتعت فرنسا في إيجاد حلول للمسألة المغربية.

قصارى القول، فقد عرضت القضية المغربية على الجمعية العامة، رغم محاولات الكتلة الاستعمارية لوأد هذه المبادرة. وردا على ذلك هددت فرنسا بالانسحاب من المنظمة ومن حلف الشمال الأطلسي. ورغم أنها لم تنفذ هذا التهديد، فإنها قاطعت جلسات الجمعية التي انكبت على دراسة الموضوع المغربي². وبعد مناقشات مستفيضة، صدر قرار في شأن المسألة المغربية، قدمت مشروعه مجموعة دول أمريكا اللاتينية، وصوت لصالحه 45 دولة فيما امتنعت 11 دولة عن التصويت. ولم تحصد فرنسا سوى 3 أصوات لصالحها كانت لبلجيكا، وجنوب إفريقيا، واللكسمبورج. وقد دعا القرار الجديد، الذي جاء مؤيدا للمغرب، الحكومة الفرنسية إلى تأمين الحريات الأساسية وفقا لميثاق الأمم المتحدة، ومتابعة المفاوضات الثنائية لتطوير المؤسسات السياسية، مع الدعوة إلى معالجة القضايا بالوسائل الودية والسلمية.

وخلال الفترة ما بين انعقاد الدورة السابعة والدورة الثامنة للجمعية العامة للأمم المتحدة، زادت انتهاكات إدارة الحماية الفرنسية بالمغرب، حيث شهدت الساحة المغربية أحداثا خطيرة بمناسبة المظاهرات التي نظمت تنديدا باغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد في 8 دجنبر 1952م، والتي أسفرت عن سقوط ضحايا واعتقال

1- الدليمي عزام محمد سليم، الإدارة الاستعمارية في المغرب، م. س، ص. 196.

2- نفسه، ص، 445.

العديد من المتظاهرين في الدار البيضاء والرباط وفاس. وفي 20 غشت 1953م أقدمت السلطات الاستعمارية على نفي السلطان الشرعي للبلاد سيدي محمد بن يوسف إلى كورسيكا ومنها إلى مدغشقر، وهي مستجدات اعتبرت في حينها تحديا فرنسيا متعمدا للأمم المتحدة¹.

وفي خريف سنة 1953م، انصبت جهود زعماء الحركة الوطنية على استثمار انعقاد الدورة الثامنة للأمم المتحدة لطرح الملف الوطني من جديد، فقدمت المذكرات لطلب تسجيل القضية المغربية استعداداً لفصح السياسة الاستعمارية. وكان لحزب الاستقلال بزعامة علال الفاسي دور مهم في هذه الوثبة، حيث تمكن من استقطاب المجموعة الأسيوية لتأكيد موقفها المناصر كالعادة للمغرب والدفاع عنه². وقد سبق للكثلة الممثلة لهذه الأقطار في الأمم المتحدة أن دعت أعضاءها إلى اجتماع بعد إقدام فرنسا على نفي السلطان لمناقشة الموضوع، وأصدرت بيانا استنكرت فيه هذا التطور الخطير في الملف المغربي، وشكلت لجنة كلفت بإثارة القضية في الجمعية العامة أو مجلس الأمن³.

ورغم الجهود التي بذلتها الدول الأسيوية والإفريقية للحصول على تأييد بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية للقضية المغربية في مجلس الأمن الذي عقد اجتماعاته خلال الفترة ما بين 26 غشت و13 شتنبر 1953م، فقد فشل هذا المسعى بعد التصويت السلبي لهاتين القوتين، ورفض المندوب الفرنسي إدراج القضية بوصفها شأنا داخليا لا يحق للمجلس مناقشته⁴.

وفي 15 شتنبر 1953م عقدت الجمعية العامة دورتها الثامنة، ودامت الجلسات العامة ثمانية أيام كاملة من 17 إلى 24 شتنبر، عملت خلالها دول عربية وأسيوية وإفريقية على استثمار كل علاقاتها لإصدار قرار لصالح القضية المغربية. وأثناء الاجتماعات، ألقى بعض مندوبي الدول المشاركة في الاجتماع مداخلات دفاعا عن المغرب، لكن الخطاب الأهم كان هو الخطاب الذي ألقاه ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان، الذي ذكر بأن الدولة الحامية لم تقم بأية إصلاحات بالمملكة، ولم تبشر أية مفاوضات، وتمادت في خنق الحريات⁵. كما تقدم بمشروع قرار، باسم المجموعة المؤيدة للملف المغربي، طالب بالإفراج عن المعتقلين، وضمان الحريات

1- روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، م. س، ص. 450.

2- محمود صالح الكروي، دور حزب الاستقلال المغربي في حركة عدم الانحياز، المجلة التاريخية المغاربية، تونس، العدد 75-76، آيار 1994م، ص. 510-511.

3- الديلمي عزام محمد سليم، الإدارة الاستعمارية في المغرب، م. س، ص. 196.

4- نفسه، ص. 197.

5- روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، م. س، ص. 450.

السياسية، وإنشاء مؤسسات تمثيلية ديمقراطية، وبحث إمكانية حصول المغرب على استقلاله. وردا على هذا الموقف، انسحب المندوب الفرنسي من الاجتماع¹.

وفي 19 أكتوبر 1953م، قامت الدول المساندة للمغرب بالتقديم الرسمي لهذا مشروع القرار المشار إليه أعلاه، بتوقيع 11 مندوبا عربيا وإسلاميا، طالبت فيه بإنهاء الأحكام العرفية في المغرب، وإطلاق سراح المعتقلين، وإقرار الحريات العامة. وعند طرحه للنقاش، عارضته العديد من الدول من أمريكا اللاتينية². وبعدها اجتمعت اللجنة السياسية في المنتظم الأممي، وناقشت قضية المغرب والمشاريع المعروضة بشأنها، وعرضت المشروع العربي الأسبوي على التصويت، فتم رفضه³، رغم إحرازه 32 صوتا مقابل معارضة 22، حيث كان من الضروري حصوله على ثلثي الأصوات⁴.

وفي الدورة التاسعة التي التأمت سنة 1954م، تقدمت 14 دولة بطلب جديد لبحث القضية المغربية⁵. وأثناء المناقشات حظي موضوع التطور الذي عرفته القضية التونسية، بعد أن تلقت وعدا من حكومة مانديس فرانس بمنحها حكما ذاتيا باهتمام كبير، وهو الأمر الذي أعطى انطبعا بأن رئيس الحكومة الفرنسية سيحذو نفس النهج في شأن قضية المغرب. وكان مندوب سوريا قد قدم باسم الدول المؤيدة للمغرب مشروع قرار، اعتبره حتى خصوم المسألة المغربية معتدلا، حيث أوصى فقط بإجراء مفاوضات بين الممثلين الحقيقيين للشعب المغربي والحكومة الفرنسية، تكون الغاية منها تحقيق آمال الشعب المغربي وفقا لميثاق الأمم المتحدة ومبادئها. وقد حظي هذا القرار بموافقة الجمعية العامة بأغلبية 39 صوتا مقابل معارضة 15 دولة وامتناع أربعة أقطار.

ونظرا لتماطل فرنسا في مباشرة مفاوضات حقيقية مع المغرب وتأزم الأوضاع العامة بالمملكة بسبب السياسة الاستعمارية، التي أصبحت تنهجها إدارة الحماية خاصة مع انطلاق المقاومة المسلحة التي عمت كافة المناطق المغربية مدنا وقرى، فقد تقدمت الدول العربية والأسبوية في 29 يوليوز 1955م بطلب لدراسة القضية المغربية في الدورة التاسعة للجمعية العامة. وعندما حان الوقت لمناقشة المسألة كان الوضع بالمغرب قد تغير تماما

1- نفسه، ص. 450.

2- نفسه، ص. 447.

3- الدليمي عزام محمد سليم، الإدارة الاستعمارية في المغرب، م. س، صص. 198-199.

4- غلاب عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، الجزء 2، م. س، ص. 506، وكذا: روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، م. س، ص. 454.

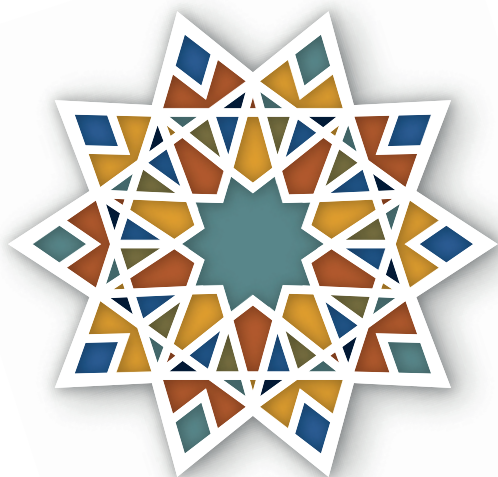
5- غلاب عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، الجزء 2، م. س، صص. 454-455.

على إثر عودة السلطان محمد الخامس من المنفى إلى أرض الوطن، وانطلاق مباحثات إيكس ليان التي توجت بتوقيع اتفاقية استقلال المغرب، لذا فقد تم بالإجماع سحب طلب مناقشة القضية المغربية.

لقد أظهر رجال الحركة الوطنية المغاربة حكمة دبلوماسية كبيرة، مكنتهم من التعريف بقضية المغرب على الصعيد العالمي بدعم من التنظيمات الإقليمية والجهوية والدولية، وتسليط الأضواء على المعاناة التي كان يعانيها الشعب المغربي، الذي عاش طيلة تاريخه متمتعا بحريته واستقلاله. وموازة مع ذلك، آمنت الحركة الوطنية بدورها بضرورة الاهتمام بعمقها العربي والإسلامي، والانشغال بما كانت تعرفه الساحة العربية والإسلامية، حيث انخرط الوطنيون المغاربة منذ سنة 1929م في حملة التضامن مع القضية الفلسطينية على إثر أحداث البراق، وكذا الاحتفاء بأعلام ومبدعين عرب ومسلمين كبار عن طريق تنظيم حفلات تأيينية لهم والاحتفاء بإنتاجاتهم من قبيل أحمد شوقي، وأبي الطيب المتنبي، والشيخ محمد رشيد رضا، ومصطفى صادق الرافعي. كما نسجت علاقات وطيدة مع شخصيات عربية كالعلامة محب الدين الخطيب الذي فتح مجلته الفتح للدفاع عن القضية المغربية ونقل معاناة الشعب المغربي وتعسف السلطات المحتلة، والأمير شكيب أرسلان الذي كان بمثابة الأب الروحي للحركة وملهمها. وفي إطار التفاعل مع القضايا العربية، نظمت كتلة العمل الوطني يوم 9 أكتوبر 1937م تجمعا كبيرا بمدينة الرباط احتفاء بحدث استقلال مصر وسوريا¹. كما احتفى حزب الاستقلال بمناسبة استقلال الهند وباكستان، وأعلن في مناسبات عدة تضامنه مع إندونيسيا في صراعها مع هولندا². وبعد انضمام المغرب إلى منظمة الأمم المتحدة أبدى اهتماما كبيرا بشؤون وأوضاع الدول المستعمرة من إفريقيا وآسيا عبر تحركاته الدبلوماسية داخل المنتظم الدولي، وحمل على عاتقه دعم حركات التحرير الإفريقية والإسلامية.

Mohendis. L, "L'agitation Nord-africaine", Bulletin du Comité de L'Afrique Française, N° 10, Octobre -1 1937, p. 458

2- الفاسي علال، الحركات الاستقلالية، م.س، ص. 490.



خطاب جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه في محاميد الغزلان بين ترسيخ الوحدة الوطنية واستمرارية المقاومة

ذ. محمد امراني علوي

الكلية المتعددة التخصصات - الرشيدية

تقديم

تعد الرحلات والزيارات التي يقوم بها الملوك والسلاطين إلى عدة مناطق، وأجزاء من أراض سلطتهم، أداة تواصل وترابط بين المركز وهذه المناطق، إلى جانب كونها وسيلة أساسية للاطلاع والتعرف على أحوال السكان الاقتصادية، والاجتماعية، بالإضافة، لكونها توجه عدة رسائل، وتحمل العديد من الدلالات، أهمها وجود وتفعيل سلطة السلطات عليها، وتأكيد تبعيتها له، وأحيانا أخرى بهدف توطيد أركان السلطة، وفي أوقات أخرى تكون من أجل تفقد أحوال الرعية، وهذا ديدن الملوك والسلاطين العلويين منذ تمت بيعتهم إلى اليوم، منذ عهد المولى محمد إلى عهد صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، ولذلك لم تكن رحلات وتنقلات المغفور له محمد الخامس وليدة صدفة أو ظاهرة مبتكرة بل عمل أصيل في سياسة الملوك والسلاطين العلويين، لكن ما ميز المغفور له محمد الخامس عن غيره، أنه كان يتحدى الاستعمار، ويقوم بعدة رحلات وزيارات لمناطق من التراب الوطني، سوف تستمر إلى حدود حصول المغرب على الاستقلال، عاملا على إحياء هذه السنة الحميدة، رغم أنها كانت ذات خصوصيات مخالفة في سياقها لما سبقتها. وقد كان من بين الرحلات المتميزة في عهد محمد الخامس رحلة محاميد الغزلان، ذات الدلالات والمعاني الكثيرة، فما هو سياقها ودلالاتها؟ وكيف ساهمت في ربط ماضي المغرب بحاضره، وحاضره بمستقبله؟ وكيف رسخت التوعية الشاملة للاستمرار في الكفاح من أجل استكمال الوحدة الترابية للمملكة؟.

1- محمد الخامس واستراتيجية الزيارات الإقليمية:

اهتم السلطان محمد الخامس بشؤون الأمة المغربية منذ تحمل مسؤولية الحكم في المغرب رغم حداثة سنه، حيث تميز ببعد نظر كبير، ولذلك كثيرا ما اصطدم مع الإدارة الاستعمارية، خصوصا عندما وضع نصب عينه مصالح الدولة والشعب، وهذا ما يستشف من خطابه التاريخي بطنجة عندما قال: «ولنشمل كل النواحي المغربية بكامل رعايتنا، برهنا بالوقوف على كل شؤونها على جميل عنايتنا ما انتقلنا عند كل مناسبة إلى كل جهاتها من مغربها إلى المشرق»¹.

وما ذكر في النص أعلاه كان من بين الأولويات الأساسية في سياسته، لذلك كانت كل الزيارات، والرحلات التي يقوم بها داخل الوطن، أو خارجه، ذات هدف آني. بالإضافة إلى هدف بعيد المدى، يتضح ذلك من خلال رسائل ودلالات تلك الرحلات والزيارات. ولابد من الإشارة إلى بعض المحطات البارزة في هذا المجال إذ نذكر منها على سبيل المثال زيارة السلطان إلى فاس في ماي 1934م، وما عرفته هذه الزيارة من رسائل سياسية قوية جعلت فرنسا تتدخل لتجعل لها حدا مضطرة إلى إيقافها، وذلك لكون أهل فاس نظموا على شرفه مظاهرات سرعان ما تحولت إلى شعارات مناوئة للاستعمار الفرنسي، وقد كان في ذلك للصحافة الوطنية وفي مقدمتها جريدة L'Action du Peuple (عمل الشعب) الدور الحاسم، إذ رحبت بـ «العاهلين المغريين» وكان المقصود بهما محمد بن يوسف ونجله مولاي الحسن، وذهبت هذه الصحافة إلى نعت الأمير الذي لم يكن عمره يتجاوز خمس سنوات بـ «ولي العهد» الشيء الذي كان يحمل أكثر من دلالة². ومضمون هذا الذي ذكرناه يقدم عدة رسائل قوية، متمثلة في الالتحام والاستقبال الشعبي للسلطان وولي عهده مما بين التماسك القوي بين الشعب والسلطان، ثم المناداة بصفة ولي العهد، والتي يفهم منها وجود الاستقرار، وربط الماضي بالحاضر، ثم رفع الشعارات المناوئة للاستعمار، وهي عبارة عن رسائل موجهة للسلطان تطلب منه إحداث قطيعة مع الاستعمار، وتؤكد على مطلب الاستقلال، ولعل هذا ما أزعج السلطات الاستعمارية التي عملت على «توقيف الزيارة ومنع عدد من الجرائد الوطنية في 16 ماي 1934م ... غير أن الإجراءات القمعية لم تعمل إلا على تعزيز مكانة السلطان كعنصر فعال في الحركة الوطنية»³.

1- من نص الخطاب التاريخي الذي ألقاه السلطان محمد الخامس بمدينة طنجة 1947م، مجلة دعوة الحق العدد 316، سنة 2010م.

2- جامع بيضاء، سيدي محمد بن يوسف، السلطان الوطني 1427هـ-1961م، مجلة المناهل عدد 77 - 78، 2006م، ص: 45

3- نفسه، ص: 46.

ولعل هذا ما بين أن هذه الزيارة التي أرادت فرنسا أن تجعل منها أداة صراع وقطيعة بين السلطان وشعبه، جسدت في حقيقة الأمر الارتباط الوثيق بين الشعب والسلطان والالتفاف الكبير حول سلطان البلاد، وإظهار الموقف المعادي للاستعمار وسياسته.

ومن الزيارات السلطانية لبعض المناطق والأقاليم التي حملت عدة دلالات، ووجهت عدة رسائل، ما أشار إليه الأستاذ هاشم العلوي القاسمي أثناء حديثه عن رحلة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى تافيلالت، ماي 1941م¹، والتي قدم لها وصفاً تكنولوجيا منذ انطلاقته بالرباط، إلى وصوله إلى مدينة الريصاني، محاولاً تقديم وصف شامل لمكان استقباله مستنتجاً عدة دلالات وعبر، حيث أكد أن الهدف الأساس منها كان هو محاولة فرض التهدئة مع المستعمر في المنطقة، لكنها في حقيقة الأمر جسدت بعداً وطنياً متمثلاً في قوة سلطة السلطان، ودوره الفعال في فرض التهدئة من خلال تنفيذ أمره، وطاعة أهل تافيلالت له، وهذا ما يجسد الروابط القوية الموجودة بين سكان تافيلالت والسلطان سيدي محمد بن يوسف.

وبعد تقديم الحركة الوطنية، بالتنسيق مع السلطان، وثيقة المطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1944م إلى السلطات الفرنسية مطالبة منح المغرب استقلاله الكامل²، برزت ردود الفعل الفرنسية عليها، بل إظهار مواقفها السلبية تجاه السلطان، ما جعله يستغل الزيارة إلى مدينة طنجة، بل جعل منها محطة لتقديم رسائل دبلوماسية إلى السلطات الفرنسية، وهذا ما يستشف من الإشارات القوية التي قدمها الأستاذ جامع بيضا بقوله «ذلك أن سيدي محمد بن يوسف قد تعمد في خطابه بطنجة (9 أبريل) إغفال العبارات البروتوكولية المنوّهة بدور فرنسا في المغرب، والتي جرت العادة أن يختتم بها خطبه للتعبير عن استيائه لما اقترفه الجنود السنغاليون» من بطش في الدار البيضاء يوم السابع من أبريل³ هذه الزيارة التي اعتبرت تحدياً للدولة الفرنسية⁴ وتجسيدا للوحدة المجالية والترايبية للدولة المغربية، إلى جانب هذا أشار أيضاً في خطابه بطنجة إلى التأكيد على مطلب الاستقلال. من خلال تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال⁵. هذا ما أحدث استياء في العلاقة بين السلطان والإقامة العامة، كرد فعل منها على ما قام به وما وجهه من رسائل سياسية داخليا وخارجيا، ولعل هذا ما بين أن السلطان كان

1- نص مداخلة الأستاذ هاشم العلوي القاسمي أثناء الدورة السابعة عشرة لجامعة المولى علي الشريف، حول السلطان سيدي محمد بن يوسف، القدرة الافتتاحية، بمدينة الريصاني، 16-17 نونبر 2012م.

2- محمد امراني علوي: وثيقة 11 يناير وترسيخ مفهوم الوطنية والمواطنة، مطبعة الودغرين طبعة أولى، الرشيدية 2011م. وحيثيات وإبعاد ودلالات تقديم وثيقة منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير طبعة ثالثة، 2011م، ص: 121.

3- جامع بيضا، مرجع سابق، ص: 493

4- محمد المقراري: تكنولوجيا مسيرة التقرير بقيادة جلالة الملك محمد الخامس مجلة دعوة الحق، عدد 398، 2010م، ص: 25.

5- انظر نص الخطاب الذي ألقاه السلطان محمد الخامس بمدينة طنجة سنة 1947م، مجلة دعوة الحق، العدد 398، سنة 2010م.

يختار الأوقات والأماكن المناسبة التي يوجه فيها الرسائل الدبلوماسية لفرنسا أساسا، بالإضافة إلى القيام ببعض الأعمال التي تستنتج منها كذلك رسائل كثيرة جدا، ودلالات وعبر.

لم يتوقف السلطان عن استراتيجيته هذه، فحتى بعد حصول المغرب على الاستقلال، ومع بقاء بعض الأجزاء الأخرى تحت الاستعمار، فإنه وجه عدة رسائل كثيرة من خلال زيارته لعدد من الأماكن، ففي سنة 1956م توجه جلالة السلطان إلى المنطقة الشمالية واضعا حدا لمرحلة الانقسام مؤكدا على توحيد المغرب بربط الشمال المغربي بجنوبه، بعد التفاوض مع الدولة الإسبانية واعترافها بوحدة المغرب الترابية¹.

وفي نفس السياق الذي تمت فيه هذه الزيارة، تمت أيضا زيارة السلطان إلى محاميد الغزلان، سنة 1958، فما هو سياق وحيثيات هذه الزيارة؟

2- سياق وحيثيات زيارة محاميد الغزلان:

أ- سياق الزيارة:

إذا انطلقنا من الخطاب التاريخي الذي وجهه السلطان في طنجة، والذي أكد فيه أن الزيارة تأتي في سياق إظهار العناية والرعاية التي يوليها لجل المناطق المغربية، والوقوف على شؤونها، فننرجع بل الأكيد أن زيارة السلطان إلى محاميد الغزلان لم تخرج عن هذا السياق، بالإضافة إلى أمر آخر متمثل في زمن الزيارة الذي يمثل استقلال جزء كبير من المغرب، وكون المدينة توجد على حدود منطقة محتلة من طرف الإسبان، ولعل إلقاء الخطاب السلطاني بمحاميد الغزلان له دلالة أساسية في هذه الفترة، خصوصا وأن مضمون الرسائل الموجهة كانت تحمل إشارات دبلوماسية مباشرة إلى سلطات الاحتلال الإسباني.

ولعل حيثيات الاستقبال الملكي، وظروف الاستعداد المحلي لاستقباله تعتبر رسالة واضحة إلى كل الأطراف، خاصة الدول المحتلة لباقي الأجزاء المغربية الأخرى، والتي يمكن أن نستنتج منها:

1- التشبث والارتباط القوي بالعرش المغربي والالتفاف حوله.

2- ارتباط المناطق المحتلة -الصحراء المغربية- بالعرش نظرا للمشاركة الفعالة لوفود القبائل الصحراوية في الاستقبال الذي خصص للسلطان بمحاميد الغزلان.

ب- حيثيات الزيارة لمحاميد الغزلان:

لا يمكن وصول جلالة السلطان إلى محاميد الغزلان إلا مروراً بورززات وزاكورة، المنطلق الأساسي لمحاميد الغزلان، وهذا ديدن السلطان لكونه يتفقد عددا من الرعايا في عدد من المدن والمناطق، التي يمر منها

1- محمد المغراوي، م.س ص: 31، ومحمد العلي: محمد الخامس وتاريخ استقلال المغرب.

وبذلك يمكن القول، إن زيارة محاميد الغزلان بدأت بوصول السلطان إلى ورززات يوم السبت 24 فبراير 1958م، حيث قدم وصف كامل لهذه الرحلة وبكل التفاصيل ضمن سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال 1958م الوثيقة السادسة، بعنوان يرسخ مبدأ الوحدة الوطنية، وارتباط الصحراء بالوطن الأم، تحت عنوان: «الصحراء المغربية تستقبل جلالة الملك بحفاوة عظيمة»، فأشارت أنه خلال وصول جلالة الملك المعظم إلى ورززات كان الموكب الملكي يمر وسط آلاف المواطنين الذين هبوا من مختلف النواحي لتحيته والتهنئة بحياته، وكان جلالته ينزل من سيارته كلها وصل قرية من القرى ليرد على تحية سكانها، وفي مكان بعيد عن ورززات بخمسة عشر كيلو متر كان في استقبال جلالته السيد ادريس المحمدي وزير الداخلية، الذي جاء خصيصا لهذه المهمة على متن الطائرة من الرباط.

ولما وصل جلالة الملك إلى ورززات في الزوال، كان السكان بأجمعهم في انتظاره، وكانت المدينة مزينة بالأعلام وأقواس النصر، واللافتات والزرايب الجميلة، وهناك ركب جلالة الملك على متن سيارة جيب وقطع بواسطتها مسافة عشر كيلومترات الفاصلة بين ورززات وفندق «جي ديطاب» التابع لوزارة الأنباء والسياحة، وقد استقبل هناك جلالة الملك السيد أحمد رضا كديرة وزير الأنباء والسياحة، وسر جلالة الملك عند وصوله إلى هذا الفندق خصوصا عندما وجد في استقباله وفدا يتكون من خمسين عاملا، وقد استفسر جلالته عن أحوالهم وعلم بهذه المناسبة أنهم يعملون في جو ودي للغاية، وأن لهم علائق طيبة مع مديري المناجم¹، وتضيف السلسلة أن السلطان بعد تناول وجبة الغذاء مع الأسرة الملكية، وعند الساعة الخامسة مساء توجه لزيارة مستشفى ورززات حيث استقبل من طرف الدكتور فيكورو، كما زار أيضا معرض الصناعة التقليدية حيث أعجب أشد الإعجاب بالزرايب الجميلة ذات الصنع المحلي، وشجع الصناع على متابعة العمل في طريق التجديد الظاهر على إنتاجهم، ليتناول وجبة العشاء في حفلة أعدها عامل ورززات السيد مولود النعيمي².

أما يوم 26 فبراير 1958م فقد كان يوما مهما في تاريخ الصحراء المغربية، وسكان محاميد الغزلان، حيث ألقى جلالته خطابا هاما، عنوانته سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال سنة 1958م بعنوان «صاحب الجلالة يؤكد أمام آلاف الصحراويين بالمحاميد، سنعمل كل ما في وسعنا لاسترجاع صحرائنا وكل ما هو ثابت لمملكتنا بحكم التاريخ»³، بل من الأحداث المهمة التي قام بها السلطان في هذه الزيارة، وخاصة بهذه المناطق الجنوبية، البوابة والمنطلق الأساس لاسترجاع باقي المناطق المحتلة، ترأسه لمجلس وزاري مصغر بمدينة زاكورة، ما حولها

1- سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال، 1958م، م س، ص: 33.

2- نفسه، ص: 34.

3- نفسه، ص: 34 وسنفردها عنوانا خاصا لهذا الخطاب ضمن هذه الدراسة يتم فيه تحليل مضامين الخطاب مع بيان الدلالات والعبر المستوحاة منه.

إلى عاصمة للدولة، ولو خلال هذا اليوم مما يعطيها دلالات سياسية بليغة كونها وجهة رسائل قوية، أو رسائل دبلوماسية مهمة لعدد من الأطراف، وبعد الانتهاء من أشغال هذا المجلس توجه السلطان مصحوبا بولي العهد والوزراء لتدشين مسجد محمد الخامس بزاكورة، وقد أقيمت حفلة بحضور جماهير غفيرة من سكان الناحية الذين ابتهجوا كثيرا للقيام بتدشين بيت الله هذا، حيث كانت مدينتهم في أشد الحاجة إليه¹. وتابع الموكب مسيرته نحو تدشين المستشفى الجديد بهذه المدينة، بحضور الدكتور فرج وزير الصحة والدكتور فيكتورو طبيب إقليم ورززات².

ومن خلال هذا الوصف لمسار الرحلة الملكية منذ وصوله إلى مدينة ورززات، إلى حين تدشينه لمستشفى زاكورة، ومسجد محمد الخامس، يمكن أن نستنتج أن جلالة السلطان محمد الخامس، كان حريصا على القيام بأعمال لها مدلولات سياسية كبيرة جدا، تمثلت في الاهتمام القوي الذي يوليه السلطان للشعب، وذلك من خلال ترسيخ فكرة خدمة واهتمام الدولة بالشعب من خلال تدشين المستشفى بزاكورة، وزيارة مستشفى ورززات وتأكيد على الاهتمام بالمستشفى بشكل أكبر، بالإضافة لكونه قدم رسالة أخرى تبين البعد الديني والروحي للدولة المغربية بتدشينه لمسجد محمد الخامس، باعتبار المغرب قلعة من قلاع الإسلام، أما عقده لمجلس الوزراء المصغر، فقد حمل هذا العمل بعدا سياسيا كبيرا، وذلك باعتبار زاكورة والصحراء المغربية قاعدة مغربية تحولت إلى عاصمة للدولة ولو خلال هذا اليوم، ما أكد العمق والارتباط بين الصحراء وباقي أجزاء المغرب. وهذا ما وضحه الخطاب الملكي أمام الجماهير الصحراوية بحاميد الغزلان، بل مشاركة آلاف الصحراويين في الاستقبال المنظم لجلالته في الحاميد، مع تأكيد بيعة قبائل الصحراء لجلالته في هذه المدينة، جسد الارتباط القوي والمتجذر لدى قبائل الصحراء تجاه السلطان، والدولة المغربية، بالإضافة إلى كونها محطة تاريخية هامة ربطت الحاضر بالماضي، وذلك بتأكيد على أنها استمرارية لزيارة السلاطين العلويين لمناطق الصحراء وخاصة مولاي الحسن الأول. في الوقت الذي عملت على ربط الحاضر بالمستقبل، بإشارته إلى ما سيقوم به من أجل الحصول على الاستقلال، والعمل على توفير السعادة والهناء، والرخاء الاقتصادي، لأبناء هذه المناطق والشعب المغربي.

3- خطاب محاميد الغزلان الدلالات والعبر 26 فبراير 1958م.

أكد صاحب الجلالة أمام آلاف الصحراويين بالمحاميد بالقول: «سنعمل كل ما في وسعنا لاسترجاع صحرائنا وكل ما هو ثابت لمملكتنا بحكم التاريخ». وفي جو من الحماس والابتهاج ألقى الملك محمد الخامس خطابا سياسيا مهما، أكد فيه أن جنباه الشريف سيعمل كل ما في وسعه لجمع شتات أجزاء صحراء المغرب الكبرى،

1- سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال، م.س، ص: 35-36.

2- نفسه.

إلى أم الوطن، وانتشالها من ربقة الاستعباد حتى تتمتع بحياة حرة هادئة تحت ظل العرش المغربي العتيد، وفيما يلي نص خطاب جلالة الملك.

«الحمد لله

رعايانا الصحراويين الأوفياء، لقد كان من الأماني العزيزة علينا أن نزور هذا الجزء من الصحراء المغربية ونجتمع بساكنيه لنشعرهم بما نوليهم وإياها من الاهتمام ولنحيي سنة حسنة جرى عليها ملوك المغرب من قديم، فقد كان من عاداتهم المألوفة أن يقوموا بزيارة الصحراء بين الحين والحين معترفين متفقدين لامين الشعب قاضين الحاجات، ناظرين في مصالح الرعية ساعين فيما يعود عليها بالخير العميم، وإن آخرهم وصولا إليها جدنا المنعم مولاي الحسن الذي بلغ إليها مرتين، ليؤكد وحدة المغرب وسيادة سلطته الشرعية على سائر أطرافه عندما بدأت المطامع الأجنبية فيها تخرج الأعناق.

ولقد تيسرت اليوم -ولله الحمد- الأسباب لتحقيق أمنيته القديمة وسنحت الفرصة لإحياء تقاليد سلفنا المجيد فجئنا إلى مطالع الصحراء ومن حق ساكنيها علينا أن نجئي، فدرسنا شؤون كل مكان حللنا فيه، أو مررنا به في الطريق، واستمعنا إلى المطالب والرغبات ونحن عاملون على تحسين أحوالكم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية وإنالكم حظوظكم من بركات الاستقلال وخيرات الحرية.

وإن مما يسعدنا أن يستقبلنا في قرية المحاميد التي هي باب صحراء المغرب، أبناء الذين استقبلوا جدنا في قرية أخرى من الركيبات وتكنة وأولاد دليم وسواها من قبائل الصحراء الشنقيطية، وأن نستمع إليهم ومعهم فقهاؤهم وأدباؤهم، وهم يؤكدون لنا كما أكد أبائهم لجدنا تعلقهم بالعرش العلوي واستمسكهم بعروة المغرب الوثقى التي لا انفصام لها، وإننا نحى نفوسهم الأبية وعزوماتهم القوية، ونرحب بهم في وطنهم وبين أهلهم وعشيرتهم ونؤكد لهم بدورنا ولبيلغ الشاهد منهم الغائب أننا سنواصل العمل بكل ما في وسعنا لاسترجاع صحرائنا وكل ما هو ثابت لمملكتنا بحكم التاريخ، ورغبات السكان، وهكذا نحافظ على الأمانة التي أخذنا أنفسنا بتأديتها كاملة غير ناقصة ألا وهي ربط حاضرننا بماضيها، وتشديد صرح مستقبل مزدهر ينعم فيه جميع رعايانا بالسعادة والرفاهية والهناء، رعايانا الصحراويين الأوفياء، إن هذه الرحلة وما تخللها من شواهد الولاء والإخلاص، ستبقى صورتها منطبعة في ذهننا وصداها قويا على أن نحقق لأهل الصحراء آمالهم التي هي آمالنا وآمال كل مغربي حر ينشد لأمتة حياة المجد والفخار والله الموفق للصواب»¹.

1- سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال، م.س، ص: 34 - 35.

إن هذا الخطاب يحمل العديد من الدلالات، ويمكن أن يستنتج منه العديد من الرؤى الاستراتيجية لسياسة السلطان محمد الخامس، بالإضافة إلى بعث العديد من الرسائل السياسية للمجتمع الدولي آنذاك، وللقوى الإمبريالية التي مازالت تحتل بعض مناطق المغرب ومنها الصحراء المغربية، ويمكن أن نحدد بعضها فيما يلي:

1- تأكيد الخطاب على الوحدة المجالية للدولة المغربية، محاولا ربط تاريخها الماضي بحاضرها، مستشرفا المستقبل، حيث اتضح هذا من خلال إشارته إلى أن هذه الزيارة جاءت في إطار إحياء سنة حميدة دأب عليها ملوك الدولة العلوية، الذين كان من عاداتهم القيام بزيارة للصحراء لتفقد رعاياهم بها، مؤكدين بذلك وحدة المغرب، وسيادة سلطته الشرعية على سائر أطرافه، منذ أن بدأت الأطماع الأجنبية تتجه نحو البلاد، وبذلك فقد حاول إبراز الحق التاريخي للدولة المغربية في صحرائها، وسلطته عليها في الماضي، مشيرا إلى العمل على تحريرها واستقلالها لتصبح مثل باقي المناطق المستقلة، بقوله في خطاب محاميد الغزلان «أنا سنواصل العمل بكل ما في وسعنا لاسترجاع صحرائنا، وكل ما هو ثابت لمملكنا بحكم التاريخ وورغبات السكان».

2- ارتباط سكان الصحراء بالدولة المغربية في إطار من الاستمرارية، وذلك من خلال الإشارة إلى تأكيد سكان المنطقة بالبيعة، كما أكد آباؤهم للسلطان مولاي الحسن الأول، وتعلقهم بالعرش المغربي، وهذا ما تجسد من خلال استقبال السلطان أثناء هذه الزيارة لممثلي وشيوخ وأبناء القبائل الصحراوية وتلقي بيعتهم وولاءهم، ولعل هذا ما يستشف من العبارات الواردة في الخطاب السلطاني من قبيل قوله: «رعايانا الصحراويين»، إلى جانب ذكر أسماء بعض القبائل الصحراوية التي بايعت السلطان خلال هذه الزيارة لتأكيد استمرارية بيعتها للعرش العلوي، بعدما بايع آباؤهم وأجدادهم جد السلطان الحسن الأول، وقد ذكر الركيات وثكنة وأولاد دليم، وقبائل الصحراء الشنقيطية، لعل هذا ما يبين الارتباط التاريخي القوي الموجود منذ القديم بين سكان الصحراء والسلطين والملوك المغاربة، إلى جانب الاستقبال الحماسي الذي جسده أبناء الصحراء للسلطان محمد الخامس، وهذا ما أكدّه الحاج النعماني البالغ من العمر 86 سنة 2014م في تصريح لوكالة المغرب العربي للأنباء «شرعنا لعدة أسابيع في الاستعداد لاستقبال الموكب الملكي. كنا نود رؤية محرر البلاد عن قرب والاحتفال بالاستقلال الذي تم تحقيقه قبل سنتين من تاريخ الزيارة».

3- يعتبر الخطاب الملكي في محاميد الغزلان، رؤية مستقبلية لبناء الوطن، وتوحيد مجالته الجغرافي، والدعوة لتحرير ما تبقى من المناطق المحتلة، بمحاميد الغزلان بوابة الصحراء، وبحضور أبناء المناطق المحتلة بقوله: «سنواصل العمل بكل ما في وسعنا لاسترجاع صحرائنا، وكل ما هو ثابت لمملكنا بحكم التاريخ وورغبات السكان، وهكذا سنحافظ على الأمانة التي أخذنا على أنفسنا بتأديتها كاملة غير ناقصة»، ولعل هذا ما يمكن أن نستشف منه أن السلطان يتعهد بالاستمرار في المقاومة، وربط المناطق الجنوبية بالشمالية، وبالتالي تحطيم الحدود المصطنعة بين

أجزاء الدولة المغربية مشيراً إلى تبليغ الحاضر من سكان الصحراء الغائب منهم، ولعل هذا ما سيتحقق مع الملك الراحل الحسن الثاني، في استكمال الوحدة الترابية للمملكة بتنظيم المسيرة الخضراء، وتلقي بيعة سكان واد الذهب.

4- يمكن اعتبار هذا الخطاب وثيقة تعاهد بين السلطان وسكان الصحراء، الذين بايعوه كما بايع آبائهم جده الحسن الأول في الوقت الذي أكد على مواصلة النضال من أجل تحرير بلادهم وربطها بالمجال المغربي، والعمل على إسعادهم وتحقيق الرفاهية لهم.

5- يعتبر الخطاب الملكي بحاميد الغزلان إعلاناً عن نهاية تجزئة الدولة المغربية وتقطيع أوصالها، إلى ثلاث مناطق احتلال، وذلك بالتأكيد على ربط كل المجالات المغربية ببعضها البعض، وتوحيد الشعب المغربي قاطبة تحت قيادة موحدة تجسدت في البيعة التاريخية لسكان الصحراء للعرش المغربي.

6- يبقى الخطاب الملكي في محاميد الغزلان وثيقة تاريخية مهمة جداً، تجسد جزءاً من تاريخ الصحراء في ارتباطه بالتاريخ المغربي، بالإضافة إلى كونه محطة أساسية في إعطاء تصور للمغرب الجديد للمساهمة في ترسيخ مفهوم الوطنية المغربية، المبنية على الحقائق التاريخية والشواهد الدالة للارتباط العميق بين الصحراء المغربية وباقي أجزاء التراب المغربي تاريخياً وشعبياً ومجالياً.

خاتمة:

لا يمكن اعتبار زيارة السلطان المغربي محمد الخامس لمحاميد الغزلان محطة تاريخية عابرة فقط، بل تعتبر محطة مهمة في ترسيخ الوعي التاريخي لدى المغاربة وجيل المستقبل بشكل أساسي، لأن معرفة تاريخ الوطن، وأحداثه ودراساتها بوعي مع استحضار المقومات الوطنية تسهم في التمسك به، وترسيخ الوطنية الحقيقية، التي بدأت تفقد لدى البعض للأسف الشديد نظراً للجهل المطبق بتاريخ الوطن ومقوماته، لأن من يجهل شيئاً يعاديه، ومن يعرفه يتمسك به، لذلك فلا بد من اعتبار زيارة محاميد الغزلان محطة تاريخية لها أهميتها في صناعة تاريخ المغرب المعاصر، ورؤية مستقبلية لبنائه وتطوره، مما يستوجب تخصيص دراسات، ومؤلفات حولها، حتى يتم التعرف عليها واستنباط الدروس والعبر المستوحاة منها، بالإضافة إلى ربط ماضي هذه الأمة بحاضرها، من أجل المساهمة الفعالة في بناء مستقبلها، وذلك بمساهمة كل المعنيين في ذلك من أساتذة وباحثين وإعلاميين وبرامج دراسية بكل أسلاكها، إلى جانب دور جمعيات المجتمع المدني في الانخراط في ترسيخ الوعي لدى المغاربة، وخاصة الوعي التاريخي والتعريف بتاريخ هذا الوطن. وبكل المحطات الأساسية المؤثرة والفاعلة في صناعة أحداث التاريخ الوطني، بهدف تخرّيج وصناعة الإنسان الواعي والمتشبث بوطنه، والمتطلع والعارف بكيّنونات تاريخه وأحداثه حتى يصبح العنصر المساهم في ترسيخ وتبني الوطنية الصادقة والواعية بفقه واقعها.

المصادر والمراجع

- من نص الخطاب التاريخي الذي ألقاه السلطان محمد الخامس بمدينة طنجة سنة 1947م مجلة دعوة الحق العدد 316، سنة 2010م.
- جامع بيضاء: سدي محمد بن يوسف، السلطان الوطني 1427هـ-1961م مجلة المناهل عدد 77 - 78، 2006م.
- نص مداخلة الأستاذ هاشم العلوي القاسمي أثناء الدورة السابعة عشرة لجامعة المولى علي الشريف، حول السلطان سيدي محمد بن يوسف، الندوة الافتتاحية بمدينة الريصاني، 16-17 نونبر 2012م.
- محمد امراني علوي: وثيقة 11 يناير وترسيخ مفهوم الوطنية والمواطنة، مطبعة الودغيرين طبعة أولى، الرشيدية 2011م.
- محمد امراني علوي: حيثيات وأبعاد ودلالات تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير طبعة ثالثة، 2012م.
- محمد المغراوي: كرونولوجيا مسيرة التقرير بقيادة جلالة الملك محمد الخامس مجلة دعوة الحق، عدد 398، 2010م.
- انظر نص الخطاب الذي ألقاه السلطان محمد الخامس بمدينة طنجة سنة 1947م، مجلة دعوة الحق، العدد 398، سنة 2010م.
- محمد العلبي: محمد الخامس وتاريخ استقلال المغرب، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الثالثة، الرباط، 2011م.
- سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال، 1958م.

في ذكرى ثورة الملك والشعب السلطان محمد الخامس العالم والمفكر المصلح رائد النهضة الأدبية وباني المغرب الحديث

ذة. سعيدة العلي

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس

من الذكريات التي يعتز بها المغاربة ويعدونها فخرا لهم ذكرى «ثورة الملك والشعب» التي جسدت بذور الكفاح الوطني، ووطدت للثورة على المستعمر الفرنسي الذي قام بنفي جلالة الملك المغفور له السلطان محمد الخامس طيب الله ثراه رمز النضال والجهاد، فغمرت الثورة كل أنحاء البلاد، حيث توحدت من خلالها الصفوف في تلاحم تام بين العرش والشعب، وأصبح النضال وسيلة للتحرير والانعقاد من ظلم المستعمر المستبد. ففي زوال يوم 20 غشت 1953م طوقت الإقامة العامة الفرنسية القصر الملكي العامر بالرباط تنفيذا لأمر السلطات الفرنسية القاضي بنفي جلالة المغفور له محمد الخامس رحمه الله إلى جزيرة كورسيكا الفرنسية تمهيدا لنقله إلى مدغشقر.

وكان هذا العمل من طرف المستعمر مساومة لجلالته للتخلي عن الوطن والتفريط في مصير الشعب المغربي.

يقول جلالة الملك المغفور له الحسن الثاني مبينا تكالب المستعمر وتهديداته للمغفور له السلطان محمد الخامس: « كان » يساومنا على أن نرضى بالدينية في وطننا، ويراودنا على أن نرهن مصير الأمة في عبودية مستمرة... مستعملا لذلك أنواع التهديد...»¹.

1- كتاب «محمد الخامس فكرة وعقيدة» بمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاة السلطان محمد الخامس / 1961م.

وفي أول خطاب لجلالة الملك محمد السادس بمناسبة ذكرى «ثورة الملك والشعب» قال حفظه الله وسدد خطاه: «وبفضل صموده -أكرم الله مثواه- وما لقي من مساندة قوية بلورها الشعب الأبى في افتداء ملكه جعل تحرر المغرب رهينا بعودة ملكه الشرعي ورمز سيادته، فشلت المؤامرة وعاد الملك المجاهد يحمل بشري انتهاء عهد الحجر والحماية وبزوغ فجر الاستقلال»¹.

وبمشاعر الفخر والاعتزاز نالت شخصية السلطان المغفور له محمد الخامس بطل التحرير اهتمام العديد من الباحثين المغاربة وغيرهم في حياته وبعد مماته، وحظي بشرف التكريم والتعظيم من طرف شعبه الوفي الذي نال حبه وتقديره، وسجل أعلام المؤرخين والأدباء صفحات مشرقة -عن حامي البلاد ورمز وحدة المغرب من شماله إلى جنوبه- معبرة عن سمو همته في سبيل تحرير وطنه وتضحيته بالغالي والنفيس، فبالرغم من ذلك رفعة فاقت الأنجم:

سموت فكانت دونك الأنجم الزهر وفقت فلا شمس هناك ولا بدر

وجاوزت آفاق الجلالة رفعة فدانت لك الدنيا وطاوعك الدهر²

وفي ظل هذه الصفحات نكتشف من جانب آخر الدور الفعال لجلالته في إحداث نهضة علمية وأدبية بعد ركود دام عقوداً، بل من إيجابيات جلالته شخذ الهمم على قرض الشعر وإلقاء الخطب الحماسية مما أوجد نقلة نوعية في فنون الأدب لم يكن للمغرب عهد بها.

إن عرض الأحداث والوقائع عمل أساسي في تسجيل أطوار المقاومة والتوثيق لها. لقد استطاعت النصوص الأدبية المواكبة للأحداث الوطنية تصويرها وقامت القصيدة بدورها فعالة، سريعة التطور، شعبية إلى أبعد حد، ومن ثم نقول كيف نفسر خصوصية الفعالية لهذا الانتشار الذي أصبح فرضية حتمية تؤكد التحام العرش بالشعب في سبيل تحرير ونهضة المغرب من قوى الاستعمار.

وانطلاقاً من هذا سنحاول عرض بعض الجوانب من شخصية المغفور له السلطان محمد الخامس عن طريق جملة من النصوص التي رافقت تحولات المجتمع المغربي³ على عهده منذ اعتلاء جلالته عرش أسلافه الكرام.

1- دعوة الحق: ج. 354، ص: 37، السنة: 2000م.

2- من قصيدة لعلال الفاسي / انظر الديوان: 98/1.

3- لقد كانت الانطلاقة الرسمية لعمل الحركة الوطنية عام: 1930م والتي حققت نقلة نوعية عام: 1944م؛ لتأتي حركة المقاومة والفداء عام: 1953م والتي كانت نتيجاً للتطور الداخلي الذي عرفته الحركة الوطنية، وفي العالم العربي تم تأسيس الجامعة العربية 1945م، ومكتب المغرب العربي بالقاهرة عام: 1947م وتأسيس لجنة تحرير المغرب العربي بالسنة نفسها برئاسة محمد عبد الكريم الخطاطي، والثورة المصرية 1952م.

لقد كان العزم موطدا على التخلص من الاستعمار وهذا لن يكون إلا بأمرين:

أولاً: طريق الإصلاح الداخلي، وثانياً: طريق المقاومة المسلحة، وبالتالي فإن هذا لن يتم إلا بالبحث عن مراكز الضعف في الأمة وتقويتها كي تكون قادرة على مواجهة الدخيل القوي، لذا كثرت الخطب وانبرت الأقلام للدعوة إلى الوحدة الوطنية وإلى العلم والتعلم والرجوع إلى الدين الصحيح.

وتجمع مصادر عدة أن جلالة السلطان المغفور له محمد الخامس كانت له اليد الطولى في الدعوة إلى الإصلاح وإلى التعلم؛ لأنه «كان عالماً فقيهاً فصيح اللسان مما ساعده على إقناع شعبه ودهاقنة الاستعمار والمحافل الدولية والعالم أجمع بعدالة قضية بلاده».

وكما عرف بموسوعيته، عرف بجمعه بين الأصالة والتجديد، وبحرية الفكر والمجاهرة بالدعوة إلى التعليم وفتح أبوابه أمام الفتيات والفتيان¹ ضمن برنامج عام يهتم بالتأليف والمؤلفين، وبالدراسات والبحوث القديمة والحديثة، ويعمل على نشر المؤلفات وجعلها في متناول العلماء².

وقد كان لخطبه وقع خاص على قلوب المغاربة، سواء في الداخل أو الخارج، فكان إماماً خطيباً يتولى صلاة الجمعة كما فعل في طنجة بالجامع الكبير عام: 1947م³.

وفي خطبته البليغة ببلدية باريس: 1931م ما جعله محط تقدير سواء أمام كبار موظفي الدولة الفرنسية أو في تبني القضية المغربية من طرف الجامعة العربية أو في غيرها من المحافل الدولية⁴.

بالإضافة إلى هذه الخطب السلطانية وما تحويه من دلالات دينية وسياسية، فقد كانت لجلالة السلطان المغفور له محمد الخامس مجالس أدبية، صدرت عنها قصائد متعددة مرتبطة بمناسبات كثيرة، ولعل أهم هذه المجالس:

1- انظر الدرر الفاخرة لابن زيدان، ص: 215- 216.

2- كان جلالته محبا للتراث بلده وإحيائه، ففي برنامجه الإصلاحي «كان حرصه الشديد على طبعه ونشره، يكتتب كتاب وأدباء المشرق خفية حيث يشرح لهم أوضاع المغرب، ويطلب منهم الاهتمام بتحقيق ونشر التراث المغربي محبذا ومقترحا أن يتركوا في هذه العمليات بعض كتاب المغرب وأدبائه من الشباب حتى يكون ذلك مبررا لإدخال ذلك التراث بعد نشره - إلى المغرب»، انظر مقال: محمد الخامس وتراث المغرب الثقافي، للطاهر مكي/ دعوة الحق، ص: 92، س: 10/1386هـ/1966م.

ومن التراث الذي أوصى بطبعه «كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب» لعبد الواحد المراكشي، وهو كتاب لا تخفى قيمته العلمية على أي دارس في التاريخ والأدب والأخبار وما إلى ذلك. انظر الدرر الفاخرة لابن زيدان، ص: 171 إلى 187.

3- انظر دعوة الحق: ع4/ 47/ س: 10/1386هـ/ 1967م مقال بعنوان: عناية الدولة العلوية بالكتاب والسنة.

4- انظر المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية/ آسية الهاشمي البلغيثي: 132/2 - 135.

1. حفلات عيد المولد النبوي: كانت هذه المناسبة وسيلة لإلقاء الأشعار الإصلاحية، وهذه الاحتفالات تبدأ من فاتح ربيع الأول وتنتهي ليلة الحادي عشر منه، ففي المساجد والزوايا يكون المنشدون للأوراد ولهمزية وبردة البوصيري. «وترن مدائح الرسول ﷺ»، وفي الليلة الأخيرة يقام مهرجان شعري تلقى فيه القصائد أمام السلطان باعتباره يمثل الشجرة النبوية، والسلالة الشريفة، فيمجد لإحيائه الدين، وصونه من عبث العابثين وبعد استعراض سيرة الرسول ﷺ تختم القصيدة بالثناء على السلطان، قال المدني الصفار:

يا سعدنا بنينا الهادي الذي منه الإمام المرتضى الحاج
سلطاننا محي الشريعة من إلى أوج الكمال غدوه ورواح¹

2 - حفلات صحيح البخاري: كانت تعقد نختم المجالس العلوية الرمضانية والتي عرفت تطورا في عهده فأصبحت ذات طابع نضالي وطني، وأصبحت القصائد التي تلقى في حضرته موسومة بهذا الطابع شكلا ومضمونا، بالتصريح تارة وبالتلميح أخرى².

3. حفلات عيد العرش: هذه الحفلات تعد مجالس أدبية رائعة مطبوعة بالنضال الوطني شكلا ومضمونا بل كانت مهرجانا وطنيا تلقى فيه الخطب وتنشد القصائد الحماسية الرنانة، وتنشر المقالات السياسية والوطنية الداعية إلى الثورة والكفاح ضد الاستعمار «ولم يكن يتجرأ على ذلك إلا قادة الحركة الوطنية وهم أئمة علماء المغرب وأقطاب مجالسه مما تخض عن وجود ما يسمى بأدب العرشيات: الذي برز كفن وغرض قائم بذاته، فكان يلهب مشاعر المواطنين، ويعبر عن آمالهم وتطلعاتهم المشتركة الموجودة...»³.

وشمل أدب العرشيات فنونا عدة: خطب ومقالات وقصائد في الشعر الفصيح والموشح والزجل والمسرحيات والقصص وغير ذلك مما «شكل نوعا أدبيا متميزا سواء من حيث نشأته وطبيعته أو من حيث مواضعه ومقاصده ذلك أنه بعيد عن غرض المدح التقليدي الذي يتخذ المادح مطية للكسب والارتزاق»⁴.

وكان الاحتفاء بعيد العرش مناسبة لاتصال العرش بالشعب من جهة، ومن جهة أخرى وسيلة لتباري الأدباء في فنون القول.

1- عن كتاب اليمن الوافر، لابن زيدان: 100/1 والبيتان للمدني الصفار/انظر الشعر الوطني المغربي في عيد الحماية د. إبراهيم السولامي، من ص: 88-89 ط 1.

2- المجالس العلوية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة، ص: 136-137/آسية البلغيثي.

3- الشعر الوطني في عهد الحماية. د. إبراهيم السولامي ص: 112 / ومجلة المناهل، ع: 36 / ص: 437، شعر العرشيات لعبد الواحد بنصبيح.

4- مجلة المناهل / العدد السابق، ص: 437 - 439.

ومن ثم فإن الكتابات الأدبية في شخصية جلالة السلطان المغفور له محمد الخامس جاءت متنوعة ومتعددة وأغراضها متلونة بالأحداث التي واكبت مسيرة حياته النضالية.

والملاحظ أن هناك من النصوص ما يفوق العد، ولا بد من دراسات جادة لجمعها وترتيبها وتصنيفها وتوظيفها في الكتابات التاريخية منذ توليه العرش إلى ما بعد وفاته.

وما هو إلا كما قال فيه شاعر الحمراء¹.

بك الشّرة الغرّا قد افتر ثغرها	وأضحى ضحوكا بعدما كان باكيا
حصيف النّوى إن يدج ليل مله	نرى منك وجه الرأي يسفر ضاويا
لئن كنت في سلم أمانا ورحمة	فإنك في حرب حسام يمانيا
بجلالته في السلم أمان ورحمة وفي الحرب حسام باتر.	

ويرصد الشعر مواقف لجلالته، فأثناء قيام هتلر بالحرب ضد فرنسا وجه المغفور له محمد الخامس إلى الشعب المغربي رسالة جاء فيها:

«يتعين علينا أن نبذل لها الإعانة الكاملة، ونعضدها بكل ما لدينا من الوسائل غير محاسبين ولا باخلين، فقد كنا معاهدين لفرنسا ومشاركيا في ساعة الرخاء، ومن الإنصاف أن نشاركها اليوم في ساعة الشدة والبأساء... فأنشد الشاعر²:

أيها القوم الأسود	في ثبات فلتزيدوا
بنفوس فلتجودوا	إنما المرء الجواد
وبإخلاص الولاء	فلتجيئوا للنداء
من أمير الأمراء	ملتجانا والعماد
ملك القطر المؤيد	تاج نصر عنه يعقد
هو مولانا محمد	هو سلطان البلاد
قد زكا فينا شعور	حين نادانا الأمير
فلتسيروا فلتسيروا	حقق الله المراد

1- ديوان روض الزيتون لشاعر الحمراء: 455/2. والقصيدة بمناسبة تهنئة السلطان بعيد النحر (الأضحى).

2- م.س. ص: 119/1.

وهذا النص فيه نداء إلى الشعب المغربي للاستجابة إلى إرادة السلطان في مساعدة فرنسا على حربها ضد هتلر، ومقاومة النازية لتحرير التراب الفرنسي.

وحين سافر جلاله السلطان المغفور له محمد الخامس إلى فرنسا عام: 1950م لعرض القضية المغربية أمام رجال الدولة الفرنسية، والتفاوض حول مستقبل الوطن، سارع الناس لتوديعه بالميناء وقلوبهم طافحة بالأماني وقد صور الشاعر محمد الحلوي هذه الرحلة في قصيدته فقال:

خفوا إلى البحر الخفيف ليشهدوا	بحرا يفيض بشاشة وسناء
وغدت تدق قلوبهم لما بدا	دق الطبول يزلزل الأرجاء
ورأوك تخرق الصفوف فأمسكوا	أكبادهم وتفقدوا الأحشاء
شخصوا إليك بأعين مقرورة	طفح السرور بها ففاض بكاء
ترنو إلى إنسانها الهادي الذي	يجلو الهموم ويكشف الظلماء

فهو الإنسان الهادي الذي يزيل الهموم فقد كانت الآمال تحنو الأمة رغم وعود فرنسا الزائفة إلى حصول يوم البشرى على يد قائدها:

يا راكبا متن العباب ميمما	شعبا أحل بشعبه الأسواء
بظلال عرشك نستجير ونحتمي	من أن يضام شعورنا ونساء
وعلى يديك نؤمل الفجر الذي	يجو الظلام ويكشف الأرزاء ¹

ويصور عبد الله كنون في قصيدة من «شعره السياسي» استفحال الأزمة السياسية التي أثارها الجنرال: جوان² والتي تصدى لها المغفور له السلطان محمد الخامس والشعب المغربي صمودا منقطع النظير أثار إعجاب العالم.

والقصيدة نظمت إبان الأزمة من عام: 1951م. ولم تنشر إلا في العدد السادس من مجلة دعوة الحق / 1957م، مطلعها:

1- ديوان أنغام وأصداء، للشاعر محمد الحلوي: 106.

2- جوان كان خليفة الإقامة العامة للجنرال: كيوم، وعمل على استنفاد سياسة سلفه في تهوور وارتجال فكانت القضية على الاستعمار الفرنسي بالمغرب.

العـرش أرفع يا حمالة الخطب
 هـيأت مر زمان العنف وانتصفت
 من مبلغ (الكاي دورسي)¹ عن سياسته
 وأن نـوابه فينا وإن عظموا
 وكان مجد فرنسا في مبادئها
 ..وصاحب العرش صان الله مهجته
 من أن ينهـه التهديد بالعصب
 شريعة الحق من شريعة الغلب
 بأنها أصبحت تخط في صيب
 فهم على شعبهم من أعظم النوب
 نخالفوها وأحيوا سنة الصلب
 غزا الحماية بالهندية القضب

كما أشار إلى مناصرة العالم العربي للقضية المغربية فقال:

إيه بني العرب جوزيتم بموقفكم
 ولا عدمننا نصيرا من أخوتكم
 ثم ختم القصيدة بالتهنئة بالعيد: عيد العرش.
 منا كأفضل ما يجزى ذوو القرب
 فنحن في الدين والفصحى بنو نسب²

وحين نفي الملك عن عرشه في 20 غشت 1953م، انبرى الشعراء إلى تسجيل هذه الحادثة، وجردوا أقلامهم لشحن الهمم على الثورة ضد المستعمر، والمطالبة بعودة الملك واستقلال المغرب فنشطت حركة الفداء، واختلطت فيها الدماء بالأصوات وحناجر الشباب بالكهول³ من الشعراء، وهب شعراء المنطقة الإسبانية يناخون ويلهبون العواطف:

يا بلادي يا عرين الثائرينا
 حملنا الراية الحمراء صفنا
 لقد زعموا بأنك ضعت منا
 ونحن سلالة الأمجاد منا
 بلادي باركي الثوار وأحيي
 كتبنا بالدم العربي: إما
 ومهد الفخر منذ الأقدمينا
 وقلبا واحدا وهوى متينا
 وأنتك موطن المستضعفيننا
 صناديد وكل العزم فينا
 كما يبغي الفخار وتطلبينا
 حياة المجد أو موتا قمينا

1- المقصود وزارة الخارجية الفرنسية.

2- دعوة الحق: ع 6/ ص: 19 - 20 / 1957م.

3- من الشباب: المهدي زريوح وعبد الكريم الطبال، ومن الكهول: عبد الله كنون وغيره.

١٠٠. إذا نمشي يهز الأرض ركب ويحني الغرب للركب الجبينا

فإننا خير من حملت يدها سلاحا منذ عهد الثأرينا¹

وحين هل عيد العرش، وصاحب العرش في المنفى، كانت الذكرى مناسبة لتجديد الوفاء والعزم على الكفاح وتحطيم الأغلال:

زعمت فرنسا أننا تبع لها من أين يتبع أمس يوما تال

والله لا نثني عنان كفاحنا حتى نحطم سائر الأغلال

ونعيد مفخرة الملوك محمدا يزهو بتاج النصر والإقبال

من في الملوك الصيد مثل محمد أو في الشعوب كمغرب الأبطال²

وفي هذه المرحلة كانت الأصوات الثائرة في شمال المغرب خير مخبر عن الوطن الثائر الطامح إلى الحرية والاستقلال.

وفي اليوم الذي عاد فيه الملك إلى الوطن منصورا مكلا بتاج العزة والمجد نظم الشاعر عبد المجيد بنجلون قصيدة³ تعد سجيلا للمعركة الحاسمة بجميع أطوارها من يوم أن امتدت يد الطغيان إلى الملك إلى اليوم الذي تحققت فيه كلمة العرش والشعب بعودة الملك.

ونلاحظ في هذه القصيدة عواطف الشاعر وأحاسيسه ومعانيه النبيلة وسميت بـ: «عودة الملك محمد الخامس». يقول:

مجيد في الغياب وفي المقام منار في الضياء وفي الظلام

لعمرك لن يضل الدهر شعبا رسمت له الطريق إلى الأمام

هزمت رعونة الطغيان حلما وأنجلت العبوس بالابتسام

1- انظر الشعر الوطني المغربي د. إبراهيم السولامي ص: 117-118 والقصيدة للمهدي زريوح.

2- لوحات: عبد الله كلون: ص: 85.

3- نشرت هذه القصيدة لأول مرة في دعوة الحق: ع 23/4، س: 1957م.

ومنها أيضا:

ولا تنسوا إذا ما الشعب يوما أراد فلما أراد
ألم يعد المليك الحر حرا لأن الشعب ناداه فعادا
وأشرق قصره بالنور بعد الـ خمول وكان يلتفع السوادا

والملاحظ أن هذه القصائد التي كانت في معظمها تنظم بمناسبة عيد العرش سجلت مقاومة ملك وشعب، كما تتبع الإنجازات الإصلاحية التي قام بها جلالته قبل الاستقلال وبعده من أجل بناء المغرب الجديد في كل مجالاته، فكان من أولى المهمات:

- أخذ المبادرة لتطوير التعليم بإحداث التعليم العالي وتأسيس جامعة محمد الخامس؛
- كما اهتم بحركة التأليف والنشر مما دفعه إلى إنشاء المطبعة المحمدية وإسنادها إلى نخبة من علماء مجالسه « وفق برنامج محدد الأبعاد والأهداف »¹.

- بل عمل جلالته السلطان المغفور له محمد الخامس على إنشاء مجلة تعنى بالشؤون الدينية والاجتماعية والثقافية فكانت مجلة دعوة الحق مجالا لكتابات متعددة وكان له الفضل في دعمها؛ ومما جاء في خطاب² جلالته عنها قوله:

«إن حرصنا على الاعتصام بحبل الدين والتشبث بمبادئه والسير على سنته ليعد أحد العوامل الأساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين بالرغم مما اعترض سبيلنا من عراقيل، وما منينا به من أهوال وخطوب، وسيظل عاملا أساسيا في تحقيق أهدافنا المنشودة لأمة تواقعة إلى حياة راقية.

ولذلك سرنا أن نتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وطيد الأمل في أن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء».

إن هذه المجلة - وبحمد الله وفضله - ما زالت تتابع مسيرتها منذ تأسيسها إلى الآن كما أراد لها واضعها، وكأنها صوت جديد لذلك النضال، وذكرى تحفز الأمة على الاستقرار في الكفاح الحقيقي الذي هو الإصلاح والبناء، نستحضر معها مواقف لجلالته مكتوبة على صفحات هذه المجلة بمداد من نحر وإجلال شككتها قصائد ما

1- انظر كتاب: المجالس العلمية السلطانية: 130/2.

2- دعوة الحق: ع 1/ص 1957/1 م بمناسبة صدور العدد الأول.

بعد الاستقلال حيث انطلق الشاعر عبد الواحد السلي من مدحه لمجلة دعوة الحق إلى مدح واضعها السلطان محمد الخامس، فجعله مشعلا مضيئا وسيد البلاد وتاج الملك، ورمز الرشاد.

قلت لما سمعت منها البيانا وقرأت التفصيل والعنوان
...خرجت للوجود مشكاة نور حققت وعدّها ونالت رضانا

إلى أن يقول:

... فإذا سيد البلاد وتاج ال ملك فيها وعزنا ومنانا
يحمل المشعل المضيء ويمنا ه تخط الرشاد والأمانا¹

ومن المواقف التي سجلتها المجلة على صفحاتها خطبه في شتى المناسبات وما تحمله من دلالات عميقة فعلى منبر المسجد الأعظم بتطوان يدعو جلالته لأهل فلسطين وللجزائر نقتطف منها قوله:

«اللهم أنقذ إخواننا الفلاحين الفلسطينيين، وردهم إلى أوطانهم ظافرين، اللهم أنزل سكينتك على الجزائر وتداركها بلطف الباطن والظاهر، وكن وليا لها ولسائر المستضعفين وانشر سلامتك عليها وعلى أهل الأرض أجمعين، اللهم وفقني للخير وأعني عليه، واجعلني من الشعب وإليه»².

وفي قصيدة «ثورة الصحراء» لعلال الفاسي وبمناسبة إحياء ليلة عيد المولد النبوي بالمسجد المحمدي بالبيضاء عام: 1957م، يهنئ الشاعر السلطان بالعيد ويذكره بالأعجاد التاريخية وبالمسؤوليات الكبرى التي تجب مواجهتها؛ وعلى رأسها قضية الجلاء عن الصحراء المغربية وقضية استقلال الجزائر:

أنت يا مولاي أسمى وارث جدد الإيمان في أبنائها
جئت بالمعجز في إحيائها ما أتى الأسلاف في إنشائها
قد وجدت الأرض فينا زلزلت وسعى الكل إلى إشقائها
... يا ملك المغرب الأقصى مرشد الأمة في إيلائها
نحن في مسجذك اليوم هنا نحمد النعمة في أثنائها
... كل عيد لك مني آية تحسب الأملاك من قرائها
لك من شعبك آيات الوفا وأنا المعرب في إلقائها³

1- مجلة دعوة الحق: ع 3 / ص: 21 / س 1، 1957م.

2- مجلة دعوة الحق: ع 4/1. س 1 / 1957م.

3- م. س: ع 4 / 7 - 11 / س 1. 1957م.

والقصيدة تفوق مائة بيت ضمنها حبا وولاء واستمرار كفاح في سبيل النهضة والجلاء عن الصحراء المغربية. ونظير هذا قصيدة للشاعر ذاته في ذكرى المولد النبوي وقد أقام المغفور له السلطان محمد الخامس حفلا دينيا بجامع القرويين بفاس فألقى الشاعر هذه القصيدة بين يديه وهي تناهز مائة وأربعين بيتا (140 بيتا)، تصور قدرة الناظم على التعبير عن الحقيقة، فبعد الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم واستعراض سيرته وهجرته وجهاده. كان الحديث عن الحضارة الإسلامية، وما أسداه علماء هذه الأمة للإنسانية، وما يعتقده الغرب الآن من ضعف فينا، لذا صار الأمل في بعث المجد بالتحدي، وعاهل المغرب المفدى أمير المؤمنين الشهم الذي ضحى في سبيل مرضاة شعبه، مجدد الإسلام، ومقوم الزيف والضلال، وما زيارته لفاس إلا لتزيد الأمة عزما بالرغم أن الحوادث قائمات فهو الفارس الذي يمضي بعزم وإيمان:

وهاج الظالمون وما أطاقوا	وفاقا في المرامي واقترابا
وقالوا لن تقام صلاة جمع	إذا ما الجند لم يضع الحجاب
أبيت وقلت لا أرضى لشعبي	بما مكروا وفضلت الإياب
حفظت لمعهد الإسلام قدرا	وصنت مكانه من أن يصابا
.. ويوم رجعت ترفل في فخار	إلى فاس التي عزت جنابا
وزرت المعهد القروي عزيزا	وقلب الشعب يكلاك احتدابا
سقيتك من قريضي مترعات	سكرت بها وأسكرت الصحابا
وفي الصحراء أمتنا تنادي	ويملاً جيشها الأرض انقلابا
«وباعمران» آيتهم جهاد	وتصميم إذا انخضم استرابا
وفي «شنقيط» إخوان مناهم	رضاك وأن تكون لهم منابا
أيؤخذ قوما وهم أباة	بالاستفتاء يصطنع الخرابا؟
وما استفتى البلاد سوى بنينا	ولا أولت لغيرهم انتخابا
وما يفتيك في ظلم ضعيف	إذا ما قال نال أدنى وصابا
وفي أرض الجزائر كل سهم	فما يرضى بأن يغدو الدنابا
وفي تلك المعازل كم ستبقى	جنودك وهي تشكو إغترابا ¹

1- انظر مجلة دعوة الحق: ع 2 / 3-7 / س: 2 / 1958 م، قصيدة ذكرى المولد النبوي لعلال الفاسي.

ومن المقالات الأدبية ما جاء عن الرحلة الملكية إلى الولايات المتحدة، وقد صاغها المؤرخ عبد الوهاب بنمنصور بأسلوب جذاب يحمل قارئه على تتبع هذه الرحلة، ورصد أهم منجزاتها: فهي « فتح معنوي، وكسب ثمين لا يماري منصف في قيمته الكبرى، وأهميته العظمى بالنسبة للتطورات التي ينتظر أن تطرأ في المستقبل على سياسة المغرب الخارجية ونمائه الاقتصادي ...»¹.

ونكتشف في هذا المقال: منجزات المغفور له السلطان محمد الخامس على الصعيد الخارجي والعمل على إخراج المغرب من عزلته التي فرضتها الحماية « فهذه الزيارة... محت ما كان عالقا بها من الصور المزيفة، وأبرزت شخصيته الدولية التي لها وزنها الثقيل في الموازين السياسية والدبلوماسية .. ومكانها الرفيع في قلوب الطبقات الشعبية باعتباره بطل كفاح، وقائد ثورة، وراعي نهضة، وحامل مشعل تحرير .. أنصت الناس إليه .. معجبين لما سمعوا من سمو الفكرة ولسوا من طيبة الروح... كان المغرب والمغاربة ملء فكره وقلبه ولسانه مما جذب إليه قلوب الأمريكيين»².

تميز جلالاته ببساطة في العيش، وابتعاد عن التكلف والفخفة في حديثه وتصرفاته، وامتلاء قلبه الكبير بالعواطف النبيلة والإحساسات الشريفة، جعلت منه الرجل المثالي الذي يتحدث عنه الفلاسفة والأخلاقون.

«فحمل جلالاته لطفه، ومداعبته لطفلة، ورفقه بعجوز، وتلففه مع خادم، ومنحه توقيعا لطالب، كانت تعدل لدى الرأي العام الأمريكي مسامرة في ناد سياسي، وخطابا في مجمع أممي.. ولقد كنا نشفق عليه من كثرة الوقوف للمصورين وهو يسعف هذا العدد العديد من الرجال والنساء.. وكان في ذلك الدعاية للمغرب حتى قال أحد كبار موظفي الأمم المتحدة: إن هذه الجولة التي استغرقت ثمانية عشر يوما كانت خيرا للمغرب من دعاية عشر أعوام»³.

وتخبرنا المقالة أن هذه الرحلة كانت لها نتائج إيجابية وطدت العلاقة بين الدولتين، وحققت نجاحا منقطع النظير... من بدايتها إلى نهايتها: «ففوائدها لا يستوعبها مقال أو يغني فيها حديث، وسيميط التاريخ النقاب... عما أسدى المغفور له السلطان محمد الخامس لأمته من العوارف وأولى من النعم ...»⁴.

1- مقال بعنوان «على هامش الرحلة الملكية» لعبد الوهاب بنمنصور/ دعوة الحق: ع 7 / 17-20 / س 1 / يناير 1958م.

2- م.س، ص: 17.

3- انظر: مجلة دعوة الحق: ع 17/7 - 18/ السنة الأولى - يناير 1958

4- م.س، ص: 19.

ومن أهم إنجازات السلطان المغفور له دعوة جلالته إلى تحرير المرأة من الجهل والحث على تعليمها باعتبارها رفيقة الرجل في المقاومة والكفاح ضد المستعمر.

وإذا كانت فترة المقاومة لم تفرز كتابات نسائية يمكن الحديث عنها، إذ معظم مصادر المرحلة لم تسجل لذلك أثراً إلا من بعض أسماء كليكّة الفاسي المسماة بباحثة الحاضرة وخديجة الفاسي التي كانت تنوب عن أبيها في إلقاء بعض القصائد الوطنية¹ وأول محاولة شعرية نشيد «إلى المجد» موقع باسم الآنسة: وفاء من البيضاء تم نشره في مجلة دعوة الحق²: مطلعته:

جددي العزم فتاتي	إنه العهد الجديد
يبتغي منك جهادا	مستمرا لا يبيد
ويحيي فيك خلقا	طيبا يهدي الوجود
.. فإلى المجد سريعا	يا ابنة القطر السعيد
شيدي مجدا طريفا	ناب عن مجد تليد
قد حباك الله شعبا	ليس بالواني العنيد
ومليكا ليس يرضى	أن تظلي في جمود
فإلى المجد سريعا	يا ابنة القطر السعيد ³

ففي النشيد إشارة إلى العهد الجديد، وحث على تشييد المجد فهناك ملك وشعب لا يرضيان أن تظل الفتاة في جمود، وهو نتيج للجهود التي كان السلطان المغفور له محمد الخامس يبذلها في سبيل التعليم والنهوض بالمرأة المغربية، كيف لا وقد أعطى المثال من أسرته في شخص الأميرة للا عائشة التي نادى بتحرير المرأة، يشهد لذلك مراسلات الصحافي إبراهيم موسى⁴ الذي رافق المغفور له محمد الخامس في كل مراحل زيارته لطنجة منها قوله:

1- انظر الشعر الوطني المغربي: د. إبراهيم السولامي، ص: 81- 82.

2- ع 2/س: 1/1957م.

3- دعوة الحق: ع 21/2 / س: 1/1957م.

4- وهو المندوب الخاص لجريدة المصري.

«تتزعج الأميرة عائشة ابنة جلالة الملك حركة تقديمية كانت سموها أول مراكشية رفعت الحجاب عن وجهها، وكما كانت دهشة طنجة عظيمة ... حينما استمعوا للمرة الأولى في حياتهم إلى سموها تلقي على أهل طنجة حديثا بالعربية والفرنسية والإنجليزية، كانت آية من آيات البلاغة»¹.

ويحتفي العدد السابع من دعوة الحق بتصدير عن الأميرة للا عائشة فهي قائدة للنهضتين النسوية والاجتماعية في المغرب، فبالإضافة إلى مركزها كأول امرأة مغربية مثقفة واسعة الاطلاع، قد اكتسبت تجارب كبيرة خلال تنقلاتها بين الشرق وأوروبا وأمريكا؛ وشهد لها جميع الذين شرفوا بمحادثة سموها من عظماء الرجال والنساء ببراعتها وفهمها الدقيق للجوانب المهمة السامية التي تضطلع بها في خدمة المجتمع المغربي»².

ولكن هذه الشخصية كانت وراءها شخصية أخرى عظيمة أسهمت في تكوينها وتشجيعها لذا نجد الأميرة تكتب مقالا بعنوان: «محمد الخامس وفضله على المرأة» «نقتطف منه هذه الفقرات، لأنها شهادة ثابتة في حق المغفور له.

تقول الأميرة: «... صحيح أن المرأة بحكم تكوينها البيولوجي عاجزة من مجارة الرجل في كل الميادين، ولكن هذا لا ينقص من قيمتها شيئا، فالرجل بدوره عاجز أيضا عن مجارة المرأة في بعض المهام، ولذلك حددت القوانين لكل منهما ما يخصه وسوتهما بعد ذلك في سائر الشؤون.

ولا نضيع الوقت في مجادلة الجامدين؛ لأنهم سيغيرون رأيهم عندما يرون الأمور تسير بفضل مشاركة المرأة من حسن إلى أحسن؛ وأن الدنيا معها بخير.

ومن حسن حظ المغرب أن الله هيا لقيادة نهضته رجلا حكيما هو جلالة والدي الذي درس أسباب التأخر، وعرف علله، فهو يعمل على حسم الداء وتهئية العلاج؛ وكان في طليعة أعماله فتح المدارس في وجوه الفتيات ودعوتهن دعوة ملحة إلى ولوجها من غير تردد.

لقد علم أن الحياة طائر لا يطير إلا بجناحين، وما جناحا الحياة إلا الذكر والأنثى اللذان يتم أحدهما الآخر، فلذلك لم يشك في فشل المحاولات التي تهدف إلى إنهاض أمة بأحد شطريها، واجتنبوا لضياع الجهود وجه عناية متساوية إلى الرجال والنساء من رعيته ولم تكن برامجها لتخفي خطورتها على مستقبل الإقطاعية والاستعمار لذلك شن عليهما حملة شعواء يريدان إطفاء أنوارها...

1- تمت هذه المراسلة بتاريخ: 13/04/1947م، بتصرف.

2- دعوة الحق: ع 7 / 3 / س: 1 / يناير 1958م.

... لقد كتب النجاح لأفكار جلالته ومشاريعه الإصلاحية... فهي هي ذي المرأة المغربية تثبت وجودها، وتبرهن على حيويتها بما تقوم به من أعمال كبرى في ميادين التعليم والصحة والإدارة ومشاريع البناء والعمران، وما نراها إلا قائمة بما هو أجل وأعظم كلها أمنت في الثقافة وأوغلت في العرفان.

والفضل الأول والأخير يرجع إلى المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه الذي أدرك حقيقة الداء فأوجد له نافع الدواء، وهو في عمله لم يكن إلا مطبقا للمساواة بين الجنسين التي كانت صرحت بها الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾¹.

وبهذه الروح العالية والعزيمة الثابتة واصل جلالة المغفور له الحسن الثاني أكرم الله مثواه مسيرة الكفاح والتنمية، وكانت خطبه بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب تغمرها الإشادة بدور المرأة في الكفاح وما قدمته من تضحيات من أجل تحرير الوطن يقول في إحدى خطبه: «ولا يمكن أن نتكلم عن الشعب المغربي بمناسبة «ثورة الملك والشعب» دون أن أنهو بكيفية خاصة بالمرأة المغربية .. لأنني أعلم ما حملته من عبء ومن مسؤولية في هذه الثورة وفي إنجاح هذه الثورة»².

وتقديرا لجهودها ولدورها داخل المجتمع عمل جلالته - رحمه الله - على إنصافها بتعديل المدونة من أجل تعزيز حقوقها الشرعية، وتمتين مكتسباتها الحقوقية.

وقد تابع السير على هذا المنوال جلالة الملك محمد السادس - نصره الله وأيده - حيث جعل من أهم الأولويات: التنمية الاجتماعية، ومن ضمنها الاهتمام بقضايا المرأة وصون كرامتها وإنصافها ومشاركتها إلى جانب الرجل في كل المهام، فنالت الخطوة والتشريف بفضل رعايته السامية فكان «إصدار مدونة الأسرة» تنويعا لكفاح المرأة المغربية في سبيل إنصافها والتمتع بحقوقها، فصارت شريكة الرجل في سائر المهام والمناصب، وأظهرت قدرتها وكفاءتها بفضل توجيهات جلالة الملك وحرصه على مقاربة النوع، يقول في إحدى خطبه: «ويقينا منا لما بلغته المرأة المغربية بحكم تكوينها العلمي ومشاركتها الفعالة في كل الميادين وممارستها لكل المسؤوليات من مؤهلات جدرة بالاعتبار، كفيلة بجعل المجالس العلمية تنفتح على كل الشؤون الاجتماعية .. قررنا إشراك المرأة العاملة في هذه المجالس إنصافا لها وثقة في إيجابية إسهامها فيها»³.

1- سورة الحجرات /13. انظر دعوة الحق، ع 7 / س 1 / ص 3 / 1957م.

2- انظر الخطب الملكية، ص: 228.

3- انظر الجريدة الرسمية، العدد 5210/16 ربيع الأول 1425هـ / 6 ماي 2004م.

إن ما قدمناه من نصوص مرافقة لمرحلة المقاومة وما بعدها لا تشكل في الحقيقة إلا النزر اليسير؛ لأن الكتابة الأدبية في هذا المجال كثيرة لا يحصوها العد، متعددة الأوجه والاختصاصات، فمن أشعار وشعراء إلى خطب ومقالات ومسرحيات... وكل هذا لا يقف عند فترة معينة بل تتداخل فيه الأزمان والأماكن¹، وتختلط فيه المقاييس الأدبية والتاريخية من فرد لآخر.

ونختم هذا العرض الموجز بالقول: إننا أمام ديوان شعري وثري ضخم، وقد آن الأوان لنقوم بجمعه وتصنيفه وإعداده للدراسة والتوثيق، وهذا لا يتأتى إلا بتكثيف جهود الدارسين والباحثين.

ومن ثم فإن عرضي هذا يعد نقطة من بحر، سجلت فيه بعض الإشارات التي تدل على أهمية النصوص الأدبية في تأثيل التاريخ، وتسجيل المواقف من جهة، ومن جهة أخرى أبدت الصورة التي حباها الله بها السلطان المغفور له محمداً الخامس المتجلى في عزمه الوطيد وهدوئه الرصين وعلمه المتين، ومحافظته على المبادئ الراسخة دون إفراط أو تفريط، فهو الأب الحنون، والأديب الأريب، والسياسي المحنك، والوطني الثائر على كل صنوف الاستعمار سواء في بلده أو غيره من بلدان العالم، لذا فإن الشعر فجر الحقيقة وصدق بأرقى العواطف الصادقة تكسوه ألوان المنى، ويعيد للفارس الهمام صولة تروي بطولات جلالته على صفحات الأيام والأزمان.

1- انظر قصيدة محمد بن العربي العلوي، المسماة: «ذكرينا»، وقد نشرت عام 1986م/ أي بعد 30 سنة من الاستقلال/ انظر مجلة المقاومة وجيش التحرير: ع 35 / 105 والقصيدة حديث عن روائع المجد في عهد المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، وتدعو إلى التذكر والتذكير ببطولات السلطان محمد الخامس نسوق منها هذه الأبيات:

تعيد السليب والمنهوب	.. يوم قاد ابن يوسف ثورة الحق
لحمنا العظيم مجدا قشيب	ثورة قادها الهمام فأعطت
يوم جاء المقيم ظهرا غضوب	فسلوا القصر عن مواقف مجد

الثواب الدينية والوطنية: من نجاح ثورة الملك والشعب إلى بناء الهوية المغربية

ذ. إبراهيم بوحولين

باحث في الدراسات الإسلامية، جامعة محمد الأول، وجدة

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وبعد:

قد يبدو التفكير في دراسة العلاقة بين الثواب الدينية المغربية، وبين نجاح ثورة الملك والشعب، هذا الحدث الذي بقي راسخاً في ذاكرة المغاربة، ملكاً وشعباً، يحتفلون به منذ 20 غشت 1953م إلى يومنا هذا، ونحن نحكي هذه السنة ذكرها الثانية والسبعين، قد يبدو أمراً غير ذي صلة مباشرة يستحق التأمل والنظر، الأمر الذي تروم هذه الورقة عكسه.

ذلك أن الثواب الدينية والوطنية التي نقصدها في هذه الورقة إنما هي العقيدة في صيغتها الأشعرية، والفقهاء في مدرسته المالكية، والتصوف في طريقته الجنيديّة، هذه الثلاثة محفوظة بثابت هو الضامن لبقائها واستمرارها عبر التاريخ، هو ثابت إمارة المؤمنين التي هي نعمة من نعم الله تعالى على المغرب، ومما زادها شرفاً وعزّة شرفٌ سندها الموصول بالجناب النبوي الشريف.

فلا يشك دارسٌ للتاريخ المغربي في الإسهام الكبير الذي قامت به الأشعرية، مثلاً، في حفظ الهوية المغربية من أيام المرابطين¹، حيث تبني هذا المذهب حينها جمهرة علماء البلد من كبار الفقهاء والقضاة والمحدثين،

1- أما تعاطي العلماء للأشعرية وتأثرهم بها فقد كان قبل المرابطين أصلاً، كما حصل مع الإمام محمد بن أبي بكر التجيبي القبري، جد الإمام الباجي لأمه. ولذلك فإن الفكرة التي تقوم على أن الأشعرية إنما انتشرت في المغرب أيام الموحدين تحتاج إلى مراجعة في ضوء ما استجد من النصوص الكلامية وغيرها، والتي تحمل جديداً في هذا الموضوع.

فضلا عن المتكلمين الخادمين لهذا المنهج الصّفيّ في الاعتقاد بشكل مباشر، وإن كان لابد من سوق نماذج في الباب فالإمام الباجي (ت.474هـ)، وابن رشد الجد (ت.520هـ)، صاحب الفتوى الشهيرة في وجوب توقير علماء المذهب الأشعري، وفي تعلم الكلام للرد على شبهات الزائغين¹، يمثلان خير مثال ودليل في الموضوع. الأمر الذي استُنف أيام الموحدين، حيث زال القلق الذي كان بين السلطة المرابطية وبين الشيخ أبي حامد الغزالي، حامل لواء الأشعرية حينها، فالمهدي بن تومرت مؤسس الدعوة الموحدية إنما هو واحد من تلامذة أبي حامد، كما جاء في دعواه التي شكك فيها من شكك، ولكن المشروع الغزالي تنفس الصعداء في المغرب الموحي كما هو معلوم. وإذا كان كتاب أعز ما يطلب لابن تومرت ليس خالصا في المذهب الأشعري، فإن أغلب تقريراته عقدية، إلى جانب كتاب المرشدة، والحمرانية، إنما هي على وفق المذهب الأشعري.

الأمر نفسه استمر أيام المرينيين، بشكل أكد وأثبت، وفي أيام الوطاسيين، والسعديين كذلك، كان جل الناس على معتقد الإمام أبي الحسن الأشعري، لم يشذّ منهم إلا من ليس سلطة في علم الكلام ممن اشتغل بغيره، أو ممن ليس من أهل العلم أصلا. ومنذ الإيالة العلوية الشريفة والمغرب أخذ بهذا المذهب في الاعتقاد، والملوك والسلاطين العلويون خدموا هذا المذهب خدمات جليلة.

وما قيل هنا عن المذهب الأشعري في الأصول يقال عن المذهب المالكي في الفروع، بصورة أوضح وأبرز، منذ دخول كتاب الموطأ إلى المغرب ومالك ما زال حيا يرزق، إلى يوم الناس هذا، لم ينقطع المغاربة في أي فترة من فترات تاريخ الوجود المالكي الذي يحاذي 14 قرنا من الزمن عن تبنيه والتشرف بالتنظير فيه والتنزيل على وفقه والإفتاء والقضاء بمضامينه ومقتضياته.

وذات الأمر يقال عن الطريقة الجنيديّة في السلوك الصوفي السني غير المشوب بمشوبات وحدة الوجود، ولا القول بالحلول والاتحاد، رغم ظهور بعض دعاة هذا الفكر الصوفي الغنوصي النظري الغارق في الإشراقية، كما حصل مع ابن مسرة ومدرسته منذ الوجود المبكر للمسلمين في الأندلس، ولكن علماءنا لم يتوانوا في الرد على هذه المدرسة وفي بيان أخطائها للناس، تماما كما فعلوا مع ابن سبعين وغيره ممن وجدوا في تصوفهم نزوعا إلى الباطنية أو الإشراقية وما إلى ذلك مما هو غير موصول بالمنهج السني الذي حمل لواءه عدد من المتصوفة الذين شكّلوا سلطة علمية في هذا التوجه في المغرب، من أمثال الإمام الجنيد، وأبي طالب المكي، والإمام القشيري، والحارث المحاسبي، وأبي نعيم الأصبهاني، والإمام الغزالي من خلال الإحياء، الذي هو استمرار لهؤلاء الأعلام المذكورين.

1- يراجع نص الفتوى في مسائل أبي الوليد ابن رشد، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، بيروت - دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط، 2، الثانية، 1414هـ - 1993 م، 716/1.

أما الحديث عن إمارة المومنين في هذا السياق باعتبارها ثابتا من الثوابت المغربية الأصيلة والضامنة للوجود والاستمرار الإسلامي بالمغرب في صيغة الثوابت الدينية المذكورة، فأمره واضح أيضا وضوح الحديث عن بقية الثوابت، فنجد دخول المولى إدريس الأكبر إلى المغرب أيام الصراع العباسي الأموي على الحكم في المشرق، عرف المغاربة فضل هذا الرجل، باعتباره بقية من العترة النبوية، وسليل أهل البيت النبوي الشريف، وهكذا التف المغاربة عليه ليكون أميرا جماعا لشتات القبائل المتناحرة والمتناثرة، وهكذا أضحت قبلة للمغاربة ووجهة قاصدة من خلاله تُبين معالم الطريق الصائب في الدنيا والدين.

وهو الأمر الذي لم يتوقف مع ابنه المولى إدريس الأزهر باني فاس ومؤسسها، ومنذ ذلك الوقت لم ينقطع هذا البيت النبوي في المغرب، وكان بركة على المغاربة ممدودة عبر التاريخ، إلى أن شرف الله المغرب بتولي العلويين سدة الحكم بعد السعديين، فسطع هذا النور من جديد، ولم يكن قبل قد أفل، وتمسك المغاربة بهذه السدة الشريفة، وكان ذلك ذريعة لتجاوز مشاحنات كبيرة كانت قد بدأت بين القبائل والحواضر المغربية، فجمع الشمل، واتحد المغرب يدا واحدة، وتجلّى ذلك غاية التجلي أيام حكم المولى إسماعيل، وأيام حكم السلطان محمد بن عبد الله ... إلى أن ابتلى الله المغرب بما ابتلى به المشرق وغيره من البلدان الإسلامية من الاستعمار الأوروبي، هذا الحدث المفصلي في التاريخ الحديث كانت وراءه أسباب وسياقات تاريخية وسياسية واجتماعية وثقافية ليس هذا موضع بسط الكلام فيها، وقد ذاق المغرب نصيبه من هذا الابتلاء الذي امتد من 1912م إلى 1956م، حيث سعى خلال هذه الفترة الاستعمار الفرنسي والإسباني إلى أن يُديم وجوده ويخلد، ولم يكن له من سبيل من أجل تحقيق هذه الغاية إلا تغيير الذهنيات واستعمار العقول والقلوب والبنى الاجتماعية والثقافية والنفسية، وذلك لوعيه الكبير من خلال استقدام النخب الاستشرافية التي سبقت الوجود الاستعماري المباشر في المغرب، تماما كما حصل في المشرق، وهذه النخب الاستشرافية أقدمت على دراسة المجتمعات الإسلامية، بما في ذلك المغرب، وحاولت رصد معالم الهوية المغربية المشكلة للذهنيات ليتم ضربها في مقتلها فينسى المغاربة تاريخهم وتغير ثقافتهم وتنطمس ذاكرتهم الدينية والوطنية، وهكذا تم إعادة تشكيل وعي الإنسان المغربي، وقد نجحت النخب الاستشرافية، إلى حد ما، في هذا المشروع الخطير في جوانب ثقافية، ولم تنجح في تحقيق الغاية الكبرى التي كانت تصبو إليها، وهي استبقاء الوجود الفرنسي في المغرب.

وهكذا عمل الاستعمار على إغلاق جامع القرويين العامر، الذي لم يكن مجرد مسجد تقام فيه الصلوات، وتنظم فيه حلقات الدرس والتعليم، بل كان، وما يزال إلى حد ما، رمزا للهوية المغربية التي ربطت آخر هذه

الأمة بأولها، وكان الاستعمار الفرنسي يسمي القرويين بالبيت المظلم¹، وذلك لما كان يقوم به من دور كبير في زرع الوعي الديني والثقافي في المغاربة، إلى جانب ذلك سعى الاستعمار إلى سجن الفقهاء والنخب الثقافية والدينية والفكرية، وإلى نفيهم وقتلهم والتنكيل بهم.

«كما فكر الاستعمار الفرنسي في التسرب إلى القرويين والتدخل في شؤون الدراسة فيها، والسعي نحو تقزيم دورها الريادي في الدفاع عن الوطن، والاكتفاء بإلقاء محاضرات وفق مقررات ينظر فيها ابتداءً، وأوقف عددا من الكراسي العلمية التي كانت تقليدا علميا منظما لم ينقطع منذ الزمن المريني، على الأقل، تقليدا يسهم من خلاله العلماء في ترسيخ القيم الدينية والوطنية والنضالية، عبر إيقاظ الهمم العالية في نفوس الطلبة انطلاقا من دروس السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي المجيد، وفي هذا السياق يمكن فهم مصادرة الاستعمار لعدد من الكتب حينها، منها كتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنون»².

أما ما نجح فيه المستعمر، في تقديري، فهو التبخيس من قيمة ومركزية المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي، والتبخيس من الجهود التي اضطلعت بها عبر التاريخ في سبيل حفظ الدين عبر التعليم الإسلامي الذي يمتاز بالدقة المنهجية في تلقي العلوم النقلية والعقلية، وبالعقلية النقدية التي لم يختص بها علم الحديث، كما نسمع هنا وهناك من اعتبار منهج المحدثين في الجرح والتعديل وفي تلقي الأخبار هو منهج صارم يحسدنا عليه الأغيار، وإنما كان هذا المنهج ممتدا إلى كل العلوم، من علم الكلام الذي تلقى بسنده ومن كتبه الأمهات، وعلى المشيخة المعتمدة كبرا عن كبرا إلى زمن النبي عليه السلام، إلى أصول الفقه، وعلوم القرآن، وهكذا، فقاعدة: سموا لنا رجالكم، لم تختص بعلم الحديث فقط، بل هي عنوان هذه الدقة المنهجية التي عرفت بها الثقافة الإسلامية، والتي هي الرافد الأساس للتمنيع الذي عرفت به الثوابت الدينية والوطنية للأمة المغربية، هذا التميع الذي وقف في وجه تحقيق غايات الاستعمار.

وهكذا تزامنت مع الوجود الاستعماري دعاوى من داخل المجتمع الإسلامي تدعو، بحسن نية ودافع إصلاحي، إلى تجديد القرويين والزيتونة والأزهر وغيرها من المؤسسات الإسلامية، متهمة إياها بنوع من الجمود والتقليد الذي كان وراء هذا «الانحطاط» الذي آل إليه الوضع في عالم المسلمين، مما يستدعي، حسب هذه الأفكار الإصلاحية، الاستفادة مما عند الغرب من التقدم في العلوم والمعارف، من باب الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها. وهكذا اتهمت الأجناس التأليفية الخادمة للنصوص العلمية، كالشروح والحواشي

1- ينظر جامع القرويين، لعبد الهادي التازي، ط.2، الرباط: دار نشر المعرفة، 2000م، 742/3.

2- ينظر «فقهاء القرويين في واجهة الدفاع عن العرش العلوي المجيد، من زمن الحماية إلى ثورة الملك والشعب وتحقيق الاستقلال» إبراهيم بوحولين، مقال ضمن مجلة دعوة الحق، العدد 448 ذو الحجة 1445هـ/2024م، السنة السابعة والستون، ص185.

والتقاييد والمختصرات والأنظمة العلمية، في مختلف العلوم والصنائع، جاعلين إياها سببا من أسباب تخلف العقل الإسلامي¹، وانكماشه عن الاجتهاد والتجديد الذي هو فريضة مغيبة.

وهكذا حُملت مسؤولية التخلف الحضاري لذات المؤسسات الضامنة لهذه الصرامة العلمية التي تحدثنا عنها، وهي ذاتها المؤسسات المرشحة لمنظومة الثوابت الدينية والوطنية، فالشروح في الثقافة الإسلامية ليست مجرد نصوص خادمة وتابعة للنصوص المشروحة في أي فن من الفنون، فهي إلى جانب أدائها لوظيفتها المنهجية المتمثلة أساسا في ضبط التصورات والمفاهيم والمصطلحات، ثم تفصيل مجمل الكلام المشروح وتقييد مطلقه وتخصيص عمومه، هناك مهام أخرى تؤديها، منها النقد العلمي لهذا النص المشروح، وعلى قارئ هذه النصوص ألا يقف عند التحليلات المناقبية التي يطلقها الشارح على صاحب النص المشروح من قبيل أنه لن يأتي بشيء جديد، إنما يريد فقط أن يبين كلامه، فغالبا ما تكون العلاقة الجامعة بين الشارح وصاحب النص علاقة تلميذ بشيخه، أو ابن بوالده، أو على الأقل علاقة متأخر يتفاعل مع متقدم، بكل ما يفرضه عليه ذلك من توقيير الميث، والاعتراف بجهوده العلمية، فهذه من الأخلاق الإسلامية، وهذا تواضع من الشارح تجاه رجل وفر له أرضية لشرحه الذي يبسط فيه علمه، بل على القارئ أن يتتبع النقود الخفية وأحيانا الجلية للشارح، واستدراكاته وإضافاته وإبداعاته الكثيرة المبثوثة في ثنايا الشرح، بتواضع كبير ودون أي ادعاء، ليعلم القارئ قيمة هذه الشروح في كل علم من العلوم، عبر مختلف العصور مشرقا ومغربا. إن الشروح بهذا الاعتبار مؤسسة لمعرفة كبيرة وجب على القارئ أن يعود إليها ليقف على كثير مما لم يصل إليه دعاة تجديد العلوم بدافع واهٍ هو عدم قدرة هذه الشروح على مواكبة العصر.

هذا الجانب المتعلق بطمس سلطة علمية وثقافية أصيلة قائمة على فكرة الثوابت الدينية والوطنية التي تُتلقى في هذه المؤسسات العلمية العريقة، واستبدالها بسلطة معرفية جديدة فيها كثير من الإطلاقات والتعميمات في تقييم تراثنا الإسلامي الأصيل، نجح فيه الاستشراق الاستعماري إلى حد كبير.

ولذلك فإن إعادة الاعتبار لقيمة هذه المؤسسات العلمية من جهة، ولقيمة هذا التراث الذي اتهم بالجمود والتقليد والانحطاط من جهة أخرى، قين بأن يعيد إلى الناس قيمة هذه الثوابت الدينية والوطنية التي زرعت هذا التمتع في المجتمعات الإسلامية القادمة من الغرب أو من الشرق مما هو غريب عنا. وهكذا يظهر لنا أن العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف الجُنُدي وإمارة المؤمنين ليست مجرد شعارات تُرفع، بل هي

1- صنيع محمد بن الحسن الحجوي في الفكر السامي، وفي محاضراته إصلاح التعليم العربي، والمحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم البنات بالديار المغربية. وصنيع أبي العباس أحمد بن المواز الفاسي في خطوة الأعلام في التعليم والتربية في الإسلام، وغيرهما من رواد الفكر الإصلاحي المغربي.

الضامنة لبقاء المجتمع المغربي محافظاً على تراثه، وفي ذات الآن منفتحة على محيطه وعالمه، بما تقدمه له هذه الثوابت من قواعد وكمالات في العيش المشترك، دون تماهٍ مع الثقافات الغربية.

إن هذا التعلق بالثوابت الدينية والوطنية هو الذي جعل الشعب المغربي ينتفض في وجه الاستعمار حينما أحس أن وطنه يُضرب في مقتل، سواء عن طريق التحديث الذي طال، كما قدمنا، المؤسسات الدينية الرسمية، أو عن طريق التحديث التقني الذي سعى إلى أن يفرض على المغاربة أدوات حضارية جديدة لا صلة لها بتاريخهم وواقعهم، أو عن طريق التحديث التجاري والصناعي وغيره مما يدخل في الاقتصاد، حيث أصبحت الحرف والمهن والصنائع المغربية الأصيلة والضاربة في عمق التاريخ، يُحِيل إلى كثير من الناس أنها لا تفيد ولا تصلح لشيء أمام الاقتصاد الغربي القائم على المكننة والصناعات الثقيلة، والأمر نفسه طال اللباس والزينة المغربي، فقد تم تسويق أفكار مؤداها أن الجلباب المغربي إنما هو زي تقليدي في مقابل الزي الرسمي والعصري الذي يمثله الزي الغربي. ونحن إذ نقول هذا فإننا لا ننكر ما لهذا التحديث من فضل على المغاربة وعلى العالم الإسلامي كله، ولكن الخطر في هذا التحديث هو السعي من خلاله إلى تغيير الذهنيات، والمس بالثقافة والتاريخ والخصوصيات، من خلال استنساخ كل ذلك بحضارة جديدة، توهم المتلقي أنه هو منها وهي منه، لكنها في الواقع حضارة أخرى ليست منا ولسنا منها، وإنما نتلقى فقط بعض ثمراتها التسليعية التي تحمل حمولات ثقافية تمس الهوية.

إن هذه الثوابت الدينية والوطنية المتمثلة فيما تقدم ذكره: العقيدة الأشعرية، والفقه المالكي، والتصوف السني الجنيدي، وإمارة المؤمنين، هي التي جعلت الشعب المغربي المؤمن بها يقف سدا منيعاً في وجه الاستعمار الفرنسي وهو ينصب محمد بن عرفة خلفاً للسلطان الشرعي محمد الخامس طيب الله ثراه سنة 1953م، وذلك حين «أراد الاستعمار من الملك محمد الخامس أن يوقع على ظهائر تزيد في إذلال الشعب فامتنع رحمه الله في إباء، وجعل نصب عينيه أن يضحى بكل شيء من أجل كرامة شعبه، ومع اقتراب يوم 20 غشت الذي كان موعداً لتنفيذ المؤامرة طوق الجنرال كيوم القصر الملكي [...]، تمهيداً لعزله ونفيه، وتمت المؤامرة وغادر الملك العرش والبلاد ومعه أسرته المكافحة»¹.

هذا الرفض لتولي ابن عرفة سدة الحكم خلفاً للملك الشرعي عبرت عنه النخبة المتشعبة بالثوابت الدينية والوطنية، كما في رد كتبه العلامة عبد الله كنون على فتوى مساندة لعريضة القواد، ومما جاء فيه: «ونحن إنما أتينا بهذه النصوص للاستدلال على عدم جواز الخلع حتى من العلماء في الحد الأدنى للمسألة، ومعلوم أن نازلتنا

1- ينظر 20 غشت 1953م محطة في تاريخ المغرب لإنتاج الأبطال وإنجاز جلائل الأعمال، مقال لعبد الصمد العشاب، ضمن مجلة الذاكرة الوطنية، عدد خاص بالذكرى الخمسين لثورة الملك والشعب، 1424هـ/2003م، ص 128.

ليست من هذا القبيل، فجلالة الملك حفظه الله لا تحوم حوله الشبه بوجه من الوجوه، وأصل النزاع عند هؤلاء القواد أو عند حامل لواء غدرهم على الصحيح هو محاولة جلالته الملك منعهم من الظلم والسلب والنهب وإنكاره عليهم ما هم متلبسون به من الفسق والفجور والاستهتار، فأخذتهم العزة بالإثم، وخافوا من العزل فقاموا بهذه المناورة، من المؤسف حقا أن ينقاد الشيخ عبد الحفي في حبلمهم ولا ينبهم إلى حكم الشارع في المسألة، وهو أن الوالي غير الإمام ينزل بالفسق، فهم المعزولون لا إمامهم¹.

والذي جعل الفقهاء يصدرن هذه الفتوى المضادة لبعض الفتاوى التي قُدمت تحت الطلب حينها من كون بيعه العلماء إنما هي تابعة لبيعة القواد، فينحازون إلى الحق مهما كلفهم ذلك من أمر ودفاعهم عن القواعد الشرعية التي مؤداها أنه لا يجوز نقض بيعه في عنق عامي أو عالم، والمغاربة علماءهم وعامتهم هم مبايعون للملك الشرعي محمد الخامس أكرم الله مثواه، ولذلك فلا يجوز نقض هذه البيعة مادام السلطان مسلما لا تحول حوله الشبه بوجه من الوجوه. إن الذي جعلهم يصدرن مثل هذه المواقف الشجاعة في مثل هذه الفترة الحاسمة جدا من تاريخ المغرب هو معرفتهم وتشبهم بهذه الثوابت الدينية والوطنية، ووعيمهم الكبير بأهمية مؤسسة إمارة المومنين التي هي مؤسسة دينية شرعية فيها مصلحة العباد في العاجل والآجل.

ولذلك فإن الاستعمار لم ينعم براحة ولا أمان منذ هذه الفعلة المتمثلة في نفي السلطان الشرعي، فقد وجه الفقهاء الشباب إلى العمليات الفدائية، وحصل تضامن شعبي كبير ضد الاستعمار، وخرج الناس في مختلف المدن المغربية بمظاهرات كبيرة رفعت كلها شعارا واحدا يحمل مطلبها استعجالها هو عودة الملك المنفي سيدي محمد الخامس وأسرته الكريمة إلى أرض الوطن. حتى تنازل الاستعمار عن كبريائه ودخل في تفاوض كان من نتائجها عودة الملك الشرعي إلى عرشه سنة 1955م، وإعلان انتهاء الحماية وبزوغ فجر الاستقلال، يوم الأربعاء 16 نونبر 1955م، لينتهي الأمر باستقلال المغرب رسميا سنة 1956م، وليبدأ مسارا جديدا من استرجاع ما تبقى من التراب الوطني.

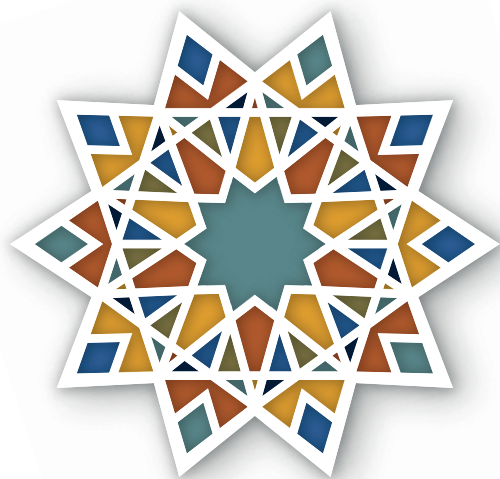
ختاما يمكن القول: إن هذه الثوابت التي قامت بهذا الدور الجبار في هذه الفترة الحرجة من تاريخ المغرب، وقامت بأدوار أخرى في مجابهة البدع والأفكار الغربية القادمة من الشرق أو من الغرب عبر التاريخ المغربي الطويل، هي المؤهلة لتقف اليوم وغدا ضد كل التيارات، وهي الضامنة لاستقرار المغرب، والراعية للوازع الديني والأمن الروحي بتوجيهات أمير المومنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله.

1- 20 غشت 1953م، عبد الصمد العشاب، ص 129.

المصادر والمراجع

- جامع القرويين، لعبد الهادي التازي، ط.2، الرباط: دار نشر المعرفة، 2000م.
- مسائل أبي الوليد ابن رشد، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، بيروت - دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط، 2، الثانية، 1414هـ - 1993م.
- 20 غشت 1953م محطة في تاريخ المغرب لإنتاج الأبطال وإنجاز جلائل الأعمال، لعبد الصمد العشاب، مقال ضمن مجلة الذاكرة الوطنية، عدد خاص بالذكرى الخمسين لثورة الملك والشعب، 1424هـ/2003م.
- فقهاء القرويين في واجهة الدفاع عن العرش العلوي المجيد، من زمن الحماية إلى ثورة الملك والشعب وتحقيق الاستقلال، إبراهيم بوحولين، مقال ضمن مجلة دعوة الحق، العدد 448 ذو الحجة 1445هـ/2024م السنة السابعة والستون.





مَلِكُ الْوَحْدَةِ وَحَبِيبُ الشَّعْبِ

ذ. محمد البلغمي

شاعر من فاس

رَدَدَ نَشِيدَكَ رَائِعَ الْأَلْحَانِ
وَاسْتَلَّهِمُ الصَّدَّاحَ رَوْعَةَ شَدْوِهِ
وَأَبْعَثَ إِلَى مَلِكِ الْبِلَادِ تَحِيَّةً
لِلسَّادِسِ الْمَلِكِ الشَّرِيفِ مُحَمَّدٍ
فِي عِيدِهِ الْمَيْمُونِ قَدْ سَادَ الْهَنَاءُ
مَلِكٌ تَمَيَّزَ بِالنَّجَابَةِ وَالنُّهَى
مِنْ أُسْرَةٍ عَلَوِيَّةٍ تَارِيخُهَا
مَوْلَايَ قَدْ أَكْبَرْتُ فِيكَ عَوَاطِفًا
شَاطَرْتُ شَعْبَكَ فِي الْجَنُوبِ مُصَابَهُ
وَأَمَرْتُ أَنْ يُبْنَى لِمَنْ نَكَبُوا بِهِ
وَأَتْلُ الْقَرِيضَ مَوْعَعَ الْأَوْزَانِ
بَيْنَ الرِّيَاضِ وَنَاضِرِ الْأَغْصَانِ
عَبَقْتُ بِطِيبِ الْوَرْدِ وَالرَّيْحَانِ
نَجَلِ الْأَمَاجِدِ مِنْ بَنِي عَدْنَانَ
وَطَنِي، وَعَمَّ الْبَشَرُ كُلَّ مَكَانٍ
وَسَمَا بِهِ أَصْلُ رَفِيعِ الشَّانِ
بِالْمَجْدِ مَكْتُوبٌ وَبِالْإِيمَانِ
وَأَيَادِيًا جَلَّتْ عَنِ الْحُسْبَانِ
وَشَمِلَتْ مَنْ سَلِمُوا بِكُلِّ حَنَانٍ
مَا هَدَمَ الزَّلْزَالُ مِنْ بُنْيَانٍ

يَا سَائِلًا عَنْهُ السَّمَاحَةَ وَالنَّدَى
بِسَمَاءٍ » إِفْرَقِيَا » تَأَلَّقَ نَجْمُهُ
كُلُّ الشُّعُوبِ بِهَا تُقَدَّرُ جُهْدُهُ
وَتَرَاهُ فِي دُنْيَا السِّيَاسَةِ مَاهِرًا
هَذِي الصَّحَارَى فِي ظِلَالِ مُحَمَّدٍ
أَوَّلَى لَهَا أَعْلَى الْجُهْدِ سَخِيَّةٌ
مَوْلَايَ عَهْدًا أَنْ نَسِيرَ وَرَاءَ كُرْمِ
نَمْضِي لِعَايَتِنَا.. وَلَيْسَ يَهْمُنَا
وَمَلِكُنَا بِالْحَزْمِ قَالَ لِكُلِّ مَنْ
الْمَغْرِبُ الْمَحْبُوبُ فِي صَحْرَائِهِ
فَلْيَخْسَأِ الْمُتَرَبِّصُونَ بِأَرْضِنَا
إِنْ غَاظَهُمْ بِالْحَقْدِ رَسْمُ خَرِيطَةٍ
مِنْ أَجْلِ وَحَدَّثَنَا نَضْحِي كُلُّنَا
يَا تَائِهًا فِي الْوَهْمِ يَهْدُرُ عُمُرُهُ
عُدْ لِلصَّوَابِ.. وَعُدْ لِعَيْشِ كَرَامَةٍ
فَالَيْكَ نَرْفَعُ يَا حَبِيبَ قُلُوبِنَا
وَاللَّهِ أَسْأَلُ أَنْ يُبَارِكَ عُمْرُكُمْ
وَوَلِيَّ عَهْدِكَ يَرْتَقِي نَحْوَ الْعُلَى

خِفَصَالَهُ تَأْتِيكَ بِالْبُرْهَانِ
وَسَرَى سَنَاهُ بِسَائِرِ الْبُلْدَانِ
وَنَجَلُ مَا يُسَدِّهِ مِنْ عِرْفَانِ
يَزِنُ الْأُمُورَ بِفِكْرِهِ الْيَقْظَانِ
تَخْتَالُ فِي التَّصْنِيعِ وَالْعُمُرَانِ
لِيَعِيشَ فِيهَا الْأَهْلُ عَيْشَ أَمَانِ
لِبِنَاءِ مَغْرِبِنَا بِكُلِّ تَفَانِ
فِي السَّيْرِ إِزْعَاجُ مِنَ الْغُرْبَانِ
يَحْتَارُ بَيْنَ الْبُوجِ وَالْكِتْمَانِ
وَحَوَاضِرُ الصَّحْرَاءِ فِي الْأَوْطَانِ
فَمَصِيرُ مَسْعَاهُمْ إِلَى خُسْرَانِ
نَخْرِيطَةُ الْأَوْطَانِ فِي الْوُجْدَانِ
وَنَجُودُ بِالْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ
فِي لَيْلٍ مَهْزَلَةٍ وَعَيْشِ هَوَانِ
فِي مَغْرِبٍ يَلْقَاكَ بِالْغُفْرَانِ
صِدْقُ الْوَلَاءِ عَلَى مَدَى الْأَزْمَانِ
وَيَصُونُكُمْ بِقَدَاسَةِ الْقُرْآنِ
وَيَدُومُ فِي حِفْظٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

الفهرس



افتتاحية	5
ملف العدد	9
مقالات ذكرى عيد العرش المجيد	
عيد العرش المجيد بين نظام البيعة ودلالات الإمامة العظمى	11
ذ. محمد خروبات، رئيس المجلس العلمي الجهوي لجهة مراكش آسفي	
طاعة الأمة للإمام في ظل دستور الإسلام	17
ذ. ابراهيم بن أحمد الوافي، رئيس المجلس العلمي المحلي لإنزكان أيت ملول	
الجهود المباركة لمولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله في العناية بالشأن الديني	29
ذ. محمد الشنتوف، رئيس المجلس العلمي المحلي لتطوان	
عيد العرش المجيد الأسس الشرعية والدستورية والدلالات الرمزية	39
ذ. محمد لقريخي، أستاذ بجامعة محمد الخامس - الرباط	
المغرب في عهد صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله تنمية شاملة وتحديات مستمرة	49
ذ. إدريس الزعري المباركي، عضو المجلس العلمي المحلي لفاس	
وفاء أهل الصحراء المغربية للعرش العلوي المجيد	59
ذ. ياسين بن روان، عضو المجلس العلمي المحلي بالعيون	
رعاية إمارة المؤمنين للأمن الروحي للمغاربة المقيمين بالخارج	71
ذ. عبد الرحيم الكّامي، أستاذ محاضر مؤهل بجامعة محمد الأول وجدة	
التنمية البشرية والعدالة المجالية في عهد أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله	81
ذ. عبد الواحد الوزاني، أستاذ بجامعة مولاي إسماعيل - مكّاس	

التأصيل الشرعي والتقصيد الحضاري لاحتفال المغاربة بذكرى عيد العرش المجيد	93
ذ. محمد البخاري، أستاذ بكلية الشريعة، فاس	
مقالات ذكرى ثورة الملك والشعب	113
زيارات الملك سيدي محمد بن يوسف لمدينة فاس: بين ترسيخ الشرعية ومواجهة الاستعمار	115
ذ. سمير بوزوينة، عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس - فاس	
من إعلان الاستقلال إلى إعلان الوحدة رحلة جلالة الملك محمد الخامس إلى إسبانيا يوم 4 أبريل 1956م	125
ذ. محمد الأندلسي، باحث في التاريخ-تطوان	
قضية استقلال المغرب خارج أسوار الحماية	139
ذ. جواد الفرخ، باحث في التاريخ- فاس	
خطاب جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه في محاميد الغزلان بين ترسيخ الوحدة الوطنية واستمرارية المقاومة	159
ذ. محمد امراني علوي، الكلية المتعددة التخصصات- الرشيدية	
في ذكرى ثورة الملك والشعب السلطان محمد الخامس العالم والمفكر المصلح رائد النهضة الأدبية وباني المغرب الحديث	169
ذة. سعيدة العلبي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس	
الثوابت الدينية والوطنية: من نجاح ثورة الملك والشعب إلى بناء الهوية المغربية	185
ذ. إبراهيم بوحولين، باحث في الدراسات الإسلامية، جامعة محمد الأول، وجدة	
ديوان العدد	193
مَلِكُ الْوَحْدَةِ وَحَيْبُ الشَّعْبِ	195
ذ. محمد البلغمي شاعر من فاس	
الفهرس	197

شروط النشر بالعجلة

- تنشر المجلة الدراسات العلمية والبحوث المترجمة والمقالات الفكرية ومراجعات الكتب التي تنسم بالعمق والموضوعية، في مجالات العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والحضارة وفق الشروط الآتية:
- أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره، وألا يكون مستلاً من بحث جامعي، أو أرسل للنشر في مجلة أخرى.
- أن تراعى قواعد البحث العلمي في توثيق المصادر والمراجع والإحالة عليها.
- التقيد التام بكتابة الآيات القرآنية وفق المصحف المحمدي.
- الاعتناء التام بعلامات الترقيم، والالتزام بالقواعد المتعارف عليها في تحرير البحوث والمقالات.
- ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن 18 صفحة من حجم A4.
- في حالة إرسال بحث مترجم يشترط إرسال نسخة من البحث الأصلي.
- في حالة وجود وثائق وصور، يرجى أن تكون موثقة وبدقة جيدة.
- تخضع المادة المرسلّة للتحكيم العلمي، وتمنح المجلة مكافأة مالية عن كل بحث منشور، وفق النظام المعمول به في المجلة.
- ترسل البحوث بالبريد إلى عنوان المجلة مطبوعة على الورق، وفي قرص مضغوط، أو على البريد الإلكتروني، مع نبذة تعريفية عن صاحب البحث وصفته وعنوانه الكامل ورقم هاتفه.
- البريد الإلكتروني هو: daawatalhak@mhah.gov.ma.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.
- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بإيضاح أسباب عدم النشر.

- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- تصنيف البحث أو المقال وتنسيقه وتنسيقاً جيداً.
- هوامش التوثيق والإحالات والمصادر والمراجع تدرج في أسفل الصفحات وليس في آخر البحث أو المقال.
- يكتب البحث أو المقال بخط Simplified Arabic مع التقيد بالمقاسات الآتية: 14 في النص، و10 في الهامش، و10 ما بين السطور.

محور العدد المقبل

تخبر هيئة تحرير مجلة دعوة الحق أن موضوع العدد المقبل هو:
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تأصيلاته وتنزيلاته في ضوء نظام الدولة الحديثة.

